معالم التربية القرآنية في جزء عمّ

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣١هـ - ٢٠١٠م

أصل هذا الكتاب عبارة عن رسالة ماجستير

من جامعة أم درمان الإسلامية بالسودان

١٤٢٧هـ / ٢٠٠٧م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾ ﴿آل عمران﴾

الإهداء

إلى من حملوا الجذوة وشقوا سدف الظلام. .

إلى الذين أسهروا ليلهم وأضنوا نهارهم. . .

يبنون للأمة جيل النصر. . .

ويخطّون من قبس الوحي طريق الغد. . .

إلى المربين . . .

أخوكم
خالد بن محمد بابطين
Juza30@gmail.com

شكر وعرفان

لقد تأملتُ فإذا المعروفُ بذرةٌ يُلقيها الكريمُ ويمضي ليلقيَ غيرَها... فإذا استقرت في نفْسٍ كريمٍ حفظها ورعاها، وتعاهدها وسقاها؛ لتُثمرَ وفاءً لا يَغيض على مرِّ الأيام، وحُبّاً لا يتبدلُ على تقادمِ العهد، ثم لا تزالُ مشاعر الودِّ تتحرك في أغوار النفس، وتتدفق من أعماقها؛ لتبعث عاطرَ الكلمات، وصادقَ الدعوات، شكراً لمن أسَرَها بمعروفه، وقَيَّدها بإحسانه، ومن وجد الإحسان قيْداً تقيدا...

وأوّل الشكر وأولاه، وأكملُه وأوفاه، لمن لولاه ما اهتدينا، ولا تصدقنا ولا صلينا، سبحانَه مِن مُفضِلٍ علينا، أخرجَنا من بطون أمهاتنا لا نعلم شيئا، فعلمنا وهدانا، وأسبغ علينا نِعمَه ظاهرةً وباطنة، فله الحمدُ كما ينبغي لجلالِ وجهه وعظيمِ سلطانه.

ثم الشكرُ يحدوه البِرُّ إلى والديّ الكريمين، اللذين عرفتُهما قبل أن أعرفَ من الدنيا شيئاً، فسمياني وعلماني وأدباني، اللهم فارحمهما كما ربياني صغيراً.

والشكرُ موصول لصاحبة الفضل زوجي الفاضلة أمِّ سليمان وأولادي البررة، الذين لم يألوا جهداً في إعانتي على إتمام هذا البحث، وتهيئة جو البحث العلمي لهذا الكتاب، فلهم مني وافر الشكر والدعاء.

والشكرُ كلُّ الشكر إلى الشيخ الفاضل المبارك الدكتور/ مبارك أحمد رحمة، الذي كان أول من شجعني على اختيار هذا الموضوع، ووضْعِ اللمسات الأولى فيه.

والشكرُ بعدَ الشكرِ، تسيرُ به الركبان، ويلهجُ به اللسان، إلى أهل العلم والفضل، الذين غمروني بكريمِ خُلُقِهم، وجميلِ فعالِهم، وزكيِّ علمِهم؛ فكان لتصويباتهم وملحوظاتهم أكبر الأثر في خروج هذا البحث بهذه الصورة....فلهم جميعاً مني جزيل الشكر وأجملَه.

وشَكَرَ اللهُ لكلِّ ذي فضلٍ لم تنله عبارتي، أو قصُرت عنه مقالتي، صنائعَ لا أُحصيها، ومكارم لا أُوفيها، وعند الله في ذاك الجزاءُ.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه الكريم: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ ﴾ ﴿الجمعة﴾.

فهو سبحانه الذي خلق النفس، وهو العالم بكنهها، وحقيقتها، وما يُصلحها ويَصلح لها، قال تعالى:

﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾ ﴿الملك﴾.

والصلاة والسلام على خير مربٍّ ومعلم، الذي أرسله الله رحمة للعالمين، فأنار به دياجير الظلام، وهدى به من الكفر إلى الإسلام، قال الله تعالى ممتناً به على المؤمنين: ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ ﴾ ﴿آل عمران﴾، أما بعد:

فإن دراسة التربية الإسلامية من خلال القرآن الكريم. المصدرِ الأول لها. أمر من الأهمية بمكان؛ حيث إن ارتباط المتربي في منهج التربية الإسلامية بالقرآن الكريم مباشرة؛ من أقوى وأنجح الوسائل في تحقيق غايات التربية الإسلامية وأهدافها؛ لأنَّ المتربي يتلقى المفاهيم التربوية غضة نقية، لم تَشُبْهَا اجتهادات البشر وآراؤهم، التي قد يجانب الصوابَ بعضُها أو كثيرٌ منها.

إذن فالارتباط المباشر بالقرآن الكريم، والتلقي منه؛ هو عنوان السعادة والنجاة في الدنيا والآخرة.

عن جبير ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَبْشِرُوا فَإِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ طَرَفُهُ بِيَدِ اللَّهِ، وَطَرَفُهُ بِأَيْدِيكُمْ، فَتَمَسَّكُوا بِهِ، وَلا تُهْلَكُوا بَعْدَهُ أَبَدًا**»[١].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**الْقُرْآنُ شَافِعٌ مُشَفَّعٌ، وَمَاحِلٌ[٢] مُصَدَّقٌ، فَمَنْ جَعَلَهُ إِمَامَهُ قَادَهُ إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَنْ جَعَلَهُ خَلْفَهُ سَاقَهُ إِلَى النَّارِ**».[٣]

وحين تكون أفكار الإنسان وتصوراته وقيمه مستمدة من القرآن الكريم مباشرة؛ فأنعم بها من حياة تملؤها السعادة وتغمرها الطمأنينة وانشراح الصدر فإن "الحياة في ظلال القرآن نعمة لا يعرفها إلا من ذاقها. نعمة ترفع العمر وتباركه وتزكيه"[٤]

وإن المتأمل في كتاب الله، والمتدبر له، ومن يحيا معه بقلبه وعقله وروحه؛ لَيلمس فيه أعلى أساليب التربية وأرقاها وأقواها.

وإن افتتان كثيرٍ من الناس بمناهج الغرب والشرق في التربية؛ أعماهم عن هذا الكنز الثمين، كنزِ التربيةِ وتزكيةِ النفوس من خلال القرآن الكريم.

ومن هنا فإن الحاجة ماسة إلى الدراسات المتخصصة في التربية من خلال القرآن الكريم.

إن في القرآن الكريم مجالاً رحباً للتأمل والتفكر.

---

(١) الطبراني، سليمان بن أحمد. **المعجم الكبير**، ط٢: ١٤٠٤، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، (١٢٦/٢)، رقم الحديث (١٥٣٩). وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٤)

(٢) خصم مجادل مصدق». ابن الأثير، مجد الدين. **النهاية في غريب الحديث**، دار الباز، مكة المكرمة، (٣٠٣/٤).

(٣) الصنعاني، أبو بكر عبد الرزاق. **مصنف عبد الرزاق**، ط٢: ١٤٠٣، المكتب الإسلامي، بيروت، (٣٧٣/٣)، رقم الحديث(٦٠١١). وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٤٤٣)

(٤) قطب، سيد. **في ظلال القرآن**، ط٢١: ١٤١٤هـ.١٩٩٣م، دار الشروق: بيروت، القاهرة، (١١/١).

قال علي بن أبي طالب ﷺ: « لو أردت أن أُمْلي وِقر بعيرٍ ﴿أي حِمْل بعير﴾ على الفاتحة لفعلت».[١]

وقال سهل بن عبد الله: «لو أُعطي العبد بكل حرف من القرآن ألفَ فَهْمٍ، لم يبلغْ نهاية ما أودعه الله في آية من كتابه؛ لأنه كلام الله، وكلامه صفته.

وكما أنه ليس لله نهاية فكذلك لا نهاية لفهم كلامه، وإنما يَفْهم كلٌّ بمقدار ما يفتح الله عليه. وكلام الله غير مخلوق، ولا تبلغ إلى نهاية فهمه فهومٌ محدثة مخلوقة»[٢].

لذا فقد رغبت __ مستعيناً بالله __ في دراسة المعالم التربوية في جزء عمَّ. وقد وقع الاختيار على دراسة التربية من خلال هذا الجزء للأسباب التالية:

١- قلة البحوث والدراسات المتخصصة في دراسة التربية من خلال جزء عمَّ.

٢- عدم إدراك كثير من الناس لما في هذا الجزء العظيم من القرآن الكريم من معالم التربية، مع أنهم لا يكادون يُصلُّون صلاة إلا ويقرؤون سُوَراً أو آيات منه.

٣- وفي حدود ما اطلعت عليه من دراسات وبحوث؛ فلم يسبق دراسة التربية في القرآن الكريم على هذا النحو الذي قمت به في هذه الدراسة.

وأعتقد أن هذا مجال واسع لدراسة التربية بطريقةٍ جديدةٍ.

٤- أن كثيراً من المعلمين والمتعلمين يَغْفُلون عن هذا المنهج المتكامل من التربية في هذا الجزء وغيره، فرغبت أن أخوض غمار هذا الميدان ولعل غيري يحذو حذوي في بقية أجزاء القرآن.

---

(١) الزركشي، بدر الدين. البرهان في علوم القرآن، مكتبة دار التراث، القاهرة، (٨).

(٢) المرجع السابق، (٩).

٥- توجهتْ همم كثيرٍ من الراغبين في الخير، والمهتمين بالقرآن الكريم إلى حفظه، والعناية بإتقان ألفاظه، وإجادة أدائه؛ لكنَّ مجال تربية النفس على معانيه، واستجلاء مراميه، وفوائده؛ أمر مما لا يهتمُّ به كثيرون.

٦- شمولية هذا الجزء لأكثر جوانب التربية التي يحتاجها الإنسان، وسوف يتضح ذلك جلياً في فصول البحث القادمة.

وقبل الخوض في تفاصيل فصول الدراسة ومباحثها يحسن التعريف بمصطلحات اسم البحث.

معالم:

جمع معلم، جاء في لسان العرب: «والمَعْلَمُ: ما جُعِلَ عَلامةً وعَلَماً للطُّرُق والحدود، مثل أَعلام الحَرَم ومعالِمه المضروبة عليه. وفي الحديث: « **يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة نقي** » قال سهل: **(ليس فيها معلم لأحد)** [١]، ومَعْلم الطريق دلالته، ومَعْلم كل شيء مظنته، وفلان مَعْلم للخير، والمَعْلم الأثر يستدل به على الطريق وجمعه المعالم». [٢]

والمقصود به هنا: الدلائل التي تشير إلى التربية القرآنيَّة من خلال سور وآيات جزء عمّ.

التربية:

لكلمة التربية أصول لغوية ثلاثة:

الأصل الأول: رَبا يربو بمعنى زاد ونما، وفي هذا المعنى قوله تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَاْ فِيٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُواْ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ ﴿الروم:٣٩﴾.

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل. صحيح البخاري، ط٣: ١٤٠٧، دار ابن كثير، بيروت، (٥/٢٣٩٠)، رقم الحديث(٦١٥٦)

(٢) ابن منظور، محمد بن مكرم. لسان العرب، ط١: دار صادر، بيروت، مادة (علم).

الأصل الثاني: رَبِيَ يربى على وزن خفي يخفى، ومعناها: نشأ وترعرع. ومنه قول قصي بن كلاب:

أنا ابن العاصمين بني لؤي بمكة منزلي وبها ربيتُ [١]

الأصل الثالث: رَبَّ يَرُبُّ بوزن مدَّ يَمُدُّ، بمعنى أصلحه وتولى أمره وساسه وقام عليه ورعاه [٢]

ورب العالمين هو مربيهم ومتولي أمرهم ومصلحُهم، قال الراغب: «الرَّبُّ في الأصل التربية، وهي إنشاء الشيء حالاً فحالاً إلى حد التمام». [٣]

وقال الإمام البيضاوي – رحمه الله - في تفسيره: «الرَّبُّ في الأصل مصدر بمعنى التربية، وهو تبليغ الشيء إلى كماله شيئاً فشيئاً». [٤]

وأما تعريف التربية في الاصطلاح، فقد تنوعت وكثرت تعريفات الكُتّاب لهذا المصطلح، وهي في غالبها متشابهة ومتقاربة، ولذا سأكتفي بواحد منها وهو:

مجموعة السبل التي ينتهجها المرء؛ من أجل تنمية القدرات والمواقف والمسالك التي يستسيغها مجتمعه. [٥]

وأما بالنسبة للتربية الإسلامية، فإن لها تعريفاً خاصاً يختلف عن التعريف العام السابق.

وقد عُرِّفت بتعريفات متعددة، تتفاوت في مدى شموليتها ودلالتها الواضحة والدقيقة على المقصود.

---

(١) ابن هشام، عبد الملك. السيرة النبوية، مطبعة مصطفى الحلبي، مصر، (١/١٣٥).

(٢) النحلاوي، عبد الرحمن. أصول التربية الإسلامية وأساليبها، ط٢: ١٤١٦، دار الفكر، دمشق، (١٣،١٢).

(٣) الأصفهاني، الراغب. مفردات ألفاظ القرآن، ط٣: ١٤٢٣،٢٠٠٢، دار القلم، دمشق، (٣٣٦).

(٤) البيضاوي، ناصر الدين. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ط٢ :١٣٨٨هـ ، مكتبة البابي وأولاده بمصر، (٧/١).

(٥) ميرغني، دفع الله أحمد. المعجم الموجز في المصطلحات التربوية، ط١: ١٤٠٣، دار البحوث العلمية، الكويت، (٣٢-٣٣)

ومن أفضل تلك التعريفات:

أنها «التنمية الشاملة لجميع جوانب شخصية الفرد: (جسمياً، وعقلياً، واعتقادياً، وروحياً، وخلقياً، واجتماعياً، ونفسياً، وإرادياً، وجنسياً، وجمالياً)، في ضوء ما جاء به الإسلام؛ حتى يكون هذا الفرد عابداً لله وحده، عبودية تحقق له الفوز بالدنيا والآخرة،وتجعله لبنة خيرة في بناء مجتمعه وإسعاد البشرية». [١]

التربية القرآنية : هي مجموعة من القيم والمفاهيم التربوية، التي تستنبط من القرآن الكريم بالتتبع والاستقراء .

(١) القاضي، سعيد إسماعيل. **التربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة**.ط١: ٢٠٠٤، عالم الكتب، القاهرة، (٢٢)

الفصل الأول

معالم التربية الاعتقادية

تمهيد

من الفطرة التي فطر الله النفس البشرية عليها قضية الاعتقاد؛ فكل نفس بشرية لا بد أن تعتقد شيئاً ما في حقيقة الكون، والحياة، والمعبودِ الذي تدين له بالعبودية – بغض النظر عن كون هذا الاعتقاد حقاً أو باطلاً – فلا يمكن أن يعيش إنسان دون عقيدة تملأ فكره ووجدانه.

وحتى من أنكر وجحد جميع الأديان، فهو في الحقيقة يعبد هواه، فهو الموجِّه له في كل أفعاله وتصرفاته: ﴿ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ ﴾ «الفرقان:٤٣»، فإذن لا يخلو أحدٌ عن اعتقاد.

وبما أن الاعتقاد أمرٌ فطريٌّ جُبلت عليه النفوس، فإننا حتى نصل إلى معرفة حقيقته ومعناه؛ فلا بد من تأصيله من حيث اللغةُ والاصطلاحُ.

ففي اللغة نجد أن عبارات اللغويين تدور حول معنى واحد، وهو: «الوثوق والثبات والصلابة في الشيء».[١]

قال ابن فارس – رحمه الله – : « عقد: العين والقاف والدال أصل واحد، يدل على شدٍّ وشدةٍ وثوقٍ، وإليه ترجع فروع الباب كلُّها...».[٢]

وقال الراغب الأصفهاني – رحمه الله – : «العقد: الجمع بين أطراف الشيء، ويستعمل ذلك في الأجسام الصُلبة كعقد الحبل وعقد البناء، ثم يستعار ذلك للمعاني نحو: عقد البيع والعهد وغيرهما. فيقال: عاقدته وعقدته، وتعاقدنا وعَقَدتْ يمينه...».[٣]

---

(١) ضميرية، عثمان جمعة. **مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية**. ط٢: ١٤١٧.١٩٩٦، مكتبة السوادي، جدة، (١٢٠).

(٢) زكريا، أحمد بن فارس. **معجم مقاييس اللغة**، ١٤٠٥. ١٩٩٩، دار الجيل، بيروت، (٤/٨٦. ٨٧).

(٣) الأصفهاني، الراغب. **مفردات ألفاظ القرآن**. مرجع سابق، (٥٧٦).

وقال الفيومي – رحمه الله - : «اعتقدت كذا: عقدت عليه القلب والضمير، حتى قيل: العقيدة ما يدين الإنسان به. وله عقيدة حسنة: سالمة من الشك».[١]

وجاء في المعجم الوسيط: «العقيدة: الحكم الذي لا يُقبل فيه الشك لدى معتقده، والعقيدة في الدين: ما يقصد به الاعتقاد من العمل، كعقيدة وجود الله، وبعث الرسل، والجمع عقائد».[٢]

وأما في الاصطلاح فإنها «تطلق على الإيمان الجازم، والحكم القاطع، الذي لا يتطرق إليه الشكُّ لدى المعتقِد، وهذا معنى العقيدة في الاصطلاح العام، بصرف النظر عن نوع الاعتقاد حقٍّ أو باطلٍ».[٣]

فهي إذن جملة من الأسس والمبادىء، المبنية على نصوص القرآن والسنة. ومن ثم فهي « ليست أموراً عملية، بل هي أمور علمية يجب على المسلم أن يعتقدها في قلبه، لأن الله أخبره بها بطريق كتابه، أو بطريق وحيه إلى رسوله ﷺ ».[٤]

وهذه العقيدة وإن كانت في الأصل ليست أموراً عملية، لكنْ لا شك أنَّ لها آثاراً عملية وتربوية في تصرفات المسلم وأعماله.

وهذه العقيدة تطلق « على أركان الإيمان، وما يتفرع عنها من توحيد الألوهية، والبعد عن كل شبهات الشرك، وعلى الإيمان بما ثبت من المغيبات؛ أي الإيمان بالغيب، وبالرسل، والكتب، والملائكة، واليوم الآخر».[٥]

---

(١) الفيومي، أحمد بن محمد. **المصباح المنير**. المكتبة العلمية، بيروت، (٤١٤/٢).

(٢) مصطفى، إبراهيم. وآخرون، مجمع اللغة. **المعجم الوسيط**، ط٢: المكتبة الإسلامية، استانبول، تركيا، (٦١٤).

(٣) العقل، ناصر بن عبد الكريم. **بحوث في عقيدة أهل السنة والجماعة وموقف الأشاعرة والحركات الإسلامية المعاصرة منها**، ط٢: ١٤١٩، دار العاصمة، الرياض، (١١).

(٤) الأشقر، عمر سليمان. **العقيدة في الله**، ط٣: ١٤٠٩. ١٩٨٩، مكتبة الفلاح، الكويت، (١٠).

(٥) النحلاوي، عبد الرحمن. **أصول التربية الإسلامية وأساليبها**، مرجع سابق، (٧٤).

ولقد اعتنت الآيات المكيَّة - على وجه الخصوص - بتوضيح معالم العقيدة وأصولها، على مدى ثلاثة عشر عاماً من التربية والتزكية.

وقد اشتمل هذا الجزء على سبعٍ وثلاثين سورة، منها ثلاثُ سورٍ فقط مدنيَّة، وهي سور: «البيِّنة» و«الزَّلزلة» و«النَّصر»، وأما البقيَّة فهي سورٌ مكيَّة.[١]

وهذا الأمر له دلالة لا تخفى على المتأمل في منهجية آيات القرآن بين المكيِّ والمدنيِّ.

فلقد ظَلَّ القرآن يتنزل في مكة ثلاثة عشر عاماً، يربي النفوس، ويطهر القلوب، ويسمو بالأرواح، ويغرس المبادىء ؛ فيصنع منها نفوساً كباراً، تسترخص الموت في سبيل الله، فلا تساوم على الدين ولا تشتري بآيات الله ثمناً قليلاً، وتعلم أن الحياة الدنيا - وإن طالت - فإن من ورائها يوماً آخر، يُقتص فيه للمظلوم من ظالمه.

وحتى نرى الأثر العظيم لتلك الآيات في تربية الرعيل الأول، وتزكية نفوسهم؛ فينبغي أن ننظر إلى واقع المجتمع العربي قبل بعثته ﷺ، وكيف انتقل بهم من ذلك الحضيض الذي كانوا فيه، وارتقى بهم إلى القمة العالية التي بلغوها، فحُقَّ لهم وصف الله لهم بالخيرية في قوله: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ ﴿آل عمران: ١١٠﴾.

ولنعش مع الشيخ محمد الغزالي -رحمه الله- وهو يصف ذلك الواقع بكلام بليغ، وأسلوب بديع:

كان أهل مكة ضعاف التفكير أقوياء الشهوات...

---

(١) الزركشي، بدر الدين. **البرهان في علوم القرآن**، مرجع سابق، (١/١٩٣-١٩٤).

وقد كانت « مكة » على عهد البعثة تموج بحركة عاصفة من الشهوات والمآثم، وكان رجالها الذين يحيون فيها أمثلةً قويةً لنضج الأهواء، وشلل الأفكار أو نمائها في ظل الهوى الجامح ولخدمته وحده...

كفرٌ بالله واليوم الآخر، إقبالٌ على النعيم، وإغراقٌ في التشبع منه، رغبةٌ عميقةٌ في السيادة والعلو ونفاذ الكلمة، عصبياتٌ طائشة، تُسالِم وتُحارِب من أجل ذلك، تقاليدُ متوارثةٌ توجِّه نشاط الفرد الماديَّ والأدبيَّ داخل هذا النطاق المحدود...

شبِعتْ حتى بطِرتْ، وتنازعتْ الكبرياء حتى تطاحنتْ، وكثُر فيها مَن تغلغل الإلحاد في أغوار نفسه حتى عزَّ إخراجه منه. فهم بين عَمٍ عن الصواب، أو جاحدٍ له، وفي هذا المجتمع الذي لم ينل حظاً يذكر من الحضارة العقلية بلغ غرور الفرد مداه، ووُجد من يسابق فرعون في عتوه وطغواه.

قال عمرو بن هشام (أبو جهل) -معللاً كفره برسالة محمد ﷺ-: « زاحمنا بنو عبد مناف في الشرف حتى إذا صرنا كفرسي رهان، قالوا: منا نبي يوحى إليه! والله لا نؤمن به، ولا نتبعه أبداً إلا أن يأتينا وحي كما يأتيه!! »[1].

وزعموا أن الوليد بن المغيرة قال لرسول الله ﷺ: « لو كانت النبوة حقاً لكنت أولى بها منك! لأني أكبر منك سناً وأكثر منك مالاً! ».

ووسط هذه الجهالات البسيطة والمركبة، والعداوات المقصودة أو المضللة، وسط نماذج لا حصر لها من الضلال والغفلة، أخذ الإسلام رويداً رويداً ينشر أشعته، فأخرج أمة من الظلام إلى النور؛ بل جعلها مصباحاً وهاجاً يضيء ويهدي، والدروس التي أحدثت هذا التحول الخطير، والتي رفعت شعوباً وقبائل من

(١) ابن هشام، عبد الملك. **السيرة النبوية**، مرجع سابق، (٣/٣٣٧).

السفوح إلى القمم ليست دواءً موقوتاً أو مخصوصاً، بل هي علاج أصيل لطبيعة الإنسان إذا التاثت[١]، وستظل ما بقي الإنسان وبقيت الحياة، تكرم الإنسان، تجدد الحياة.[٢]

وهذا الجزء عند تأمل سوره نجدها لم تشتمل على شيءٍ من الأحكام التشريعية، فتلك الأحكام لم تُفرض على التفصيل إلا في المدينة، لكنها اشتملت على نوعية من التربية والتزكية، هيأتْ تلك النفوس لتتقبل تلك الأحكام، ومن ثم تلتزم بها دون تلكؤ أو تردد: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ ﴿الأحزاب:٣٦﴾

تلك التربية لم تأتِ من فراغ، ولم تكن وليدة جهدٍ يسير، أو طريق محفوف بالورود والرياحين، بل لقد كانت نتاج نفوس صُبِّرت على الألم فصَبَرَت عليه، وإذا اشتدت عليهم الآلام، وتتابعت عليهم صنوف العذاب، يأتيهم البلسم الشافي في مثل قوله ﷺ: « **لَقَدْ كَانَ مَنْ قَبْلَكُمْ لَيُمْشَطُ بِمِشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ عِظَامِهِ مِنْ لَحْمٍ أَوْ عَصَبٍ، مَا يَصْرِفُهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُوضَعُ الْمِنْشَارُ عَلَى مَفْرِقِ رَأْسِهِ فَيُشَقُّ بِاثْنَيْنِ مَا يَصْرِفُهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَلَيُتِمَّنَّ اللَّهُ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ مَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ**». زَادَ بَيَانٌ ﴿أحد الرواة﴾: « **وَالذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ** ».[٣]

تلك التربية الجادة منذ أول الطريق هي التي صنعت أولئك الرجال.

إنها تربية تجعل التجرد لله تعالى والتعلق به، هو عنوان الطريق منذ اللحظة الأولى.

---

(١) الالتياث: الاختلاط والالتفاف؛ يقال: الْتَاثَت الخطُوب، والتاثَ برأْس القلم شعَرة؛ انظر: ابن منظور، محمد بن مكرم. **لسان العرب**. مرجع سابق، مادة (لوث).

(٢) الغزالي، محمد. **فقه السيرة**، ط٣: ١٤٠٧.١٩٨٧، دار القلم، بيروت، دمشق، (٢٤.٢١).

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل. **صحيح البخاري**، ط٣: ١٤٠٧، دار ابن كثير، بيروت، (١٣٩٨/٣)، رقم الحديث (٣٦٣٩).

وحينما كان رسول الله ﷺ يعرض نفسه على القبائل، لينصروه ليبلغ الدعوة، لم يكن يَعِدُهُمْ بمغنمٍ دنيوي، أو عَرَضٍ زائل في هذه الحياة.

فلقد جاء إلى قوم يقال لهم بنو عامر بن صعصعة، فقال له رجل منهم: «أَرَأَيْتَ إِنْ نَحْنُ بَايَعْنَاكَ عَلَى أَمْرِكَ، ثُمَّ أَظْهَرَكَ اللَّهُ عَلَى مَنْ خَالَفَكَ، أَيَكُونُ لَنَا الْأَمْرُ مِنْ بَعْدِكَ؟ فَقَالَ: « **الْأَمْرُ إِلَى اللَّهِ يَضَعُهُ حَيْثُ يَشَاءُ** ».[١]

إنها قضية واضحة منذ البداية: « الأمر إلى الله يضعه حيث يشاء ». ولذلك اتبعه الفقراء والأغنياء، والسادة والعبيد، والرجال والنساء، والصغار والكبار، لا لشيءٍ إلا لأنهم ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾ ﴿الحشر:٨﴾.

ويزيد ذلك وضوحاً قصة بيعة العقبة:

جاء في رواية جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنهما، قَالَ: حَمَلَنِي خَالِي جَدُّ بْنُ قَيْسٍ فِي السَّبْعِينَ رَاكِبًا الَّذِينَ وَفَدُوا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، لَيْلَةَ الْعَقَبَةِ مِنْ قِبَلِ الْأَنْصَارِ، فَخَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَمَعَهُ عَمُّهُ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَقَالَ: «**يَا عَمِّ، خُذْ عَلَى أَخْوَالِكَ**»، فَقَالَ لَهُ السَّبْعُونَ: يَا مُحَمَّدُ، سَلْ لِرَبِّكَ وَلِنَفْسِكَ مَا شِئْتَ، فَقَالَ: «**أَمَّا الَّذِي أَسْأَلُكُمْ لِرَبِّي، فَتَعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَمَّا الَّذِي أَسْأَلُكُمْ لِنَفْسِي فَتَمْنَعُونِي مَا تَمْنَعُونَ مِنْهُ أَنْفُسَكُمْ**»، قَالُوا: فَمَا لَنَا إِذَا فَعَلْنَا ذَلِكَ؟ قَالَ: «**الْجَنَّةُ**».[٢]

وإذا تأملنا في مبادىء العقيدة التي جاءت في كتاب الله؛ فإننا نجد أن الآيات المكية عموماً، وآيات هذا الجزء على وجه الخصوص؛ قد ركزت على ترسيخ

---

(١) ابن هشام، عبد الملك. **السيرة النبوية**، مرجع سابق، (٦٦/٢).

(٢) الطبراني، سليمان بن أحمد. **المعجم الصغير**، ط١: ١٤٠٥، المكتب الإسلامي، بيروت. (٢٢٩/٢) رقم الحديث(١٠٧٦). وقال في مجمع الزوائد (٩٨٩٢) : (رجاله ثقات)

الإيمـان فـي النفوس بالدرجة الأولى؛ ليكون هو الأساس الذي يبنى عليه ما بعده من أحكام وتشريعات.

ولقـد استطاع المؤمنون المستضعفون الذين تلقـوا هذه التربية؛ أن يواجهوا صنـوف التعذيـب، وأشـكال التنكيـل الـذي كان يصبُّ عليهـم صباح مسـاء، فوقفوا كالجبال الراسيات في وجه الظلم والبغي والعدوان...

تلـك إلماحـة سريعة مجملة عـن التربية الاعتقادية، التـي تلقاها ذلك الرعيل الأول.

وفي المباحث القادمة تفصيل لهذا الإجمال من خلال المعالم التالية:

١- الإقرار بتوحيد الربوبية طريق إلى توحيد الألوهية.

٢- الإيمان بأسماء الله وصفاته.

٣- الإيمان بالملائكة.

٤- الإيمان بالكتب.

٥- الإيمان بالأنبياء والرسل عليهم السلام.

٦- الإيمان بالبعث.

٧- الإيمان باليوم الآخر.

٨- الإيمان بالقضاء والقدر.

المبحث الأول: الإقرار بتوحيد الربوبية طريق إلى توحيد الألوهية:

ركزت آيات هذا الجزء بشكل واضحٍ جداً على ذكر دلائل توحيد الربوبية، من خلق السماوات والأرض وما فيهما، وتسخير هذا الكون كلِّه للإنسان.

وعند تأمل هذه الآيات الكثيرة فإن النتيجة الحتمية للإيمان بها، أن يقود ذلك إلى توحيد الله وتعظيمه وإجلاله، وبالتالي فلن يتوجه العبد بشيءٍ من عبادته إلى غير الله تبارك وتعالى.

وقد استقرأتُ هذه الآيات في هذا الجزء فكانت على النحو التالي:

ففي الآيات الكونية نقرأ هذه الآيات :

﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ﴿٦﴾ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾ ﴾ ﴿النبأ﴾.

﴿ ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٣﴾ ﴾ ﴿النازعات﴾.

﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ ﴾ ﴿الغاشية﴾.

﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾ ﴾ ﴿التكوير﴾.

﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلشَّفَقِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ﴿١٨﴾ ﴾ ﴿الانشقاق﴾.

﴿ وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا ﴿١﴾ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ﴿٢﴾ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ﴿٣﴾ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا ﴿٤﴾ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ﴿٥﴾ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا طَحَىٰهَا ﴿٦﴾ وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ﴿٨﴾ ﴾ ﴿الشمس﴾.

﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ﴿١﴾ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴿٢﴾ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ﴿٣﴾ ﴾ ﴿الليل﴾.

﴿ وَٱلضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ ﴾ ﴿الضحى﴾.

وفي دلائل القدرة في خلق الإنسان نطالع هذه الآيات:

﴿ مِنۡ أَيِّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطۡفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقۡبَرَهُۥ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴿٢٢﴾ كَلَّا لَمَّا يَقۡضِ مَآ أَمَرَهُۥ ﴿٢٣﴾ فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبۡنَا ٱلۡمَآءَ صَبّٗا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقۡنَا ٱلۡأَرۡضَ شَقّٗا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا حَبّٗا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبٗا وَقَضۡبٗا ﴿٢٨﴾ وَزَيۡتُونٗا وَنَخۡلٗا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلۡبٗا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةٗ وَأَبّٗا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعٗا لَّكُمۡ وَلِأَنۡعَٰمِكُمۡ ﴿٣٢﴾ ﴾ ﴿عبس﴾

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ ﴾ ﴿الانفطار﴾.

﴿ فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّآءٖ دَافِقٖ ﴿٦﴾ يَخۡرُجُ مِنۢ بَيۡنِ ٱلصُّلۡبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴿٧﴾ ﴾ ﴿سورة الطارق﴾.

﴿ سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ﴿١﴾ ٱلَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِيٓ أَخۡرَجَ ٱلۡمَرۡعَىٰ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحۡوَىٰ ﴿٥﴾ ﴾ ﴿الأعلى﴾

﴿ أَلَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ عَيۡنَيۡنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانٗا وَشَفَتَيۡنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ ﴿١٠﴾ ﴾ ﴿البلد﴾.

﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ﴿٥﴾ ﴾ ﴿العلق﴾.

فهـذا المنهج القرآنيُّ الفريد في المخاطبة الوجدانية للقلب، وتنويع أساليب التأثيـر عليـه، هـو أعظم سبيل لغرس التوحيد في النفس، فـلا تزلزله الفتن ولا الابتلاءات.

فالإيمان بعظمة الله تعالى من خلال هذه الدلائل الحسية إذا خالطت بشاشته القلب؛ أثمرت ثماراً يانعة من اليقين والثبات على التوحيد.

وسيأتي الحديث مفصلاً عن هذه الآيات الكونية، وآيات خلق الإنسان - إن شاء الله - في الفصل الثالث " معالم التربية الفكرية"

المبحث الثاني: الإيمان بأسماء الله وصفاته:

ويقصد به: « الاعتقاد الجازم بأن الله عز وجل متصف بجميع صفات الكمال، ومنزه عن جميع صفات النقص، وأنه متفرد بهذا عن جميع الكائنات ».[١]

وشرف العلم يكون بشرف المعلوم، فالكلام عن أسماء الله وصفاته من أشرف العلوم، فالاشتغال بفهم هذا العلم اشتغال بأعلى المباحث، وحصوله للعبد من أشرف المواهب.

فمعرفة الله تعالى تدعو إلى محبته، وخشيته، وخوفه، ورجائه، ومراقبته، وإخلاص العمل له، وهذا هو عين سعادة العبد، ولا سبيل إلى معرفة الله إلا بمعرفة أسمائه الحسنى، والتفقه في معانيها.
ومعرفة الله سبحانه وتعالى بأسمائه الحسنى مما يزيد الإيمان ويرسخه.

قال الشيخ السعدي -رحمه الله-: « معرفة الأسماء الحسنى هي أصل الإيمان، والإيمان يرجع إليها، ومعرفتها تتضمّن أنواع التوحيد الثلاثة، توحيد الربوبيّة، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء، والصفات، وهذه الأنواع هي رُوح الإيمان ورَوحه، وأصله وغايته، فكلّما ازداد العبد معرفة بأسماء الله وصفاته؛ ازداد إيمانه، وقوي يقينه، فينبغي للمؤمن أن يبذل مقدوره ومستطاعه في معرفة الأسماء والصفات»[٢].

وفي هذا الجزء العظيم من القرآن الكريم وردت جملة من الأسماء والصفات، يتجلى فيها هذا المعلم التربويُّ المهم بشكل واضح.

---

(١) ياسين، محمد نعيم. **الإيمان**، ط٦: ١٤٠٨-١٩٨٧، دار الفرقان، عمّان، (٢٢).

(٢) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر. **التوضيح والبيان لشجرة الإيمان**، مطبوع ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ عبد الرحمن السعدي، ط٢: ١٤١٢، مركز صالح بن صالح الثقافي، عنيزة، (١٠٨).

المطلب الأول: توحيد الله تعالى وتعظيمه.

يقول الله تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤ ﴾ ﴿الإخلاص﴾.

فهو سبحانه أحدٌ « قد انحصرت فيه الأحدية، فهو الأحد المنفرد بالكمال، الذي له الأسماء الحسنى، والصفات الكاملة العليا، والأفعال المقدسة، الذي لا نظير له ولا مثيل»[١].

فهو إذن المستحقُ لسائر أنواع العبادات والقربات لأنَّ له الكمالَ المطلقَ في كل شيءٍ: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١ ﴾ ﴿الشورى﴾.

ومن ثَمَّ فلا يجوز أن يكون لغيره نصيب من العبادة أو التقديس، أو يكون له حقٌّ في الحكم أو التشريع، لأن من كمُلتْ صفاته استحق أن يفرد بذلك، أما البشر فهم أهل الضعف والنقص، يجهلون كنه أنفسهم فضلاً عن غيرهم، فليس لهم في العبادة، أو الحكم والتشريع نصيب.

وفي تأكيد هذه الأحدية وتقريرها جاءت بقية آيات هذه السورة، فقوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴾ يعني « السيد الذي قد كمُل في سُؤدَده، والشريف الذي قد كمُل في شرفه، والعظيم الذي قد عظُم في عظمته، والحليم الذي قد كمُل في حلمه، والغني الذي قد كمُل في غناه، والجبَّار الذي قد كمُل في جبروته، والعالم الذي قد كمُل في علمه، والحكيم الذي قد كمُل في حكمته، وهو الذي قد كمُل في أنواع الشرف والسؤدد، وهو الله سبحانه هذه صفته، لا تنبغي إلا له.

والصمد عند العرب: هو السيد الذي يُصمد إليه، الذي لا أحد فوقه، وكذلك

---

(١) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر. **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، ط١: ١٤٢٣، مؤسسة الرسالة، بيروت، (٩٣٧)

تسمى أشرافها؛ ومنه قول الشاعر:

ألا بَكَرَ النَّاعي بِخَيْرَيْ بَنِي أَسَدْ... بِعَمْرِو بْنِ مَسْعُودٍ وبالسَّيِّدِ الصَّمَدْ ».[١]

وقال السعدي-رحمه الله-: «﴿ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴾ أي: المقصود في جميع الحوائج. فأهل العالم العلوي والسفلي مفتقرون إليه غاية الافتقار، يسألونه حوائجهم، ويرغبون إليه في مهماتهم، لأنه الكامل في أوصافه...».[٢]

وثَمَّ تأكيدٌ ثانٍ لأحديته وكمال غناه سبحانه، وهو قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴾، فمن يَلِدُ فسوف يموت ويفنى، ومن يولد فإنه قد سبقه عدم، والله تعالى منزه عن كل ذلك؛ فهو الأول الذي ليس قبله شيءٌ، والآخر الذي ليس بعده شيءٌ.

ويأتي تأكيدٌ ثالثٌ لأحديته سبحانه في هذه السورة أيضاً، وهو قوله سبحانه: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ فهو سبحانه ليس له شبيهٌ ولا عِدلٌ من صاحبةٍ ولا غيرها.

إذن فهذه السورة العظيمة -على إيجازها- تقرر أعظم حقيقة في هذا الوجود؛ وهي توحيد الله تعالى، وتفرده بكلِّ صفات الكمال.

وعندما يتدبر المسلم هذه السورة، ويعيش في ظلالها، ويتمعن في دلالاتها؛ فإنه يتملكه شعورٌ عظيمٌ بإجلال الله تعالى وتعظيمه، وتقديسه وتنزيهه، ومحبته والتعلق به، والركون إليه والتوكل عليه، والاعتماد عليه والثقة به، فلا يفتأ يقرأها ويرددها صباحَ مساءَ، في فرضه ونفله، في حله وترحاله، ولا غرو فهي حقيقة

(١) الطبري، محمد بن جرير. جامع البيان في تأويل القرآن، ١٤٠٥، دار الفكر، بيروت، (٣٤٦/٣٠).
(٢) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مرجع سابق، (٩٣٧)

بذلك؛ لأنها صفة الرحمن سبحانه وتعالى.

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَ رَجُلاً عَلَى سَرِيَّةٍ، وَكَانَ يَقْرَأُ لأَصْحَابِهِ فِي صَلاتِهِمْ، فَيَخْتِمُ بِقُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، فَلَمَّا رَجَعُوا ذَكَرُوا ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: « **سَلُوهُ لأَيِّ شَيْءٍ يَصْنَعُ ذَلِكَ؟** » فَسَأَلُوهُ، فَقَالَ: لأَنَّهَا صِفَةُ الرَّحْمَنِ، وَأَنَا أُحِبُّ أَنْ أَقْرَأَ بِهَا. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: « **أَخْبِرُوهُ أَنَّ اللَّهَ يُحِبُّهُ** ». (١)

وعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قال: كَانَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ يَؤُمُّهُمْ فِي مَسْجِدِ قُبَاءٍ، وَكَانَ كُلَّمَا افْتَتَحَ سُورَةً يَقْرَأُ بِهَا لَهُمْ فِي الصَّلاةِ مِمَّا يُقْرَأُ بِهِ؛ افْتَتَحَ بِقُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ حَتَّى يَفْرُغَ مِنْهَا، ثُمَّ يَقْرَأُ سُورَةً أُخْرَى مَعَهَا، وَكَانَ يَصْنَعُ ذَلِكَ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ، فَكَلَّمَهُ أَصْحَابُهُ، فَقَالُوا: إِنَّكَ تَفْتَتِحُ بِهَذِهِ السُّورَةِ، ثُمَّ لا تَرَى أَنَّهَا تُجْزِئُكَ حَتَّى تَقْرَأَ بِأُخْرَى، فَإِمَّا تَقْرَأُ بِهَا وَإِمَّا أَنْ تَدَعَهَا وَتَقْرَأَ بِأُخْرَى، فَقَالَ: مَا أَنَا بِتَارِكِهَا، إِنْ أَحْبَبْتُمْ أَنْ أَؤُمَّكُمْ بِذَلِكَ فَعَلْتُ، وَإِنْ كَرِهْتُمْ تَرَكْتُكُمْ. وَكَانُوا يَرَوْنَ أَنَّهُ مِنْ أَفْضَلِهِمْ، وَكَرِهُوا أَنْ يَؤُمَّهُمْ غَيْرُهُ. فَلَمَّا أَتَاهُمُ النَّبِيُّ ﷺ أَخْبَرُوهُ الْخَبَرَ. فَقَالَ: « **يَا فُلانُ مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَفْعَلَ مَا يَأْمُرُكَ بِهِ أَصْحَابُكَ وَمَا يَحْمِلُكَ عَلَى لُزُومِ هَذِهِ السُّورَةِ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ** » فَقَالَ: إِنِّي أُحِبُّهَا. فَقَالَ: « **حُبُّكَ إِيَّاهَا أَدْخَلَكَ الْجَنَّةَ** ». (٢)

فمن يقرأ هذه السورة، ويعقل معناها، ويعمل بمقتضاها، أتُراه يعبد غير الله أو يدعوه من دونه ؟!

أم تُراه يتبرك بشجرٍ أو حجر ؟!

أو يطوف بقبرٍ أو وثن ؟!

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل. صحيح البخاري، مرجع سابق، (٦/٢٦٨٦)، رقم الحديث(٦٩٤٠)

(٢) المرجع السابق،(١/٢٦٨) رقم الحديث(٧٤٠)

أم تظنه يستشفي بنبيٍّ أو وليٍّ أو يستغيث به ؟!

وهل يتعلق بتميمةٍ أو ودعة ؟!

أو يأتي ساحراً أو كاهناً ؟!

وهل يبلغ به الجهل بمقام الربوبية أن يحلف أو يستشفع بغير الله ؟!

وهل يعتقد أن أحداً ينفع أو يضر من دون الله ؟!

إن هذه السورة تمثل منهجاً كاملاً في الاعتقاد، يملأ القلب بتعظيم الله وإجلاله؛ ومن ثم ينعكس ذلك التعظيم والإجلال على جميع ما يأتي الإنسان أو يذر.

وتلك المسلَمَات من أسس التوحيد، تقررها هذه السورة وترسخها في النفس.

المطلب الثاني: علمُ الله وإحاطته بكل شيءٍ:

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ﴿٢٩﴾ ﴾ ﴿النبأ﴾.

فكل أعمال العباد محصاةٌ ومكتوبة في اللوح المحفوظ، قبل أن يعملها العباد، خيرِها وشرِّها، لا يعزب منها شيءٌ عن علم الله تعالى وإحاطته.

وقد أحصيت وكتبت عليهم بعد أن عملوها، لذا فهم يشفقون منها يوم القيامة حينما تبدى لهم فيرونها رأي عين فيقولون: ﴿ يَوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ﴾﴿الكهف:٤٩﴾.

وهذه الآية ﴿آية سورة النبأ﴾ من أعظم الدلالات على قدرته تعالى، وسعة علمه وأنه لا يفوته شيء قط، وأنه يعلم بالجزئيات كعلمه بالكليات.

فـ(كل) مـن ألفاظ العمـوم، وإذا دخلت على النكرة « أوجبـت عموم أفرادها على سبيل الشمول »[١]، وقد أضيفت في الآية إلى (شيء) التي هي أعم النكرات.

« فأعم الأسماء وأبهمها (شيء)، وهو يقع على الموجود والمعدوم جميعاً ».[٢]

فـإذن علـم الله تعالى أحاط بـكل شيءٍ من الموجود والمعـدوم، فيشمل ما كان، وما سيكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون...

وإلى هذا المعنى أشار ابن القيم - رحمه الله - في نونيته فقال:

وهو العليم أحاط علما بالذي ... في الـكون مـن سـر ومـن إعـلان

وبكـــل شيء علـمـه سبحـانـه ... فهـو المحيط وليس ذا نسيان

وكذاك يعلم ما يكون غدا وما ... قـد كـان والـمـوجـود فـي ذا الآن

وكذاك أمر لم يكن لو كـــــ ... ـــان كـيـف يـكـون ذا إمـــكـــان[٣]

فكم يمتلىء القلب إجلالاً لله تعالى وخوفاً منه حينما يتدبر المسلم هذه الآية ؟!

فهـل تُـراه يجـرؤ أن يستخفي بعمل سيىءٍ - فضـلاً أن يجاهر به- وهو يعلم أن الله مطلع عليه، وعالم بحاله لا يخفى عليه من أمره مثقال ذرة ؟

وفي تأكيد هذا المعنى جاءت آيات أخرى في هذا الجزء:

فقـد أخبر سبحانـه بعلمه بمكنونات الصدور، وخفايـا النفوس وخباياها، فقال عزَّ وجل: ﴿ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ ﴿الانشقاق﴾.

---

(١) الكفوي، أيوب بن موسى. **الكليات**، ط٢، ١٤١٩، مؤسسة الرسالة، بيروت، (٧٤٢).

(٢) الضرير، القاسم بن محمد. **شرح اللمع في النحو**، ط: ١، ١٤٢٠، مكتبة الخانجي، القاهرة، (١٣١).

(٣) الدمشقي، محمد بن أبي بكر. **متن القصيدتين النونية والميمية**، ١٤٠٧، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، (١٤١-١٤٢).

وبين علمه سبحانه وإحاطته بما يعمله المكذبون، وما يكيدون ويخططون، فقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ﴿٢٠﴾ ﴾ ﴿البروج﴾.

والجهر والسر في علم الله تعالى سواء، قال عزَّ وجلَّ: ﴿ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ﴿٧﴾ ﴾ ﴿الأعلى﴾.

المطلب الثالث: الشهادة على العباد بأعمالهم:

وهذه صفة من صفات الله تبارك وتعالى جاءت في موضعين من هذا الجزء، كلاهما في سورة البروج؛ التي ذكر الله فيها نبأ فتنة المؤمنين عن دينهم:

قال تعالى مقسماً بنفسه في مطلع السورة: ﴿ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴿٣﴾ ﴾[1]

وقال في الموضع الآخر: ﴿ وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٨﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾ ﴾

فالله سبحانه وتعالى يقرر هذه الحقيقة التي لا ينبغي أن يغفل عنها المؤمن، أن كل صغيرة وكبيرة تقع في ملك الله تعالى في هذا الكون؛ فالله تعالى شهيد عليها..

فما أوسعَ ملك الله تعالى !!

وما أعظمَ سلطانه جلَّ وعلا !!

فحين يقارف العاصي معصيته، ويستخفي بها عن أعين الخلق؛ فإنه ليس بخارجٍ عن شهادة الله تعالى وسلطانه، ولكنَّ الله يحلم عليه، ويمهله لعله يتوب ويرجع.

---

(١) ذكر هذا القول كثير من المفسرين ومنهم ابن كثير (٤/ ٦٣٤)، وقد ذُكرت أقوال كثيرة في معنى الشاهد والمشهود في الآية، أوصلها ابن الجوزي في «زاد المسير» (٩/ ٧٠-٧٣) إلى أربعة وعشرين قولاً.

والمؤمن الذي يوقن بأن الله شهيد عليه ومراقب له في كل أحواله، يترفع أن يراه الله حيث نهاه، أو يفقده حيث أمره.

وذلك المبتلى الذي طال ابتلاؤه، وساءت به الظنون، وأخذ يغالب نفسه على الصبر ويشق عليه، ينبغي أن يتذكر أن الله يراه، ويعلم بحاله، وأنه قادر على رفع بلائه، ولكنَّه تعالى له في ذلك حِكَمٌ لا يعلمها إلا هو سبحانه، وهي خير للعبد عاجلاً وآجلاً.

والمظلوم المقهور الذي انتهكت حرمته، أو انتقص من عرضه، وقد خذله أقرب الناس إليه؛ فليعلم أن كلَّ ذلك يقع في سلطان الله تعالى، وهو شهيد عليه، وأن فرجه آتٍ لا محالة...

وأولئك الذين احتلت أوطانهم، وشردوا من ديارهم، وبيعت أوطانهم لأعدائهم بثمنٍ بخس، ينبغي أن يتذكروا أن الله على كل شيءٍ شهيد، وأن نصره آت لا محالة، ولكن في الابتلاء حكَمٌ وأسرار...

والمؤمنون المستضعفون في دينهم؛ الذين نقَم منهم أعداؤهم إيمانهم بالله العزيز الحميد؛ ينبغي أن يتذكروا أن الله شهيد على كل شيءٍ، وأن الابتلاء سنة ماضية في الدعاة والمصلحين، وأن العاقبة للمتقين...

المطلب الرابع: قوة بطشه تعالى بأعدائه وأليم انتقامه منهم:

في آيات هذا الجزء عدة دلائل على قدرة الله تعالى وقوة بطشه بأعدائه.

فحينما ذكر الله قصة أصحاب الأخدود، الذين عذبوا المؤمنين، وأرادوا فتنتهم عن دينهم، توعدهم سبحانه بنقمته وأليم عذابه فقال: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾﴾ [البروج].

فذِكْر البطش، وهو تناول الشيء بصولة وشدة وقوة، وإضافته إلى الربوبية يفيد معنىً إضافياً في الشدة والقوة « فالبطش الشديد هو بطش الجبار. الذي له ملك السماوات والأرض. لا بطش الضعاف المهازيل، الذين يتسلطون على رقعة من الأرض محدودة، في رقعة من الزمان محدودة». [١]

ثم إضافته أيضاً إلى كاف الخطاب للنبي ﷺ، يفيدُ معنى آخر لطيفاً، وهو أن هذا البطش هو بطش « ربك الذي تنتسب إلى ربوبيته، وسندك الذي تركن إلى معونته ».[٢]

فلا ينبغي أن يصاب المؤمن بالضعف والوهن، حين يرى تسلط الأعداء، وقوتهم، وبأسهم، وما أوتوا من زينة وأموال في الحياة الدنيا؛ فإن ذا البطش الشديد هو الله سبحانه وتعالى، وهو منتقم لأوليائه متى يشاء، لا معقب لحكمه ولا راد لأمره. فلا ينبغي أن يستبطئ المؤمن نصر الله.

إن النصر للداعية والعالم قد لا يراه في حياته، كحال بعض الأنبياء والرسل عليهم السلام، الذين انتقم الله لهم من أعدائهم بعد مماتهم.

قال الطبري – رحمه الله – : « قد كانت الأنبياء والمؤمنون يقتلون في الدنيا وهم منصورون، وذلك أن تلك الأمة التي تفعل ذلك بالأنبياء والمؤمنين لا تذهب، حتى يبعث الله قوماً؛ فينتصر بهم لأولئك الذين قتلوا منهم»[٣].

وقال ابن كثير – رحمه الله –: « المراد بالنصر الانتصار لهم ممن آذاهم، وسواء كان ذلك بحضرتهم، أو في غيبتهم، أو بعد موتهم، كما فُعِلَ بقتلة يحيى

(١) قطب، سيد. في ظلال القرآن، مرجع سابق، (٦/٣٨٧٥)

(٢) المرجع السابق، (٦/٣٨٧٥)

(٣) الطبري، محمد بن جرير. جامع البيان في تأويل القرآن، مرجع سابق، (٢١/٤٠١)

وزكريا وشعياء، سُلط عليهم من أعدائهم من أهانهم وسفك دماءهم، وقد ذُكر أن النمروذ أخذه الله أخذ عزيز مقتدر، وأما الذين راموا صلب المسيح عليه السلام من اليهود، فسلط الله عليهم الروم فأهانوهم وأذلوهم، وأظهرهم الله عليهم. ثم قبل يوم القيامة سينزل عيسى بن مريم إماماً عادلاً وحكماً مقسطاً، فيقتل المسيح الدجال وجنوده من اليهود، ويقتل الخنزير، ويكسر الصليب، ويضع الجزية فلا يقبل إلا الإسلام.

وهذه نصرة عظيمة، وهي سنة الله في خلقه في قديم الدهر وحديثه: أنه ينصر عباده المؤمنين في الدنيا، ويقر أعينهم ممن آذاهم، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ أنه قال: « **يقول الله تعالى: من عادى لي وليا فقد بارزني بالحرب** »[(١)]؛ ولهذا أهلك تعالى قوم نوح وعاد وثمود، وأصحاب الرس، وقوم لوط، وأهل مدين، وأشباههم وأضرابهم ممن كذب الرسل وخالف الحق. وأنجى الله من بينهم المؤمنين، فلم يهلك منهم أحدًا، وعذب الكافرين، فلم يفلت منهم أحدا.

قال السُّديُّ - رحمه الله -: لم يبعث الله رسولاً قط إلى قومٍ فيقتلونه، أو قوماً من المؤمنين يدعون إلى الحق فيقتلون، فيذهب ذلك القرن حتى يبعث الله لهم من ينصرهم، فيطلب بدمائهم ممن فعل ذلك بهم في الدنيا.

قال: فكانت الأنبياء والمؤمنون يقتلون في الدنيا، وهم منصورون فيها »[(٢)].

---

(١) البيهقي، أحمد بن الحسين. **السنن الكبرى**، ١٤١٤،مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، (٢٤٦/٣) رقم الحديث(٦٨١١). وصححه الألباني في تخريجه لكتاب الإيمان لابن تيمية (١٥٩)

(٢) الدمشقي، إسماعيل بن كثير. **تفسير القرآن العظيم**، ط٢: ١٤١٧، مؤسسة الريان، مكتبة المعارف، بيروت، (١٠٦/٤).

وعند تأمل الآيات في صدر سورة الفجر؛ نرى فيها تأكيداً لهذا المعنى وتقريراً له:

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ۝٧ ٱلَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي ٱلْبِلَـٰدِ ۝٨ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ۝٩ وَفِرْعَوْنَ ذِي ٱلْأَوْتَادِ ۝١٠ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِي ٱلْبِلَـٰدِ ۝١١ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ۝١٢ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ۝١٣ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ۝١٤ ﴾

« تلك سنة الله في أخذ المكذبين والطغاة، في حدود تقدير الحكيم الذي يجعل لكلِّ شيءٍ أجلاً، ولكلِّ حادثٍ موعداً، ولكلِّ أمرٍ غايةً، ولكلِّ قَدَرٍ حكمةً ».[١]

فلِمَ ينسى المكلومون الموجعون من ظلم الظالمين، وقهر الجبارين، أن ربهم يقول: ﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ۝١٢ ﴾؟!

ولِمَ يرضخ المبتلَون، ويتخلون عن مبادئهم، حين يرون بطش الكافرين وقوتهم ؟! وينسون أن بطش الله أشدُّ وأقوى.

إن معرفة الله تعالى الذي هذه إحدى صفاته؛ لَتَسكُب في القلب طمأنينة وسكينة؛ يستطيع بها الصبر على تتابع البلاء، وتأخر النصر الظاهر.

المطلب الخامس: كرم الله سبحانه وتعالى:

قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَـٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦ ﴾ ﴿الانفطار﴾

فهذه الآية جاء فيها هذا الاسم الإلهي العظيم "الكريم"، في سياق تذكير الإنسان ببعض النعم التي أنعم الله بها عليه، وحثه على شكرها بالإيمان بالله تعالى وطاعته، والبعد عن معصيته.

وقد ورد هذا الاسم في هذا السياق دون غيره « للتذكير بنعمته على الناس، ولطفه بهم، فإن الكريم حقيق بالشكر والطاعة»[٢]

(١) قطب، سيد. في ظلال القرآن، مرجع سابق، (٣٩١٩/٦).

(٢) ابن عاشور، محمد الطاهر. تفسير التحرير والتنوير، ط١: ١٤٢٠، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، (١٥٥/٣٠)

وجاء ذكر هذه الصفة في موضع آخر من هذا الجزء، وذلك في قوله تعالى: ﴿ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ﴾ «العلق».

وها هنا جاءت صفة الكرم لله سبحانه وتعالى في هذه الآية على نحو مختلف عن الآية السابقة، وعن بقية الأسماء والصفات في سائر آيات القرآن، عدا اسم «الأعلى» وسيأتي الحديث عنه.

فاسم الله تعالى «الأكرم» جاء على وزن «أفعل» التفضيل وعرف بـ «ال»، وفي ذلك لطائف وفوائد، ذكرها بعض المفسرين.

قال الخازن - رحمه الله -: «﴿ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ﴾ يعني الذي لا يوازيه كريم ولا يعادله في الكرم نظير، وقد يكون الأكرم بمعنى الكريم، كما جاء الأعز بمعنى العزيز، وغاية الكريم إعطاؤه الشيء من غير طلب العوض، فمن طلب العوض فليس بكريم، وليس المراد أن يكون العوض عيناً، بل المدح والثّواب عوض، والله سبحانه وجلَّ جلاله وتعالى علاؤه وشأنه يتعالى عن طلب العوض، ويستحيل ذلك في وصفه لأنه أكرم الأكرمين، وقيل: الأكرم هو الذي له الابتداء في كل كرم وإحسان، وقيل: هو الحليم عن جهل العباد، فلا يعجل عليهم بالعقوبة، وقيل: يحتمل أن يكون هذا حثاً على القراءة، والمعنى اقرأ وربك الأكرم؛ لأنه يجزي بكل حرف عشر حسنات».[1]

وقال الخطيب الشربيني - رحمه الله -: «﴿ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ﴾ أي: الزائد في الكرم على كل كريم، فإنه ينعم على عباده النعم التي لا تحصى، ويحلم عنهم ولا يعاجلهم بالعقوبة، مع كفرهم وجحودهم لنعمه، وركوبهم المناهي في إطراحهم الأوامر، ويقبل توبتهم ويتجاوز عنهم، بعد اقتراف العظائم، فما لكرمه غاية ولا أمد...».[2]

---

(١) البغدادي، علي بن محمد. **لباب التأويل في معاني التنزيل» تفسير الخازن»**، ط:١، ١٤١٥، دار الكتب العلمية، بيروت، (٤٦١/٦).

(٢) الشربيني، الخطيب. **السراج المنير**، ط١، ١٤٢٥، دار إحياء التراث، بيروت. (٣٨٢/٨).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: « ولفظ الكرم لفظ جامع للمحاسن والمحامد. لا يراد به مجرد الإعطاء، بل الإعطاء من تمام معناه، فإن الإحسان إلى الغير تمام المحاسن. والكرم كثرة الخير ويسرته... وهو سبحانه أخبر أنه الأكرم بصيغة التفضيل والتعريف لها. فدلَّ على أنه الأكرم وحده، بخلاف ما لو قال: ﴿وربك أكرم﴾. فإنه لا يدلُّ على الحصر، وقوله: ﴿ٱلْأَكْرَمُ﴾ يدلُّ على الحصر. ولم يقل: ﴿الأكرم من كذا﴾، بل أطلق الاسم ليبين أنه الأكرم مطلقًا غير مقيد. فدلَّ على أنه متصف بغاية الكرم الذي لا شيء فوقه ولا نقص فيه...».[1]

فهذه الصفة الإلهية العظيمة تثمر ثماراً عظيمة في حياة المسلم، فهو يجتهد ويسعى في مرضاة الله تعالى، ويسابق إلى الأعمال الصالحة؛ لأنه يعامل الكريم سبحانه وتعالى، صاحبَ العطايا والمنن.

فعَنْ أَبِي سَعِيد رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: « **مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَدْعُو بِدَعْوَةٍ لَيْسَ فِيهَا إِثْمٌ، وَلَا قَطِيعَةُ رَحِمٍ، إِلَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ بِهَا إِحْدَى ثَلَاثٍ: إِمَّا أَنْ تُعَجَّلَ لَهُ دَعْوَتُهُ، وَإِمَّا أَنْ يَدَّخِرَهَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ، وَإِمَّا أَنْ يَصْرِفَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا** ». قَالُوا: إِذًا نُكْثِرُ. قَالَ ﷺ: « **اللَّهُ أَكْثَرُ** ».[2]

ومن كرم الله تعالى أنه يجازي على الحسنة بعشر أمثالها ويضاف لمن يشاء، وأما السيئة فلا تكتب إلا واحدة قال الله تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾﴾ ﴿الأنعام﴾.

بل إن كرم الأكرم سبحانه ليبلغ أعظم من ذلك، فقد جاء في الصحيحين من حديث ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ فِيمَا يَرْوِي عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ:

---

(١) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم. **مجموع الفتاوى**، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، (١٦/٢٩٥)

(٢) الترمذي، محمد بن عيسى. **سنن الترمذي**، ط١: ١٤١٠، مكتبة الرشد، الرياض، (٥/٥٦٦) رقم الحديث (٣٥٧٣). وصححه الألباني في صحيح الترمذي (٢٨٢٧)

« إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ. ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ؛ فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ، إِلَى سَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ، إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ. وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً ».[١]

بل أعظم من ذلك أيضاً، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: « مَا تَصَدَّقَ أَحَدٌ بِصَدَقَةٍ مِنْ طَيِّبٍ، وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا الطَّيِّبَ؛ إِلَّا أَخَذَهَا الرَّحْمَنُ بِيَمِينِهِ، وَإِنْ كَانَتْ تَمْرَةً، فَتَرْبُو فِي كَفِّ الرَّحْمَنِ حَتَّى تَكُونَ أَعْظَمَ مِنْ الْجَبَلِ، كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ، أَوْ فَصِيلَهُ».[٢]

ومضاعفة الحسنات في الأعمال الصالحة، كالطهارة والأذان والصلاة والصوم والصدقة والحج والعمرة...إلخ باب يطول الحديث فيه. وكل ذلك من آثار هذا الاسم الجليل« الأكرم ».

والمسلم يتعلم من هذه الصفة العطاء بلا مَنٍّ، لأن العطاء في الحقيقة هو عطاء الله تعالى وفضله، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: « أَنْفِقْ أُنْفِقْ عَلَيْكَ » وَقَالَ رسول الله ﷺ: « يَدُ اللَّهِ مَلْأَى لَا تَغِيضُهَا نَفَقَةٌ سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ» وَقَالَ: « أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ فَإِنَّهُ لَمْ يَغِضْ مَا فِي يَدِهِ ».[٣]

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل. صحيح البخاري، مرجع سابق، (٥/٢٣٨٠) رقم الحديث (٦١٢٦)
(٢) النيسابوري، مسلم بن الحجاج. صحيح مسلم، مرجع سابق، (٥/١٩٠) رقم الحديث(١٦٨٤)
(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل. صحيح البخاري، مرجع سابق، (٤/١٧٢٤) رقم الحديث (٤٤٠٧)

المطلب السادس: علو الله تعالى المطلق:

ورد اسم الله الأعلى في هذا الجزء في موضعين، مطلقاً مُعرَّفاً مراداً به العلمية، ودالاً على الوصفية وكمالها، قال تعالى: ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾ ﴾ ﴿الأعلى﴾، ففي هذا الموضع ورد مُعرَّفاً مطلقاً مسنداً إليه المعنى محمولاً عليه في قوله: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ ﴾، وقد ورد هذا الاسم أيضا في قوله: ﴿ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ ﴾ ﴿الليل﴾.

والأعلى في اللغة: من صيغ أفعل التفضيل، فِعْله: علا يعلو علواً، فالأعلى هو الذي ارتفع عن غيره وفاقه في وصفه،

قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾ ﴾ ﴿النحل﴾،

﴿ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ﴾ ﴿الروم﴾.

والعلو له أنواع ثلاثة. علو الذات، وعلو الشأن، وعلو القهر، وكلها ثابتة لله تعالى.

واسم الله الأعلى دلَّ على علو الشأن، فالله عز وجل تعالى عن جميع النقائص والعيوب المنافية لإلهيته وربوبيته.

فالله تعالى في أحديته عن الشريك والظهير والولي والنصير:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ ﴿سبأ﴾.

وتعالى الله سبحانه في عظمته عن الشفيع دون إذن أو خضوع:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾ ﴿البقرة:٢٥٥﴾،

﴿ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾ ﴾ ﴿طه﴾ ،

﴿ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ﴾ ﴿سبأ:٢٣﴾،

﴿ وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ ﴾ ﴿الزخرف﴾

وتعالى الله جل جلاله في صمديته عن الصاحبة والولد، وأن يكون له كفوا أحد:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾ ﴾ ﴿الإخلاص﴾.

وتعالى الله عز شأنه في كمال حياته وقيوميته عن السنة والنوم:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ ﴿البقرة:٢٥٥﴾

وتعالى الله تباركت أسماؤه في كمال قدرته وحكمته عن العبث والظلم:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ ﴾ ﴿المؤمنون﴾.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾ ﴿النساء﴾.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ ﴿يونس﴾.

وتعالى الله سبحانه في كمال علمه عن الغفلة والنسيان:

﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾ ﴾ ﴿مريم﴾

﴿ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾ ﴾ ﴿يونس﴾.

وتعالى الله عز وجل عن ترك الخلق سدى دون غاية لخلقهم:
قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ ﴾ ﴿القيامة﴾.

وتعالى الله تقدست أسماؤه في كمال غناه فهو يُطْعِمُ وَلا يُطْعَمُ ويرزُق ولا يُرزَق:
قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ﴾ ﴿الأنعام: ١٤﴾

﴿ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ ﴾ ﴿الذاريات﴾

فكل صفات الكمال ونعوت الجلال فلله سبحانه أعلاها وأسناها وأكملها:
﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾ ﴾ ﴿النحل﴾.

قال البغويُّ - رحمه الله -: « جميع صفات الجلال والكمال، من العلم، والقدرة، والبقاء، وغيرها من الصفات ».[1]

وقال السعدي - رحمه الله - : « ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ وهو كل صفة كمال، وكل كمال في الوجود فالله أحق به من غير أن يستلزم ذلك نقصا بوجه، وله المثل الأعلى في قلوب أوليائه، وهو التعظيم، والإجلال، والمحبة، والإنابة، والمعرفة ».[2]

فتعالى الله في صفات كماله ونعوت جلاله عن التعطيل والتمثيل،
قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ ﴾ ﴿مريم﴾.

وجاء في هذا الجزء أيضاً إثبات علو الذات في قوله تعالى:
﴿ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ ﴾ ﴿البروج﴾.

فهو سبحانه وتعالى مستو على عرشه، بائن من خلقه، لا شيء من ذاته في خلقه، ولا خلقه في شيء من ذاته، وهو من فوق عرشه يعلم أعمالهم، ويسمع

(١) البغوي، الحسين بن مسعود. **معالم التنزيل**، ط١: ٢٠٠٢، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، (٦٢٠/٢)
(٢) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر. **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، مرجع سابق، (٤٤٢)..

أقوالهم، ويرى أفعالهم، لا تخفى منهم خافية.

والأدلة في ذلك أكثر من أن تحصى، وأجل من أن تستقصى، والفطرة السليمة والنفوس المستقيمة مجبولة على الإقرار بذلك.

إن حياة الإنسان لتصلح، فتزكو نفسه حين يوقن بعلو الله على كل شيء، وعلمه كذلك بكل شيء.

فإذا آمن الإنسان بهذه الصفة، وعلم بأن الله فوق كل شيءٍ، فإنه يعرف عظمة سلطانه سبحانه على خلقه، فيخافه ويعظمه، ومن ثَمَّ فإنه يتقيه بالقيام بالواجبات وترك المحرمات.

وكم يحتاج الإنسان أن يغرس هذه الصفة في نفسه ويعمقها ويتعاهدها دائماً.

وكذلك نحتاج أن نغرسها في قلوب أولادنا؛ ليبقى تعظيم الله في قلوبهم حائلاً بينهم وبين المعاصي والآثام.

ومن الآثار المباركة لهذا الاسم الإلهي العظيم «الأعلى»: أن يحرص العبد على الأعمال الصالحة التي تعلي مكانته ومنزلته عند الله، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾ «المجادلة».

وجاء في كثير من الأحاديث ذكر بعض الأعمال التي ينال صاحبها بها الدرجات العلى في الآخرة، فمن ذلك:

صلاة الجماعة:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**صَلاَةُ الرَّجُلِ فِي جَمَاعَةٍ، تَزِيدُ عَلَى صَلاَتِهِ فِي بَيْتِهِ، وَصَلاَتِهِ فِي سُوقِهِ، بِضْعًا وَعِشْرِينَ دَرَجَةً،**

وَذَلِكَ أَنَّ أَحَدَهُمْ إِذَا تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ، ثُمَّ أَتَى الْمَسْجِدَ لاَ يَنْهَزُهُ إِلاَّ الصَّلاَةُ، لاَ يُرِيدُ إِلاَّ الصَّلاَةَ، فَلَمْ يَخْطُ خَطْوَةً إِلاَّ رُفِعَ لَهُ بِهَا دَرَجَةٌ، وَحُطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ، حَتَّى يَدْخُلَ الْمَسْجِدَ، فَإِذَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ، كَانَ فِي الصَّلاَةِ مَا كَانَتِ الصَّلاَةُ هِي تَحْبِسُهُ، وَالْمَلاَئِكَةُ يُصَلُّونَ عَلَى أَحَدِكُمْ مَا دَامَ فِي مَجْلِسِهِ الذِي صَلَّى فِيهِ، يَقُولُونَ اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللَّهُمَّ تُبْ عَلَيْهِ، مَا لَمْ يُؤْذِ فِيهِ، مَا لَمْ يُحْدِثْ فِيهِ »[١].

ذكر الله والصلاة على رسوله ﷺ :

عَنْ أَبِي عَيَّاشٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « مَنْ قَالَ إذا أَصْبَحَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، كَانَ لَهُ كَعَدْلِ رَقَبَةٍ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَكُتِبَ لَهُ بِهَا عَشْرُ حَسَنَاتٍ، وَحُطَّ عَنْهُ بِهَا عَشْرُ سَيِّئَاتٍ، وَرُفِعَتْ لَهُ بِهَا عَشْرُ دَرَجَاتٍ .... »[٢]

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « إن جبريل جاءني فقال: من صلى عليك واحدة؛ صلى الله عليه عشراً، و رفع له عشر درجات »[٣]

البلاء والتمحيص :

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: « إن الصالحين يشدد عليهم، وإنه لا يصيب مؤمناً نكبة من شوكة فما فوق ذلك؛ إلا حطت عنه بها خطيئة، ورفع له بها درجة ».[٤]

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل. صحيح البخاري، مرجع سابق، (٧٤٦/٢) رقم الحديث (٢٠١٣).

(٢) السجستاني، سليمان بن الأشعث. سنن أبي داود، دار الفكر، (٩١٣/٤) رقم الحديث (٧٧٠٥). وصحح الألباني في صحيح أبي داود (٧٧٠٥)

(٣) المقدسي، محمد بن عبد الواحد. الأحاديث المختارة. ط١: ١٤١٠، مكتبة النهضة الحديثة، مكة المكرمة، (١٨٧/١)، رقم الحديث(٩٣) . وحسنه الألباني في صحيح الأدب المفرد (٤٩٩)

(٤) الهيثمي، علي بن أبي بكر. مجمع الزوائد،١٤١٢، دار الفكر، بيروت، (١٢/٣) رقم الحديث (٣٧٣٩). وصحح الألباني في صحيح الجامع (٢٥٤٠)

كثرة السجود :

عن عبادة بن الصامت ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: « **ما من عبد يسجد لله سجدة إلا كتب الله له بها حسنة، وحط عنه بها سيئة، ورفع له بها درجة، فاستكثروا من السجود** ».[١]

الذكر عند دخول السوق:

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: « **من دخل السوق فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي و يميت وهو حي لا يموت بيده الخير، وهو على كل شيء قدير. كتب الله له ألف ألف حسنة، ومحا عنه ألف ألف سيئة، ورفع له ألف ألف درجة، وبنى له بيتا في الجنة** ».[٢]

قال القرطبي - رحمه الله -: « فعلى قدر الإيمان وكثرة الأعمال يكون كمال العلو في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡأَبۡرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ﴾ فيجتهد الإنسان أن يكون من الأبرار المقربين؛ ليكون في عليين، وأصحاب عليين هم جلساء الرحمن، وهم أصحاب المنابر من النور في المقعد الصدق، فعن عَبْد اللَّه بْن عَمْرو رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ : « **إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللَّه عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا** »[٣]. وأما أصحاب اليمين ففي علو الجنان أيضاً، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهۡ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٖ ﴿٢٢﴾ ﴾ ﴿الحاقة﴾

(١) القزويني، محمد بن يزيد. **سنن ابن ماجه**، دار الفكر، بيروت، (١/٤٥٧) رقم الحديث(١٤٢٣). وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه(١١٧١).

(٢) الترمذي، محمد بن عيسى. **سنن الترمذي**، مرجع سابق، (٥/٤٧١) رقم الحديث(٣٤٢٨). وحسنه الألباني في صحيح الترمذي (٢٧٢٦)

(٣) المرجع السابق، (٥/٤٧١) رقم الحديث(٣٤٢٨). وحسنه الألباني في صحيح الترمذي (٢٧٢٦)

وأنشد بعضهم:

ألا يا عين ويحك أسعديني بغزو الدمع في ظلم الليالي
لعلك في القيامة أن تفوزي بخير الدار في تلك العلالي [١]

ومن الآثار التربوية للإيمان بهذا الاسم: التواضع والتذلل لله سبحانه، والخضوع لعظمته عز وجل؛ فتثوب النفس إلى مقام العبودية، وتطامن من كبريائها وطغيانها؛ لأنها تُرد إلى مخافة الله ومهابته؛ وإلى الشعور بجلاله وعظمته؛ وإلى الأدب في حقه والتحرج من الاستكبار على عباده.

ومن الآثار كذلك: الحذر من الظلم والتجبر على الناس، فإن من دعته قدرته إلى ظلم الناس والتجبر عليهم؛ فليتذكر أن قدرة الله سبحانه أعظم من قدرته على غيره، وهو تعالى مع ذلك يتجاوز عن السيئات، فينبغي أن يتجاوز هو عن أخطاء الناس وزلاتهم.

ومن الآثار أيضاً: اليقين بنصر الله لأوليائه المؤمنين وإعلائه لدينه، فدينه سبحانه وتعالى لا شك أنه عالٍ ومنصور؛ لأنه دين العلي الكبير سبحانه، فينبغي أن يجدد المؤمن هذا المعنى في نفسه، وأن يبذل وسعه لنصرة الدين؛ لينال هذا الشرف وتلك المكانة.

والدين منصور ولا شك، ولكن الشرف كل الشرف أن ينال الإنسان فضل المشاركة في نصرته وإعلائه.

---

(١) النيسابوري، مسلم بن الحجاج. **صحيح مسلم**، دار إحياء التراث، (١٤٥٨/٣)، رقم الحديث(١٨٢٧)

المطلب السابع: حبُّ الله لعباده ورضاه عنهم:

ورد اسم « الودود » في هذا الجزء مرة واحدة، وهي الموضع الثاني والأخير في القرآن الكريم لهذا الاسم. يقول تعالى في سورة البروج: ﴿ وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلۡوَدُودُ ١٤ ﴾

والودود « فعول » بمعنى « فاعل »، وبمعنى « مفعول ».

ومعناه: الذي يحب أنبياءه ورسله وأتباعهم، ويحبونه، فهو أحب إليهم من كل شيء، قد امتلأت قلوبهم من محبته، ولهجت ألسنتهم بالثناء عليه، وانجذبت أفئدتهم إليه وداً وإخلاصاً وإنابة من جميع الوجوه.(١)

وفي سورة البينة ذكر الله تعالى عباده المؤمنين، ونعتهم بأنهم خير المخلوقات، ثم ذكر جزاءهم يوم القيامة، وبين ما نالوه من نعيم عظيم. وهو غاية كل مؤمن ومؤمنة. ألا وهو رضا الله تعالى عنهم فقال:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ٧ جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ ٨ ﴾.

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « **إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ، فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لَا نَرْضَى؛ وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، فَيَقُولُ: أَنَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ؛ قَالُوا: يَا رَبِّ، وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُ: أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي؛ فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا** ».(٢)

(١) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مرجع سابق، (٩٤٧)

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل. صحيح البخاري، مرجع سابق، (٥/٢٣٩٨) رقم الحديث(٦١٨٣)

والودود اسم يفيض على القلب طمأنينة وسكوناً، وراحة وانشراحاً، ويدفع المؤمن للبحث عن محبوبات الله تعالى ومراضيه، ليترقى في مقامات المحبة ويعلو فيها.

وقد وردت نصوص كثيرة في ذكر محبة الله تعالى لبعض الأفعال والأقوال، فمنها:

الإحسان في العمل والإتقان فيه:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾ ﴾ ﴿البقرة﴾ وعن عائشة رضي الله عنها، أن رسول الله ﷺ قال: « **إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه** ».(١)

التوبة:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ ﴾ ﴿البقرة : ٢٢٢﴾ ، وعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « **اللَّهُ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ سَقَطَ عَلَى بَعِيرِهِ وَقَدْ أَضَلَّهُ فِي أَرْضٍ فَلَاةٍ** »(٢).

الطهارة:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ ﴾ ﴿البقرة﴾.

اتباع النبي ﷺ والحرص على سنته:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ ﴿آل عمران: ٣١﴾.

---

(١) التميمي، أحمد بن علي. **مسند أبي يعلى**، ط١: ١٤٠٤، دار المأمون للتراث، دمشق، (٣٤٩/٧) رقم الحديث(٤٣٨٦). وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٢٧٦١).

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل. **صحيح البخاري**، مرجع سابق، (٢٣٢٥/٥) رقم الحديث(٥٩٥٠)

الوفاء بالعهد والتقوى والإخلاص:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾ ﴾ ﴿آل عمران﴾.

وعن سعد بن أبي وقاص قال: قال رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: « **إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ التَّقِيَّ الْغَنِيَّ الْخَفِيَّ** »[1]

الصبر:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ ﴾ ﴿آل عمران﴾.

التوكل على الله:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ ﴿آل عمران﴾.

العدل والقسط في الحكم:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ ﴿المائدة﴾.

الذلة للمؤمنين والعزة على الكافرين والجهاد في سبيل الله:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ﴾ ﴿المائدة: ٥٤﴾.

إلى غير ذلك من الأعمال التي يحبها الله ويرضاها[2]

(١) النيسابوري، مسلم بن الحجاج. **صحيح مسلم**، مرجع سابق، (٤/٢٢٧٧) رقم الحديث(٢٩٦٥)

(٢) ثمة رسالة لطيفة في هذا الباب بعنوان «أقوام يحبهم الله» للأخ محمد عبد الرحمن الغامدي، فلتراجع.

المطلب الثامن: مجيء الله تعالى يوم القيامة:

وهذه صفة من الصفات الفعلية الثابتة لله تعالى بنصوص القرآن والسنة، وهو مجيء يليق به سبحانه وتعالى، لا يشبه مجيء المخلوقين.

وقد جاءت هذه الصفة في سورة الفجر حين ذكر الله تعالى يوم القيامة وما يحصل فيه من أحوال وأهوال فقال سبحانه: ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِاْيٓءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾﴾.

ففي ذلك اليوم العظيم المهول الطويل، الذي يقف الناس فيه خمسين ألف عام، قبل أن يفصل الله في القضاء، فتجمع الخلائق جميعاً من لدن آدم عليه السلام إلى آخر من تقوم عليه الساعة؛ فيعظم الكرب، وتجثو الأمم على الركب، ويخشى كلُّ إنسان مغبة ما عمل في الدنيا، فهنا تُبدى السرائر، ويحاسب العبد على الكبائر والصغائر، ويبلغ بالناس حرُّ الشمس مبلغاً عظيماً، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: « **يَعْرَقُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّى يَذْهَبَ عَرَقُهُمْ فِي الْأَرْضِ سَبْعِينَ ذِرَاعًا، وَيُلْجِمُهُمْ حَتَّى يَبْلُغَ آذَانَهُمْ** »[1]، وذلك أن الشمس قد دنت منهم، فعن الْمِقْدَادُ بْنُ الأَسْوَدِ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: « **تُدْنَى الشَّمْسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْخَلْقِ، حَتَّى تَكُونَ مِنْهُمْ كَمِقْدَارِ مِيلٍ** ». قَالَ سُلَيْمُ بْنُ عَامِرٍ: فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا يَعْنِي بِالْمِيلِ؟ أَمَسَافَةَ الأَرْضِ؟ أَمِ الْمِيلَ الذي تُكْتَحَلُ بِهِ الْعَيْنُ؟. قَالَ: « **فَيَكُونُ النَّاسُ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ فِي الْعَرَقِ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى كَعْبَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى حَقْوَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ الْعَرَقُ إِلْجَامًا** ». قَالَ: وَأَشَارَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدِهِ إِلَى فِيهِ.[2]

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل. **صحيح البخاري**، مرجع سابق، (٥/٢٣٩٣) رقم الحديث(٦١٦٧)

(٢) النيسابوري، مسلم بن الحجاج. **صحيح مسلم**، مرجع سابق، (٤/٢١٩٦) رقم الحديث(٢٨٦٤)

ففي هذه الأهوال والأمور العظام يكون مجيء الجبار سبحانه وتعالى لفصل القضاء، فيحاسب كل إنسان بما قدم، فعَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « **مَا مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ، فَيَنْظُرُ أَيْمَنَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ مِنْ عَمَلِهِ، وَيَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلَا يَرَى إِلَّا النَّارَ تِلْقَاءَ وَجْهِهِ، فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ** » وفي رواية: « **وَلَوْ بِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ** »[١]

وحين يؤمن العبد بهذه الصفة الإلهية العظيمة؛ فإن قلبه يمتلىء بتعظيم الله وإجلاله؛ مما يدفعه للاستعداد لذلك المقام العظيم، والحساب الشديد.

نسأل الله السلامة والعافية.

المطلب التاسع: كيد الله تعالى بمن يستحقه:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ ﴾ «الطارق».

فهذه الصفة من صفات الكمال التي يوصف الله تعالى بها، فهو سبحانه يعلم خبايا الأمور ومآلاتها، ولا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء. وبالتالي فإنه يكيد لأعدائه ويستدرجهم من حيث لا يشعرون.

والكيد هو التوصل بالأسباب الخفية إلى الإيقاع بالخصم. وهي في محلها صفة كمال يُحمد عليها، وفي غير محلها صفة ذم.

وهذه الصفة من الصفات الفعلية التي لا يوصف الله بها على سبيل الإطلاق، بل قد جاءت في هذه الآية وغيرها في مقابل كيد الكافرين الذين يستحقون ذلك الكيد.[٢]

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل. **صحيح البخاري**، مرجع سابق، (٦/٢٧٢٩) رقم الحديث (٧٠٧٤)

(٢) انظر: **شرح العقيدة الواسطية**، محمد بن صالح العثيمين، (١/٣٣٥)

فذلك الكيد الذي يكيده أعداء الله ظاهراً وباطناً، ليس بخافٍ عليه سبحانه، ولكنه يستدرجهم من حيث لا يعلمون، ثم ينزل بهم عذاب الله ونقمته.

ولنتأمل هذه اللفظة الدالة على هذه الصفة في القرآن العظيم؛ ليظهر لنا جلياً أثر الإيمان بهذه الصفة الإلهية العظيمة، وآثارها المسلكية في حياة المسلم:

- جاء في موضعين من القرآن الكريم بيان متانة كيده وقوته، وأنه شديد لا يطاق، ولا حيلة في دفعه أو رده:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأُمْلِي لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴾ ﴿الأعراف: ١٨٣﴾ ﴿القلم: ٤٥﴾.

وبين تعالى أن كيد الكافرين غيرُ ضارٍّ المؤمنين، مهما قوي واشتدَّ:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾ ﴾ ﴿آل عمران﴾

﴿ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾ ﴾ ﴿النساء﴾،

﴿ ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٨﴾ ﴾ ﴿الأنفال﴾،

﴿ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾

﴿ يَوْمَ لَا يُغْنِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ ﴿الطور﴾.

- أمثلة لكيد الكافرين وكيف انقلب كيدهم عليهم:

أ- إبراهيم عليه السلام بعد أن صدع بالحق، وأظهره أمام قومه، وبيّن لهم ضلال ما هم عليه وسفاهة عقولهم، وأقام عليهم الحجة بالبرهان العقلي القاطع، جُنَّ جنون قومه، فعزموا على قتله وتحريقه، ولكن هيهات، فقد كان كيدُهم الضعيفُ الهزيلُ أمام كيد العزيز الجبار سبحانه وتعالى، فما أغنى عنهم كيدهم شيئاً: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ ﴾ ﴿الأنبياء﴾،

﴿ فَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾ ﴿الصافات﴾.

ب- يوسف عليه السلام الذي ذكر الله خبره في ابتلائه بكيد إخوته له، ليحولوا بينه وبين محبة أبيهم له: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٥﴾ «يوسف»، ثم تأمل كيف جرت الأمور على نحو مختلف من ذلك الكيد الذي كادوه، حتى أصبح هذا الغلام بعد سنوات هو عزيز مصر، الذي يؤمه الناس من كل مكان، وله تلك المنزلة الرفيعة، والمقام العزيز.

وتأمل أيضاً في كيد امرأة العزيز والنسوة، له وكيف نجّاه الله من كيدهن:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٣ وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦۚ كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ ٢٤ وَٱسۡتَبَقَا ٱلۡبَابَ وَقَدَّتۡ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٖ وَأَلۡفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلۡبَابِۚ قَالَتۡ مَا جَزَآءُ مَنۡ أَرَادَ بِأَهۡلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسۡجَنَ أَوۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٢٥ قَالَ هِيَ رَٰوَدَتۡنِي عَن نَّفۡسِيۚ وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۡ أَهۡلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٖ فَصَدَقَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٢٦ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ فَكَذَبَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٢٧ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيۡدِكُنَّۖ إِنَّ كَيۡدَكُنَّ عَظِيمٞ ٢٨﴾

﴿وَقَالَ نِسۡوَةٞ فِي ٱلۡمَدِينَةِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفۡسِهِۦۖ قَدۡ شَغَفَهَا حُبًّاۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٣٠ فَلَمَّا سَمِعَتۡ بِمَكۡرِهِنَّ أَرۡسَلَتۡ إِلَيۡهِنَّ وَأَعۡتَدَتۡ لَهُنَّ مُتَّكَـٔٗا وَءَاتَتۡ كُلَّ وَٰحِدَةٖ مِّنۡهُنَّ سِكِّينٗا وَقَالَتِ ٱخۡرُجۡ عَلَيۡهِنَّۖ فَلَمَّا رَأَيۡنَهُۥٓ أَكۡبَرۡنَهُۥ وَقَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّ وَقُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٞ كَرِيمٞ ٣١ قَالَتۡ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِي لُمۡتُنَّنِي فِيهِۖ وَلَقَدۡ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ فَٱسۡتَعۡصَمَۖ وَلَئِن لَّمۡ يَفۡعَلۡ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسۡجَنَنَّ وَلَيَكُونٗا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ٣٢ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِۖ وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ

ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾ ﴾

ج- موسى عليه السلام الذي واجه فرعون أعتى العتاة، وأقسى المتجبرين، وكيف حاول فرعون بكل طريق وسبيل أن يصد المؤمنين عن دعوة الحق، فلم يفلح، وبآء كيده بالبوار والخسران:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ ٱقْتُلُوٓا۟ أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ وَٱسْتَحْيُوا۟ نِسَآءَهُمْ ۚ وَمَا كَيْدُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿٢٥﴾ ﴾ ﴿غافر﴾

﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ ﴿٣٧﴾ ﴾ ﴿غافر﴾

وحينما أراد أن يواجه موسى بالسحرة الذين كان يظن أنهم غالبون، فبذل وسعه وجهده: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾ ﴾ ﴿طه﴾.

وأخذ يشجعهم ويحثهم على توحيد جهودهم للوصول إلى ما يريدون:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَأَجْمِعُوا۟ كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُوا۟ صَفًّا ۚ وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ ﴿٦٤﴾ ﴾ ﴿طه﴾.

لكن الله تعالى ناصرُ أوليائه أمدَّ كليمه ونبيه بعونه وتوفيقه، وقال له:

﴿ وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا۟ ۖ إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَٰحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ ﴾ ﴿طه﴾.

د- وحين ننظر في سيرة النبي ﷺ، نرى معالم واضحة في رد كيد الكافرين في نحورهم.

لقد كذبوه وآذوه، ووصموه بأقذع الصفات وأشنعها، من الكذب والسحر والكهانة، وسعوا جاهدين لصدِّ الناس عن دينه بكل سبيل، ولما لم يفلحوا في ذلك عزموا على قتله بطريقة خبيثة ماكرة؛ ثم خرج من بين أيدهم تكلؤه رعاية الله، وتحرسه عين الله، وهم يجتهدون في طلبه فلا يدركونه.

ثم حاربوه، وحزَّبوا الأحزاب عليه، وتحالفوا مع القبائل واليهود لحربه، والقضاء عليه.

ثم لم تمض سوى بضع سنوات، حتى عادا منصوراً مظفراً، ودخل مكة فاتحاً.

ثم من بعده عبر القرون والعصور، كم كاد الكائدون لحرب الإسلام وأهله !!.

فخابوا وبادوا، وبقي الدين ظاهراً منصوراً.

فالحروب الصليبية وحملاتُها، ومن بعدها ما يسمى بالاستعمار واحتلال بلاد المسلمين، وحملات التغريب في الفكر والمناهج، ودعوات المستشرقين والعلمانيين والمنافقين للتشكيك في أحكام الإسلام وعقائده.

وفي الواقع المعاصر تنوعت طرائق الغواية والإضلال عن الدين، وشُنت الحرب المعلنة والخفية على أولياء الله وأهل دينه، وسعى الأعداء لتغيير مسلمات الدين وثوابته، وتقرير المصطلحات الباطلة لتكون هي السائدة والرائجة في المجتمع.

وظهر ما يسمى بـ« تجفيف المنابع »، لحرب الدين من أصوله وقواعده.

ولكن مع ذلك كله فإن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾﴾، فكيدهم ومكرهم ضعيف، لا يضرُّ المؤمنين شيئاً، لأن ظهيرهم ونصيرهم هو الله جلَّ جلاله.

وحين يظنون أنهم بذلك يصلون إلى مآربهم، ويحققون أهدافهم، وأن الغلبة والجولة لهم، ويَغرهم ما حققوا من مكاسب، وما وصلوا إليه من إنجازات، فيدعوهم ذلك إلى الاستمرار في مكر الليل والنهار، فلنعلم أن هذا من استدراج الله لهم.

فالمؤمن الواثق بنصر الله، لا يخاف ذلك الكيد ولا يرهبه، لأنه يعلم أن كيدهم سيكون وبالاً عليهم:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾﴾ ﴿النحل﴾، ﴿وَقَدْ مَكَرُوا۟ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴿٤٦﴾﴾ ﴿إبراهيم﴾.

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا۟ فِيهَا ۖ وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ ﴿الأنعام﴾، ﴿سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَمْكُرُونَ ﴿١٢٤﴾﴾ ﴿سورة الأنعام﴾

المطلب العاشر: من صفات الله تعالى أنه أحكم الحاكمين:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ ۝٧ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ ۝٨ ﴾ ﴿التين﴾

فأثبتت الآية الكريمة هذه الصفة الإلهية العظيمة من صفات الله سبحانه وتعالى.

فالله تعالى هو أحكم من حكم في أحكامه، وفصل قضائه بين عباده، وهو الذي لا يجور ولا يظلم أحدًا سبحانه، ومن عَدْله أن يقيم القيامة فينصف المظلوم في الدنيا ممن ظلمه.

وحكمته سبحانه وتعالى تقتضي البعث والجزاء يوم القيامة.

قال السعدي – رحمه الله -: « الذي خلق الإنسان أطواراً بعد أطوار، وأوصل إليهم من النعم والخير والبر ما لا يحصونه، ورباهم التربية الحسنة، لا بد أن يعيدهم إلى دار هي مستقرهم وغايتهم، التي إليها يقصدون، ونحوها يؤمون ».[1]

وقد جاء ذكر اسم الحكيم في أكثر من ثمانين موضعاً في القرآن الكريم، ولهذا الأمر دلالة لا تخفى.

فالله تعالى له الحكمة البالغة في الأمر والنهي، فلا يأمر إلا بما فيه مصالح الخلق ومنافعهم، ولا ينهى إلا عما فيه هلاكهم ومضرتهم:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ يَقُصُّ الْحَقَّ ۖ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ ۝٥٧ ﴾ ﴿الأنعام﴾.

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا ۚ ﴾ ﴿الأنعام: ١١٤﴾

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ ۚ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ۝١٠٩ ﴾ ﴿يونس﴾.

---

(١) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر. **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، مرجع سابق، (٥٩٧)

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾ ﴿الممتحنة﴾.

وبالتالي فأحكامُه سبحانه كلها حكمةٌ وعدلٌ، ولذلك فلا يجوز للعبد أن يتحاكم إلى غيرها، في جليل الأمور أو حقيرها.

بل إن التحاكم إلى غير شرع الله باب من أبواب الكفر.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ ﴿المائدة﴾.

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ ﴿المائدة﴾.

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ ﴿المائدة﴾.

وكُلُّ حُكمٍ غيرِ حكم الله فإنما هو اتباع للهوى:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ ﴾ ﴿المائدة: ٤٨﴾

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ﴾ ﴿المائدة: ٤٩﴾

والله تعالى له الحكمة البالغة في الخلق والتدبير، فكُلُّ شيءٍ خَلَقه سبحانه وتعالى فله في خَلْقه حكمة، قد يدركها العبد وقد تخفى عليه.

قال ابن القيم -رحمه الله-: « الحكمة إنما تتم بخلق المتضادات والمتقابلات، كالليل والنهار، والعلو والسفل، والطيب والخبيث، والخفيف والثقيل، والحلو والمر، والبرد والحر، والألم واللذة، والحياة والموت، والداء والدواء، فخلق هذه المتقابلات هو مَحلُّ ظهور الحكمة الباهرة، ومَحلُّ ظهور القدرة القاهرة، والمشيئة النافذة، والملك الكامل التام ».[1]

وقد أفاض ابن القيم - رحمه الله – في سفره القيم « شفاء العليل » في الحديث

(١) الدمشقي، محمد بن أبي بكر. **شفاء العليل**، ط١: ١٤٠٧، دار الكتب العلمية، بيروت، (٣٦٦).

عن هداية الله تعالى لبعض المخلوقات والتي هي من دلائل حكمة الله تعالى في الخلق والتدبير.[١]

ومن حكمة الله تعالى ما يتعلق بقضائه وقدره فهي غاية في الحكمة، وفيها تحقيق مصالح الخلق ومنافعهم، وكلما كان العبد عالماً بالله تعالى؛ رضي بأقداره وصبر عليها، لأنه يعلم أنها مقتضى حكمة العليم الحكيم سبحانه.

وأعظم الناس علماً بالله هم أنبياء الله ورسله؛ لأنهم يعلمون أن أقدار الله تعالى كلها صادرة عن حكمة العليم الحكيم سبحانه وتعالى؛ ولذلك كانت هذه مواقفهم من القضاء والقدر:

قال الله تعالى عن نوح عليه السلام: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾﴾ ﴿هود﴾

وقال يعقوب عليه السلام: ﴿يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ وَمَآ أُغۡنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍۖ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَعَلَيۡهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾﴾ ﴿يوسف﴾.

(١) انظر المرجع السابق (١١٧- ١٤٨).

المبحث الثالث: الإيمان بالملائكة:

جاء في هذا الجزء إشارات واضحة لهذا الخَلْق العظيم من مخلوقات الله سبحانه وتعالى، الذين أوكل الله إليهم مهام عظاماً يقومون بها، وآتاهم من القدرات ما ليس لغيرهم:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا ١ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشۡطٗا ٢ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبۡحٗا ٣ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبۡقٗا ٤ فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا ٥﴾ ﴿النازعات﴾

فقد جاء في هذه الآيات ذكر خمسة أعمال عظيمة تقوم بها الملائكة وهي:

- نزع أرواح الكفار بقوة وشدة.
- نشط نفوس المؤمنين بسهولة ورفق.
- التردد في الهواء صعوداً ونزولاً بالوحي، وبما يقضي الله من الأقدار.
- المسابقة والمبادرة لأمر الله تعالى.
- تدبير شؤون العالم العلوي والسفلي، من الأمطار، والنبات، والأشجار، والرياح، والبحار، والأجنة، والحيوانات...وغير ذلك بأمر الله تعالى.

وحين يتأمل المؤمن في شأن هذا العالم الملائكي؛ فإنه يقع في قلبه من تعظيم الله وإجلاله شيءٌ عظيم، لأن عظمة المخلوق تدل على عظمة الخالق.

ولإدراك عظمة هذا الخَلْق تأمل هذه الأحاديث:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود ﷺ، قَالَ: رَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جِبْرِيلَ فِي صُورَتِهِ وَلَهُ سِتُّ مِائَةِ جَنَاحٍ، كُلُّ جَنَاحٍ مِنْهَا قَدْ سَدَّ الْأُفُقَ، يَسْقُطُ مِنْ جَنَاحِهِ مِنْ التَّهَاوِيلِ وَالدُّرِّ وَالْيَاقُوتِ مَا اللَّهُ بِهِ عَلِيمٌ [1]

(١) الشيباني، أحمد بن حنبل. المسند، مرجع سابق، (١/٣٩٥)، رقم الحديث (٣٧٤٨). وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٣٤٨٥)

وقال ﷺ: «**رأيته منهبطاً من السماء ساداً عِظَمُ خلقه ما بين السماء والأرض**».[١]

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله من حملة العرش، ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام**»[٢] وفي رواية ابن أبي حاتم: «**تخفق الطير**».

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: « **أذن لي أن أحدث عن ملك من حملة العرش، رجلاه في الأرض السفلى، وعلى قرنه العرش، وبين شحمة أذنه وعاتقه خفقان الطير سبعمائة سنة، يقول الملَك: سبحانك حيث كنت** ».[٣]

إنهم خلق عظيم، مجبولون على الطاعة فلا يعصون الله سبحانه : ﴿ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾ «التحريم»

ومع عظم خلقهم إلا أن لهم شأناً عجيباً في الأدب بين يدي الله تعالى.

ومن ذلك ما ذكره الله سبحانه وتعالى في قوله: ﴿ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا ۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ﴾ «النبأ»

وفي هذا حث للمؤمن على مداومة الطاعة ومجاهدة النفس فيها، والتأدب مع الله تعالى، وأن لا يغتر بما عمل من الصالحات؛ فإن مِن خلق الله مَن هو أكثر طاعة وقربة منه.

---

(١) الترمذي، محمد بن عيسى. **سنن الترمذي**، مرجع سابق، (٢٦٢/٥)، رقم الحديث(٣٠٦٨). وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤١٢٧).

(٢) السجستاني، سليمان بن الأشعث. **سنن أبي داود**، مرجع سابق، (٢٣٢/٤)، رقم الحديث(٤٧٢٧). وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٤٧٢٧)

(٣) الهيثمي، علي بن أبي بكر. **مجمع الزوائد**، مرجع سابق، (٨٠/١). وصححه الألباني في صحيح الجامع (٨٥٥).

ومن أعظم أعمال الملائكة النزول بالوحي من عند الله تعالى على أنبيائه ورسله:

﴿ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿١٢﴾ فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ ﴾ ﴿عبس﴾.

ومن ذلك قصة بدء نزول الوحي على النبي ﷺ في غراء حراء.

روى البخاري في صحيحه عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رضي الله عنها، أَنَّهَا قَالَتْ: أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلَاءُ، وَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ - وَهُوَ التَّعَبُّدُ اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ الْعَدَدِ - قَبْلَ أَنْ يَنْزِعَ إِلَى أَهْلِهِ وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا، حَتَّى جَاءَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ، فَجَاءَهُ الْمَلَكُ، فَقَالَ: اقْرَأْ. **قَالَ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ. قَالَ: فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ. قُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ، فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: فيها** ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ﴾.[1]

وهذه الليلة التي بدأ فيها تنزل الوحي هي ليلة القدر، وللملائكة فيها شأن عظيم.حيث يكثر تَنزلُهم لكثرة بركتها وخيرها.

قال قتادة - رحمه الله -: تُقضى فيها الأمور، وتُقدر الآجال والأرزاق، كما قال تعالى: ﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ ﴿الدخان﴾.[2]

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل. **صحيح البخاري**، مرجع سابق، (٤/١)، رقم الحديث (٣).

(٢) الدمشقي، إسماعيل بن كثير. **تفسير القرآن العظيم**، مرجع سابق، (٦٨٧/٤).

وروى الإمام أحمد في مسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ: « **إِنَّ الْمَلَائِكَةَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ فِي الْأَرْضِ أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ الْحَصَى** »[١]

وفي ذلك أيضاً تعميق للشعور بعظمة الله تعالى خالق هؤلاء الملائكة الكرام، الذين دأبهم التبتل والانقطاع للعبادة.

ومن أعمال الملائكة المذكورة في هذا الجزء حفظ أعمال بني آدم من خير أو شر وكتابتُها:

﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ۝١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ۝١٢ ﴾ ﴿الانفطار﴾

فكل ما يعمله العبد من خير أو شر فهو مكتوب عليه، فينبغي للعبد أن يستكثر من الخير ليكتب له، وأن يتخفف من السيئات فإنها مكتوبة محصاة.

قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: لَوْ كُنْتُمْ تَشْتَرُونَ الْكَاغَدَ ﴿القرطاس الذي يكتب فيه﴾ لِلْحَفَظَةِ لَأَمْسَكْتُمْ عَنْ كَثِيرٍ مِنْ الْكَلَامِ[٢].

فعندما يتذكر المؤمن هذا الأمر يحرص على حفظ لسانه وجوارحه من الآفات المهلكة.

---

(١) الشيباني، أحمد بن حنبل. **المسند**، مرجع سابق، (٥١٩/٢)، رقم الحديث(١٠٤٧٥). وصححه الألباني في صحيح الجامع (٩٦٠٤).

(٢) السفاريني، محمد بن أحمد. غذاء الألباب شرح منظومة الآداب، ط٢، ١٤٢٣، دار الكتب العلمية، بيروت، (٥٥)

المبحث الرابع: الإيمان بالكتب:

جاء في هذا الجزء إشارات إلى هذا الركن من أركان الإيمان.

وأوضح هذه الإشارات وأظهرها ما جاء في سورة القدر في قوله تعالى:

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ ﴾

قال ابن عباس رضي الله عنهما وغيره: أنزل الله القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العِزّة من السماء الدنيا، ثم نزل مفصلا بحسب الوقائع في ثلاث وعشرين سنة على رسول الله ﷺ.[١]

فالقرآن الكريم كلام الله تعالى منزل غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود. كما قال السلف.[٢]

وهذا الإيمان بكون القرآن الكريم كلام الله تعالى يستوجب على العبد تعظيمه، وإجلاله، واحترامه، وامتثال ما جاء فيه من الأوامر، وترك ما جاء فيه من النواهي، وتصديق ما جاء فيه من الأخبار عن الله تعالى، وعن غيره، وما يكون في يوم القيامة من أحوال وأهوال.

ويستوجب على العبد مداومة قراءته وتوثيق الصلة به، فإنه لا سعادة، ولا راحة، ولا طمأنينة، إلا بدوام ذكر الله تعالى، وأعظم ذلك القرآن الكريم: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾ ﴿الرعد﴾

وفي إشارة أخرى في هذا الجزء لمكانة القرآن الكريم، وما احتواه من الأحكام والأخبار، قال تعالى: ﴿ رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴿٣﴾ ﴾ ﴿البينة﴾

---

(١) الدمشقي، إسماعيل بن كثير. **تفسير القرآن العظيم**، مرجع سابق، (٤/٦٨٥).

(٢) ابن أبي العز، محمد بن علاء الدين. **شرح العقيدة الطحاوية**، ط٨: ١٤٠٤-١٩٨٤، المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، (١٨١)

قال السعدي – رحمه الله -: « ﴿ رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ أي: أرسله الله، يدعو الناس إلى الحق، وأنزل عليه كتاباً يتلوه، ليعلم الناس الحكمة، ويزكيهم، ويخرجهم من الظلمات إلى النور، ولهذا قال: ﴿ يَتْلُواْ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴾ أي: محفوظة عن قربان الشياطين، لا يمسها إلا المطهرون، لأنها في أعلى ما يكون من الكلام.

ولهذا قال عنها: ﴿ فِيهَا ﴾أي: في تلك الصحف ﴿كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴾ أي: أخبار صادقة، وأوامر عادلة، تهدي إلى الحق وإلى صراط مستقيم، فإذا جاءتهم هذه البينة، فحينئذ يتبين طالب الحق ممن ليس له مقصد في طلبه، فيهلك من هلك عن بينة، ويحيا من حي عن بينة» [1]

فلا أقوم طريقاً، ولا أصح مسلكاً مما يهدي إليه القرآن: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ ﴾ ﴿الإسراء﴾

والقرآن هو أعظم دواء لأدواء القلوب والأبدان: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ ﴾ ﴿الإسراء﴾.

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾﴿يونس﴾ وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدًى وَشِفَآءٌ ﴾ ﴿فصلت: ٤٤﴾

كذلك جاءت إشارة ثالثة في هذا الجزء للإيمان بالكتب، في خاتمة سورة الأعلى في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ ﴾﴿الأعلى﴾.

فهذه الشرائع والوصايا هي مما توافقت عليه الكتب المنزلة على الأنبياء، فكلها تدعو إلى توحيد الله تعالى، وتهدي إلى خصال البر، وأعمال الخير.

---

(١) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر. **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، مرجع سابق، (٥٩٨)

المبحث الخامس: الإيمان بالرسل عليهم الصلاة والسلام:

وفيه مطلبان:

الأول: الإيمان بصدق نبوة محمد ﷺ :

اتهم المشركون رسول الله ﷺ في مصدر هذا القرآن الذي جاء به، وتنوعت جهالاتهم في تكذيبهم له. فمن قائل: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾﴾«الأنعام»، وقائل: ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾﴾«الفرقان»، وقال آخرون: ﴿إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ﴾«النحل:١٠٣»، ولقد تضاربت أقوالهم فيه وقد ذكره الله عنهم: ﴿بَلْ قَالُوٓا۟ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ﴾«الأنبياء:٥»، وزعم بعضهم أنه: ﴿إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ﴾«الفرقان:٤».

وقد توالت الآيات المفندة والداحضة لتلك الافتراءات بالحجة والبرهان. وجاء في جزء عمَّ بعضها:

١- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴿٣﴾ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ﴿٤﴾ أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ﴿٥﴾ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ﴿٦﴾ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخْشَىٰ ﴿٩﴾ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ﴿١٠﴾﴾«عبس».

مطلع هذه السورة الكريمة فيه برهان واضح، وحجة دامغة على صدقه ﷺ فيما بلغه عن ربه سبحانه وتعالى، وأنه نبي الله حقاً، وأنه حري بأن يُنعت بالصادق الأمين. فهذه الآيات فيها عتاب له ﷺ على إعراضه عن الأعمى الذي جاءه سائلاً مسترشداً.

قال ابن زيد: كان يقال: لو أن رسول الله ﷺ كَتَمَ من الوحي شيئاً، كتم هذا عن نفسه.[1]

---

(١) الطبري، محمد بن جرير. **جامع البيان في تأويل القرآن**، مرجع سابق (٥٢/٣٠).

إنها صفة لا يتصف بها إلا من تحمل أمانة الرسالة، وأداها كما ائتمن عليها.

وكم يقف المؤمن متعجباً من هذا الموقف العظيم، الذي تتجلى فيه الأمانة والصدق بأسمى معانيهما.

٢- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ ﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ ﴿٢٥﴾ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ «التكوير».

فما أعجب شأن هؤلاء المشركين، الذين يعرفون رسول الله ﷺ منذ صباه وطفولته، فلم يجربوا عليه سفهاً، أو جنوناً يعتريه، ثم هاهم يتهمونه بالجنون !!

ورسول الله ﷺ هو صاحبهم الذي عاش بين ظهرانيهم، فسمعوا كلامه، ورأوا فعاله، فليس في شيء من ذلك ما يدعوهم لنعته بالجنون، إلا الكبر والتعالي الذي ملأ صدورهم وصدهم عن الاستجابة له، مع أنهم أعرف الناس بصدقه وأمانته.

ومن عجيب شأن هؤلاء المشركين وهم أرباب البلاغة والفصاحة، الذين يعرفون بليغ الكلام وفصيحه، ويتنافسون في ذلك؛ أن يتهموا رسول الله ﷺ بالجنون، وقد جاءهم بهذا القرآن المعجز في بلاغته وفصاحته.

أفيمكن لهذا (المجنون) كما يقولون !!! أن يتحداهم أن يأتوا بمثل هذا القرآن أو سورة منه ويظلون عاجزين عن ذلك ؟..

٣- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰ ﴿٦﴾ ﴾ «الأعلى»

هذه الآية الكريمة تدل على صدق نبوته ﷺ من وجهين:

الأول: أنه ﷺ كان رجلاً أمياً؛ فحِفْظه لهذا الكتاب المطول من غير دراسة ولا تكرار ولا كتابة، يعتبر أمراً خارقاً للعادة فيكون معجزاً.

الثاني: أن هذه السورة من أوائل ما نزل بمكة، فهذا إخبار عن أمر عجيب غريب مخالف للعادة، سيقع في المستقبل، وقد وقع، فكان هذا إخباراً عن الغيب فيكون معجزاً.[١]

٤- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ ﴾ ﴿الشرح﴾.

وهذه الآية دليل آخر على صدق نبوته ﷺ، فقد رفع الله ذكر نبيه، وأعلى شأنه في العالمين.

قال قتادة: « رفع الله ذكره في الدنيا والآخرة، فليس خطيب، ولا متشهد، ولا صاحب صلاة؛ إلا ينادي: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا رسول الله.

وقال الضحاك: لا تقبل صلاة إلا به، ولا تجوز خطبة إلا به »[٢]

ولقد أبقى الله ذكر نبيه ﷺ في العالمين، بما له من جميل الصفات وجليل الشمائل. مما يعجز اللسان عن وصفه، ويَكِلُّ البنان عن رقمه.

وفيه يقول حسان بن ثابت رضي الله عنه:

أَغَرُّ عليه للنبوة خاتمٌ ... من الله مشهودٌ يَلُوحُ ويشهَدُ

وضمَّ الإلهُ اسم النبي مع اسمه ... إذا قال في الخمس المؤذنُ: أشهدُ

وشق له من اسمه ليُجِلّه ... فذو العَرْشِ محمودٌ وهذا محمدُ[٣]

وثَمَّ ملحظٌ مهمٌ في هذه الآية، وهو الإشارة إلى ذلك الشرف والسؤدد الذي سينالـه محمد ﷺ؛ وهو إذ ذاك في مكة حيث الضعف، وقلة العدد، والفتنة عن الدين والكيد المستمر له ولأصحابه، فتأتي هذه الآية بهذه البشارة في هذه الحالة...حقاً إنها النبوة ولا شيء سوى النبوة.

---

(١) الرازي، فخر الدين محمد بن عمر. **التفسير الكبير**، مرجع سابق، (١٢٨/٣١).

(٢) البغوي، الحسين بن مسعود. **معالم التنزيل**، مرجع سابق، (٦٤٠/٤).

(٣) البرقوقي، عبد الرحمن. **شرح ديوان حسان بن ثابت** رضي الله عنه، ١٩٩٠، دار الكتب العلمية، بيروت،(١٣١).

وفي عصرنا هذا حين تجرأ على مقام الرسول ﷺ بعض سفهاء النصارى من الدنماركيين والهولنديين وأضرابهم من الأوربيين، وسخروا منه برسومهم، وأقلامهم، وأفلامهم؛ فلم يزد ذلك ذكره ﷺ إلا علواً، وشأنه إلا رفعة، ولم يزد دينه إلا قوة وانتشاراً؛ فإن هؤلاء الحاقدين قد غاظهم انتشار الإسلام في عقر ديارهم، ودخول كثير من بني دينهم وجلدتهم في دين الله أفواجاً؛ فأردوا تشويه صورة الإسلام ونبيه ﷺ؛ لصد الناس عن دينه؛ فانقلبوا خاسئين، فأخذ الناس يسألون عن هذا الدين وعن هذا النبي؛ الذي يتعاهد ويتعاقد كل هؤلاء على عداوته ومحاربته، فازداد إقبال الناس على شراء نسخ ترجمات معاني القرآن الكريم بلغاتهم، حتى نفدت من المكتبات، وكثر البحث في محركات البحث في الانترنت عن « محمد » ﷺ، وأنشئت قنوات ومواقع في الانترنت لأجل ذلك، وعقدت ندوات ومؤتمرات، وألفت كتب وتُرجمت بلغات أولئك الشانئين، لتصل إلى من أرادوا صدهم عن دين محمد ﷺ، بل تنادى الغيورون والمحبون لنصرته ﷺ بكل سبيل، ووقفت بعض الحكومات الإسلامية مواقف مشرفة في ذلك، وقامت حملات شعبية في طول العالم الإسلامي وعرضه لمقاطعة بضائع الدنماركيين وغيرهم حتى أضرَّ بهم ذلك كثيراً، وخسروا ملايين الدولارات، بل أصبح كل مسلم مهما كان نصيبه من الاستقامة؛ يشعر بالقوة والعزة لانتسابه لهذا الدين وهذا النبي ﷺ، لإن القوي هو الذي يتعاون الناس ويتظاهرون على حربه ومقاومته ..كل ذلك وغيره مما لم أذكر يدخل في معنى قوله تعالى: ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ ﴾ «الشرح»

وفي ذلك ما يزيد اليقين بغلبة الدين وظهوره، وذلك وعد حق، وعد الله به أولياءه المؤمنين: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾ ﴾ «الصف»

٥- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ ۝٣﴾ ﴿الكوثر﴾

قال الطبري - رحمه الله -: الأبتر: الأقلّ، والأذلّ المنقطع دابره، الذي لا عقب له[١]

فهؤلاء المشركون الذين كانوا يلمزون رسول الله ﷺ بأنه أبتر، مقطوع النسل حين مات بعض ولده، كانوا هم أولى بذلك الوصف وألصق به.

وقد صدق الله ومن أصدق من الله قيلاً، لم يبق لأحد من مبغضيه ذكر بولد ولا تابع، ولا يوجد لهم شاكر ولا مادح ولا رافع، وأما هو ﷺ فقد ملأت ذريته من فاطمة الزهراء الأرض[٢].

ولقد صدق فيهم وعيد الله. فقد انقطع ذكرهم وانطوى. بينما امتد ذكر محمد ﷺ وعلا. ونحن نشهد اليوم مصداق هذا القول الكريم، في صورة باهرة واسعة المدى، كما لم يشهده سامعوه الأولون!

إن الإيمان والحق والخير لا يمكن أن يكون أبتر. فهو ممتد الفروع عميق الجذور. وإنما الكفر والباطل والشر هو الأبتر، مهما ترعرع وزها وتجبر...إن مقاييس الله غير مقاييس البشر. ولكن البشر ينخدعون، ويغترون، فيحسبون مقاييسهم هي التي تقرر حقائق الأمور !

وأمامنا هذا المثل الناطق الخالد..

فأين الذين كانوا يقولون عن محمد ﷺ قولتهم اللئيمة، وينالون بها من قلوب الجماهير، ويحسبون حينئذ أنهم قد قضوا على محمد ﷺ وقطعوا عليه الطريق ؟

---

(١) الطبري، محمد بن جرير. **جامع البيان في تأويل القرآن**، مرجع سابق، (٣٠/٣٢٨)

(٢) البقاعي، إبراهيم بن عمر. **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، ط١، ١٤٠٤، (٢٢/٢٩٢).

أين هم ؟ وأين ذكراهم، وأين آثارهم ؟ إلى جوار الكوثر من كل شيء، ذلك الذي أوتيه من كانوا يقولون عنه: الأبتر ؟!

إن الدعوة إلى الله والحق والخير، لا يمكن أن تكون بتراء، ولا أن يكون صاحبها أبتر، وكيف وهي موصولة بالله الحي الباقي الأزلي الخالد ؟

إنما يبتر الكفر والباطل والشر ويبتر أهله، مهما بدا في لحظة من اللحظات أنه طويل الأجل ممتد الجذور.. وصدق الله العظيم. وكذب الكائدون الماكرون.. [١]

٦- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۝٥ ﴾ ﴿المسد﴾

قال ابن كثير - رحمه الله -: « في هذه السورة معجزة ظاهرة ودليل واضح على النبوة، فإنه منذ نزل قوله تعالى: ﴿ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۝٥ ﴾.

فأخبر عنهما بالشقاء وعدم الإيمان، لم يُقيض لهما أن يؤمنا، ولا واحد منهما لا ظاهرًا ولا باطنًا، لا مُسِرًا ولا مُعلنًا، فكان هذا من أقوى الأدلة الباهرة على النبوة الظاهرة». [٢]

المطلب الثاني: الإيمان بالأنبياء قبل محمد ﷺ:

دين جميع الأنبياء واحد وهو الإسلام، وكلهم جاءوا بالدعوة إلى التوحيد والنهي عن الشرك، وقد جاءت إشارة واضحة في هذا الجزء إلى هذا المعنى، في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ۝١٨ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ۝١٩ ﴾ ﴿الأعلى﴾

(١) قطب، سيد. في ظلال القرآن مرجع سابق، (٣٩٨٩/٦).

(٢) الدمشقي، إسماعيل بن كثير. تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، (٧٣٥/٤).

قال السعدي – رحمه الله -: « ﴿ إِنَّ هَٰذَا ﴾ المذكور لكم في هذه السورة المباركة، من الأوامر الحسنة، والأخبار المستحسنة ﴿ لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴾ اللذين هما أشرف المرسلين، سوى النبي محمد ﷺ. فهذه أوامر في كل شريعة، لكونها عائدة إلى مصالح الدارين، وهي مصالح في كل زمان ومكان ».[١]

ويزيد هذا المعنى تأكيداً ووضوحاً قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ ﴾ «البينة»

قال ابن عباس: ما أمروا في التوراة والإنجيل إلا بالإخلاص في العبادة لله موحدين، حُنَفَاءَ مائلين عن الأديان كلها إلى دين الإسلام[٢]

فهذه الآية تدل على « قِدَم هذه الدعوة، وعراقة منبتها، وامتداد جذورها في شعاب الزمن، وتوحد أصولها من وراء الزمان والمكان... ووحدة الحق، ووحدة العقيدة، هي الأمر الذي تقتضيه وحدة الجهة التي صدر عنها. ووحدة المشيئة التي اقتضت بعثة الرسل إلى البشر... إنه حق واحد، يرجع إلى أصل واحد. تختلف جزئياته وتفصيلاته باختلاف الحاجات المتجددة، والأطوار المتعاقبة. ولكنها تلتقي عند ذلك الأصل الواحد. الصادر من مصدر واحد ».[٣]

والقرآن الكريم يقرر هذه الحقيقة في مواضع كثيرة:

فالله لا يقبل دينا إلا الإسلام، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ «آل عمران:١٩»

والإسلام ليس اسماً لدين نبيٍّ من الأنبياء دون غيره، بل إنه اسم الدين المشترك الذي هتف به كل الأنبياء.

---

(١) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مرجع سابق، (٩٢١).

(٢) البغوي، الحسين بن مسعود. معالم التنزيل، مرجع سابق، (٦٦٢/٤).

(٣) قطب، سيد. في ظلال القرآن، مرجع سابق، (٣٨٩٤/٦).

فهذا نوح عليه السلام يقول لقومه: ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٧٢)﴾ ﴿يونس﴾.

وهو الدين الذي أمر الله به أبا الأنبياء إبراهيم عليه السلام: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (١٣١)﴾ ﴿البقرة﴾.

ويوصي كلٌّ من إبراهيم ويعقوب عليهما السلام أبناءهما قائلين: ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (١٣٢)﴾ ﴿البقرة﴾.

وأبناء يعقوب عليه السلام يجيبون أباهم: ﴿قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (١٣٣)﴾ ﴿البقرة﴾.

وموسى عليه السلام يقول لقومه: ﴿يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ (٨٤)﴾ ﴿يونس﴾.

والحواريون يقولون لعيسى: ﴿آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (٥٢)﴾ ﴿آل عمران﴾.

وحين سمع فريق من أهل الكتاب القرآن قالوا: ﴿آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ (٥٣)﴾ ﴿القصص﴾ [١]

وهنا يستشعر المؤمن العزة بانتسابه لهذا الدين العريق، الضارب في عمق التاريخ، والذي سبقه في السير فيه أولئك الكرام من الأنبياء وأتباعهم عبر تأريخ البشرية.

(١) الأشقر، عمر سليمان. **الرسل والرسالات**، ط٣: ١٤٠٥، مكتبة الفلاح، الكويت، (٢٤٣).

المبحث السادس: الإيمان بالبعث:

شغلت قضية البعث حيزاً كبيراً من الآيات المكيّة، فقد كان المشركون ينكرون البعث ويستبعدونه، ففي نظرهم أن هذه الأجساد التي بليت لا تعود من جديد، والله يقول عن مثل حالهم: ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ ﴾ ﴿يس﴾.

وسبب ذلك جهلهم بالله تعالى، وقدرته، وعظمته: ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ﴾ ﴿الأنعام:٩١﴾ ، فإن من بدأ الخلق من العدم، قادر على الإعادة مرة أخرى.

وأما دلائل إثبات وقوع البعث فهي مبثوثة في القرآن العظيم؛ وفي جزء عمَّ جاءت هذه الدلائل بأساليب متنوعة، فيها من البراهين العقلية والمنطقية ما لا يستطيع المعاند والمكابر أن يشكك فيها، فضلاً أن يقيم الحجة على بطلانها.

وقد جاءت الدلائل العقلية وغيرها على إثبات البعث في أكثر من عشرين موضعاً؛ سأكتفي بثلاثة منها فقط، وهي:

١ - الاستدلال بخلق ما هو أعظم من الإنسان:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ ﴾ ﴿النازعات﴾

هذا تنبيه بأمر يُعلم بالمشاهدة، وذلك لأن خلق الإنسان على صغره وضعفه، إذا أضيف إلى خلق السماء على عظمها وعظم أحوالها يسير، وإذا كان كذلك، فإعادتهم سهلة فكيف ينكرون ذلك، فمن رفع السماء على عظمتها، هين عليه خلقهم وخلق أمثالهم، وإحياؤهم بعد مماتهم، فمن قدر على خلق السماء التي لها هذا الجرم العظيم، وفيها من عجائب الصنع وبدائع القدرة ما هو بيَّن للناظرين، كيف يعجز عن إعادة الأجسام التي أماتها بعد خلقها أول مرة ؟[1]

(١) الرازي، فخر الدين محمد بن عمر. التفسير الكبير، مرجع سابق، (٤١/٣١).

٢- الاستدلال بإخراج النبات من الأرض:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾ ﴾ ﴿عبس﴾

فهذا استدلال آخر في تقريب كيفية البعث؛ حيث جاء « الاستدلال بأحوال موجودة في بعض الكائنات، شديدة الملازمة لحياة الإنسان، ترسيخاً للاستدلال، وتفنناً فيه، وتعريضاً بالمنة على الإنسان في هذه الدلائل، من نعمة النبات الذي به بقاء الإنسان وحياة ما ينفعه من الأنعام »[١].

والمقصود التدبر فيما يشاهده الإنسان من أحوال طعامه، بالاستدلال بها على إحياء الموجودات من الأرض، فأمر الله الإنسان بالتفكر في أطوار تكون الحبوب والثمار التي بها طعامه، وفي جميع تلك الأطوار تمثيل لإحياء الأجساد المستقرة في الأرض، كخروج النبات بأن يكون بذرها في الأرض، ويرسل الله لها قُوىً لا نعلمها تشابه قوة الماء الذي تحيا به بذور النبات،﴿ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ ﴾ ﴿نوح﴾.[٢]

٣- التفكر في أصل خلق الإنسان:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾ ﴾ ﴿الطارق﴾.

فالذي خلق الإنسان من ماء دافق، قادر على إعادة خلقه بأسباب أخرى، وبذلك يتقرر إمكان إعادة الخلق، ويزول ما زعمه المشركون من استحالة تلك الإعادة؛ لأن من قدر على البداءة قدر على الإعادة.

---

(١) ابن عاشور، محمد الطاهر. **تفسير التحرير والتنوير**، مرجع سابق، (٣٠ /١٢٩).

(٢) المرجع السابق، (٣٠ /١٢٩.١٣٠).

وثَـمَّ وجه لطيف للربط بين قوله تعالـى: ﴿ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾ ﴾، وقوله تعالى: ﴿ فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴾، ذكره القاسمي - رحمه الله - فقال: « فكأنه يقول: فـإذا عرفـت أن كلَّ نفـس عليها رقيب، فمن الواجب على الإنسان أن لا يهمل نفسه، وأن يتفكـر فـي خلقه. وكيف كان ابتداء نشئه؟ ليصل بذلك إلى أن الذي أنشأه أول مـرة، قـادر على أن يعيـده، فيأخذ نفسه بصالح الأعمال والأخـلاق، ويعدل بها عن سبيل الشر، فإن عين الرقيب لا تغفل عنها في حال من الأحوال ».[١]

وعنـد تأمل هـذه الآيات الدالة دلالة قطعية على إثبـات البعث وتحقق وقوعه؛ تترسـخ هـذه العقيدة فـي نفس المؤمن؛ فالإنسان كلما قامـت له الدلائل وكثرت؛ أدت إلى رسوخ الحقائق في قلبه ويقينه بها.

ومـن فوائـد تقريـر مبدأ الجـزاء والحسـاب، أن يجتهد المحسن فـي إحسانه؛ لينـال مثوبتـه، وينكف المسيء عن إساءته؛ خشية مغبتها، وسوء عاقبتها « فحكمة الله لا تترك الناس سدى، يحسن من يحسن منهم، ويسيء منهم من يسيء، ثم لا يلقى المحسن جزاء إحسانه، ولا يلقى المسيء جزاء إساءته ».[٢]

ويزيـد ذلـك تقريـراً وإيضاحاً مـا ذكره ابن عاشـور- رحمـه الله - حيث يقول: «رب الناس عليم بأحوالهم، فمنهم المصلـح، ومنهم المفسد، والكلُّ متفاوتون في ذلـك؛ فليس من الحكمة أن يذهـب المفسد بفساده، وما ألحقـه بالموجودات من مضـار، وأن يُهمـل صلاح المصلـح؛ فجعل الله الحياة الأبديـة للجزاء على ما قدم صاحبها في حياته الأولى ».[٣]

---

(١) القاسمي، محمد جمال الدين. **محاسن التأويل**، ط٢: ١٣٩٨، ١٩٧٨،دار الفكر، بيروت، (١١٩/١٧).

(٢) قطب، سيد. **في ظلال القرآن**، مرجع سابق، (٢٨٩٢/٤).

(٣) ابن عاشور، محمد الطاهر. **تفسير التحرير والتنوير**، مرجع سابق، (٣٠ /٢٢٥).

فحينئذٍ يتزود المؤمن من العمل الصالح وينافس فيه، لأن كل إنسان عليه حافظ يحصي عليه أعماله.

ومما تثمره هذه العقيدة في نفس المؤمن؛ الصبر على ما يصيبه من البغي والظلم في هذه الحياة، فهو إن لم يستطع أن ينال حقه وينتصف لنفسه من ظالمه؛ فثمَّ يوم يقتصُّ فيه لكل مظلوم من ظالمه.

وفي هذا الجزء كما ذكرت دلائل كثيرة على إثبات البعث؛ لكن يطول الحديث جداً بتتبعها واستقصائها؛ ولا أرى ما يدعو إلى هذا الاستطراد والتفصيل؛ لأن هذه المسألة مستقرة في عقيدة المسلمين؛ وليس هذا الكتاب موجهاً لغيرهم ممن ينكر البعث؛ فنحتاج إلى ذلك التفصيل والاستطراد ...

المبحث السابع: الإيمان باليوم الآخر:

حفلت آيات هذا الجزء بحديث طويل ومتنوع عن اليوم الآخر، حتى يكاد أن يكون الجزء كله يُعنى بهذه القضية المهمة، ففي أربع وعشرين سورة جاء الحديث عن اليوم الآخر، مما يدل على أهميته، ومدى حاجة المسلم إلى تعميق هذه العقيدة في نفسه؛ لتثمر الآثار العظيمة في حياة الفرد والمجتمع.

وحين نتأمل المنهج الدعوي للنبي ﷺ في بداية الدعوة في مكة. حينما بايعه الأنصار فوثق بيعته معهم وأكَّدها. نلحظ هذا الربط الإيماني بهذه العقيدة، التي تعتبر من أقوى المحفزات والمعينات على الوفاء بالبيعة والعقد.

ولن أُضعِفَ أثر هذه الآيات في النفس بكثرة التعليق عليها من كلام البشر، بل سأكتفي ببعض الإشارات اليسيرة المعينة على فهم الآيات وتدبرها، فليس أقوى أثراً، ولا أعمق تربية من كلام الله تعالى، الذي يتخلل إلى سويداء القلب؛ فيحدث من الأثر ما لا يعرفه إلا من عاش مع القرآن... ومن جرب عرف !!

وباستقراء الآيات، فإننا نرى الحديث عن اليوم الآخر من خلال المطالب الستة التالية:

المطلب الأول: بيان شدته وأهوال مطلعه:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتۡ أَبۡوَٰبٗا ١٩ وَسُيِّرَتِ ٱلۡجِبَالُ فَكَانَتۡ سَرَابًا ٢٠ ﴾ ﴿النبأ﴾.

﴿ إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ ١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتۡ ٢ وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ سُيِّرَتۡ ٣ وَإِذَا ٱلۡعِشَارُ عُطِّلَتۡ ٤ وَإِذَا ٱلۡوُحُوشُ حُشِرَتۡ ٥ وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ سُجِّرَتۡ ٦ ﴾ ﴿التكوير﴾.

﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ ١ وَإِذَا ٱلۡكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتۡ ٢ وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ فُجِّرَتۡ ٣ وَإِذَا ٱلۡقُبُورُ بُعۡثِرَتۡ ٤ ﴾ ﴿الانفطار﴾.

﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ﴿١﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ﴿٣﴾ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴿٤﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٥﴾﴾ ﴿الانشقاق﴾.

﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾﴾ ﴿الفجر﴾.

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾﴾ ﴿الزلزلة﴾.

﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴿٥﴾﴾ ﴿القارعة﴾.

فهذه الآيات، تصور تلك الأهوال والأمور العظام، بمشاهدَ كأن السامع يراها...

عن ابْنَ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُ رَأْيُ عَيْنٍ؛ فَلْيَقْرَأْ: إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ، وَإِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ، وَإِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ » وَٱحْسَبُهُ قَالَ: « **وَسُورَةَ هُودٍ** »[١]

إنه مشهد الانقلاب التام لكل معهود، والثورة الشاملة لكل موجود. الانقلاب الذي يشمل الأجرام السماوية والأرضية....وهذه الأحداث الكونية الضخام تشير بجملتها إلى أن هذا الكون الذي نعهده. الكون المنسق الجميل، الموزون الحركة، المضبوط النسبة، المتين الصنعة، المبني بأيدٍ وإحكام؛ أن هذا الكون سينفرط عقد نظامه، وتتناثر أجزاؤه، وتذهب عنه صفاته هذه التي يقوم بها، وينتهي إلى أجله المقدر، حيث تنتهي الخلائق إلى صورة أخرى من الكون، ومن الحياة، ومن الحقائق غير ما عهدت نهائيا من هذا الكون المعهود.[٢]

---

(١) الترمذي، محمد بن عيسى. **سنن الترمذي**، مرجع سابق، (٣٤٤/٥) رقم الحديث(٣٣٣٣). وصححه الألباني في صحيح الترمذي (٢٦٣٥).

(٢) قطب، سيد. **في ظلال القرآن**، مرجع سابق، (٣٨٣٧/٦).

المطلب الثاني: ذكر أسماء متنوعة ليوم القيامة:

لقد سمي ذلك اليوم في هذا الجزء بأسماء متعددة، تعكس حقيقته، ومن المعروف في لغة العرب أن الشيء إذا كثرت أسماؤه؛ دلَّ ذلك على أهميته، وعظم شأنه.

وبتتبع هذه الأسماء نجدها في الآيات التالية:

﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلۡكُبۡرَىٰ ﴿٣٤﴾ ﴾ ﴿النازعات﴾

﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾ ﴾ ﴿عبس﴾

﴿ هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡغَٰشِيَةِ ﴿١﴾ ﴾ ﴿الغاشية﴾

﴿ ٱلۡقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا ٱلۡقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡقَارِعَةُ ﴿٣﴾ ﴾ ﴿القارعة﴾

وهذه الأهوال التي تقع في ذلك اليوم ليست هي خاتمة المطاف، بل ثَمَّ الجزاءُ والحساب، وفصلُ القضاء، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ يَوۡمَ ٱلۡفَصۡلِ كَانَ مِيقَٰتًا ﴿١٧﴾ يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَتَأۡتُونَ أَفۡوَاجٗا ﴿١٨﴾ ﴾ ﴿النبأ﴾.

إنه يوم يقتص فيه لكل مظلوم من ظالمه، حتى الدوابُّ والوحوش.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**لَتُؤَدُّنَّ الْحُقُوقَ إِلَى أَهْلِهَا؛ حَتَّى تُقَادَ الشَّاةُ الْجَمَّاءُ مِنَ الشَّاةِ الْقَرْنَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»[1]

المطلب الثالث: تبرؤ القريب من قريبه:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَوۡمَ يَفِرُّ ٱلۡمَرۡءُ مِنۡ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕ مِّنۡهُمۡ يَوۡمَئِذٖ شَأۡنٞ يُغۡنِيهِ ﴿٣٧﴾ ﴾ ﴿عبس﴾

---

(١) الشيباني، أحمد بن حنبل. المسند، مرجع سابق، (١٥/٤٣٥)، رقم الحديث (٧٤٠٤). وصححه الألباني في صحيح الجامع (٩١٩٣)

فالتبعة يومئذٍ فردية، حتى إن أقرب القرابات لا يغنى عن قريبه شيئاً.

وقد خُصَّ هؤلاء بالذكر لأنهم أخصُّ القرابة، وأولاهم بالحنو والرأفة، فالفرار منهم لا يكون إلا لهول عظيم، وخطب فظيع.

وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: « **يُبْعَثُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلا** »[1] فَقَالَتْ عَائِشَةُ فَكَيْفَ بِالْعَوْرَاتِ ؟ قَالَ: « ﴿لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ »[2]

قال عكرمة: « يلقى الرجل زوجته فيقول لها: يا هذه، أيُّ بعلٍ كنتُ لك ؟ فتقول: نعم البعل كنتَ، وتثني بخير ما استطاعت. فيقول لها: فإني أطلب إليك اليوم حسنة واحدة تهبينها لي لعلي أنجو مما ترين، فتقول له: ما أيسَرَ ما طلبتَ، ولكني لا أطيق أن أعطيك شيئاً، أتخوفُ مثلَ الذي تخاف. قال: وإن الرجل ليلقى ابنه فيتعلق به فيقول: يا بني، أيُّ والدٍ كنتُ لك ؟ فيثني بخير. فيقول له: يا بني، إني احتجتُ إلى مثقال ذرة من حسناتك لعلي أنجو بها مما ترى. فيقول ولده: يا أبت، ما أيسر ما طلبتَ، ولكني أتخوف مثل الذي تتخوف فلا أستطيع أن أعطيك شيئاً ».[3]

إنه يومٌ عظيمٌ يُشغل فيه كلُّ أحدٍ بنفسه، فلا يكترث بغيره، ولا يستطيع نفعه فيه بشيءٍ؛ إلا بأمر الله تعالى في الشفاعة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾ ﴾ ﴿الانفطار﴾

---

(١) جمع أغْرَل وهو الأقْلَف غير المختون. ابن الأثير، مجد الدين. **النهاية في غريب الحديث**، مرجع سابق، (٣/٣٦٢)

(٢) النسائي، أحمد بن شعيب. **سنن النسائي**، ط٢:١٤٠٦، مكتبة المطبوعات، حلب، (٤/١١٤)، رقم الحديث (٢٠٨٢). وصححه الألباني في صحيح النسائي (٢٠٨٣)

(٣) الدمشقي، إسماعيل بن كثير. **تفسير القرآن العظيم**، مرجع سابق، (٤/٦٠٨).

المطلب الرابع: الحساب والوقوف بين يدي الله:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ كِتَٰبَۢا ﴿٢٩﴾ ﴾ ﴿النبأ﴾، **فأعمال العباد قد أحصاها الله تعالى وكتبها في كتاب** ﴿ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَاۚ ﴾ ﴿الكهف:٤٩﴾.

فينبغي أن يستشعر المؤمن ذلك الموقف: ﴿ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾ ﴾ ﴿المطففين﴾.

وهو مقام عظيم لا يتكلم فيه أحدٌ إلا بإذن الله: ﴿ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ صَفّٗاۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَقَالَ صَوَابٗا ﴿٣٨﴾ ﴾ ﴿النبأ﴾.

تالله إنه ليومٌ ما أعظمه !! وهول ما أرهبه !!...

ففي ذلك اليوم تعاين كل نفس عملها وتلقاه وتُجازى به:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّآ أَحۡضَرَتۡ ﴿١٤﴾ ﴾ ﴿التكوير﴾.

فليس ثَمَّ ظلم، فلقد سُجلت تلك الأعمال، ورُقمت في الكتاب الحسنات والسيئات:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامٗا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ ﴾ ﴿الانفطار﴾.

﴿ يَوۡمَئِذٖ يَصۡدُرُ ٱلنَّاسُ أَشۡتَاتٗا لِّيُرَوۡاْ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴿٦﴾ فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ﴿٨﴾ ﴾ ﴿الزلزلة﴾.

وكلُّ إنسان سيلقى نتيجة سعيه وكدحه في هذه الحياة:
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ ﴿٦﴾ ﴾ ﴿الانشقاق﴾.

ولكن شتان شتان بين سعي وسعي ... وعمل وعمل !!...

سعيٍ ينتهي بصاحبه إلى النعيم المقيم: ﴿ فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوۡفَ يُحَاسَبُ حِسَابٗا يَسِيرٗا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورٗا ﴿٩﴾ ﴾ ﴿الانشقاق﴾

وسعي يتمنى صاحبه أن لم يكن سعاه: ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾ بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا ﴿١٥﴾ ﴾ ﴿الانشقاق﴾

المطلب الخامس: وصف الجنة ونعيمها:

تنوعت مشاهد عرض النعيم في هذا الجزء بأساليب مختلفة:

فتارة يصف لهم طرفاً من النعيم العظيم في الجنة، بمظاهر محسوسة لتقريبها للتصور البشري:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ﴿٣٥﴾ ﴾ ﴿النبأ﴾.

وتارة يصف حال أهل الجنة وهم في « النعيم المقرر لهم. ونضرته التي تفيض على وجوههم. والرحيق الذي يشربون وهم على الأرائك ينظرون..وهي صفحة ناعمة وضيئة»[1]:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ ﴿المطففين﴾.

(١) قطب، سيد. في ظلال القرآن، مرجع سابق، (٦/٣٨٥٤)..

وتارة أخرى يصف وجوههم «يبدو فيها النعيم. يفيض منها الرضى. وجوه تنعم بما تجد، وتحمد ما عملت. فوجدت عقباه خيراً. وتستمتع بهذا الشعور الروحي الرفيع. شعور الرضى عن عملها حين ترى رضى الله عنها»[١]: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ۝٨ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ۝٩ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝١٠ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً ۝١١ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ۝١٢ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ۝١٣ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ۝١٤ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ۝١٥ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ۝١٦﴾ «الغاشية».

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ۝٣٨ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ۝٣٩﴾ «عبس»

﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ۝٦ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧﴾ «القارعة»

ومن أعظم ما يتنعم به أهل الجنة نظرهم إلى وجه الله تعالى في الجنة، فقد بين الله تعالى في سورة المطففين، في سياق ذكر عذاب الكافرين، أنهم محجوبون عنه تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ۝١٥﴾ وهذه الآية قد استدل بها الشافعي على إثبات رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة. « ووجه الدلالة أنه ما حُجب هؤلاء الفجار في الغضب؛ إلا رآه أولئك الأبرار في الرضى، فإذا كان أهل الغضب محجوبين عن الله، فأهل الرضى يرون الله سبحانه، وهذا استدلال قوي جداً؛ لأنه لو كان الكل محجوبين؛ لم يكن مزية لذكر هؤلاء ».[٢]

المطلب السادس: وصف النار وعذابها:

لقد وصف الله القرآن الكريم بأنه مثاني: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ﴾ «الزمر:٢٣» أي أنه «يذكر الشيء وضده كذكر المؤمنين ثم الكافرين، وكصفة الجنة ثم صفة النار»[٣].

---

(١) المرجع السابق، (٦/٣٨٩٦).

(٢) العثيمين،محمد بن صالح. **شرح العقيدة الواسطية**، ط٢: ١٤١٥، دار ابن الجوزي، الدمام، (١/٤٥٤-٤٥٥).

(٣) الدمشقي، إسماعيل بن كثير. **تفسير القرآن العظيم**، مرجع سابق، (٤/٦٥).

لذلك جاءت في مقابل ذكر آيات وصف الجنة ونعيمها، آيات وصف النار وعذابها؛ ليحذر المؤمنون سلوك السبيل الموصلة إليها، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ ﴾ «الليل».

ولقد هيأ الله للعصاة والكافرين عذاباً لا محالة هم آيبون إليه، وإن طالت بهم الحياة، وأوغلوا في الإثم والعصيان، واغتروا بما أوتوا وظنوا أنه لا نهاية لما هم فيه، فتقرع أسماعهم تلك الآيات:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّاغِينَ مَآبًا ﴿٢٢﴾ لَّابِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ ﴾ «النبأ». فأي نعيم لهم في الدنيا يستحق أن يهنؤوا به؛ وقد أرصد لهم ذلك العذاب لو كانوا يعلمون.

وفي يوم القيامة تغشى وجوههم آثار العذاب؛ فتلك «وجوه خاشعة ذليلة متعبة مرهقة، عملت ونصبت فلم تحمد العمل، ولم ترض العاقبة، ولم تجد إلا الوبال والخسارة؛ فزادت مضضاً وإرهاقاً وتعباً...ومع هذا الذل والرهق، العذاب والألم»[1]:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ﴿٥﴾ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴿٦﴾ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ ﴿٧﴾ ﴾ «الغاشية».

﴿ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ ﴾ «عبس»

﴿ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴿١١﴾ ﴾ «القارعة»

(١) قطب، سيد. في ظلال القرآن، مرجع سابق، (٦/٣٨٩٦).

وفي بيان شدة عذاب الكفار يوم القيامة، يذكر الله النار وينسبها إلى نفسه ويصفها بوصف يخلع القلوب خشية وخوفاً:

﴿ كَلَّا لَيُنۢبَذَنَّ فِي ٱلۡحُطَمَةِ ٤ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحُطَمَةُ ٥ نَارُ ٱللَّهِ ٱلۡمُوقَدَةُ ٦ ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلۡأَفۡـِٔدَةِ ٧ إِنَّهَا عَلَيۡهِم مُّؤۡصَدَةٌ ٨ فِي عَمَدٖ مُّمَدَّدَةِۭ ٩ ﴾ ﴿الهمزة﴾

نعوذ بالله من عذاب الله وأسباب سخطه ...

المبحث الثامن: الإيمان بالقضاء والقدر:

الإيمان بالقدر من أصول الإيمان التي لا يكون العبد مؤمناً إلا باستكمالها جميعاً، وقد جاء في حديث عمر بن الخطاب ﷺ المشهور قوله ﷺ: « أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ قَالَ: صَدَقْتَ ».[١]

والنصوص المخبرة عن قدر الله، أو الآمرة بالإيمان بالقدر كثيرة، فمنها:

قوله تعالى: ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾ ﴾ الفرقان.

وقوله : ﴿ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾ ﴾ الأحزاب.

وقوله ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ ﴾ القمر.

قال طاووس – رحمه الله -: أدركت ناساً من أصحاب رسول الله ﷺ يقولون: كل شيء بقدر ». قَالَ وَسَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ رضي الله عنهما يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كُلُّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ، حَتَّى الْعَجْزِ وَالْكَيْسِ[٢] أَوْ الْكَيْسِ وَالْعَجْزِ»[٣]

« وقد تقاطر أهل العلم على تقرير القدر، والنصِّ على وجوب الإيمان به، وما من عالم من علماء أهل السنة، الذين هم أعلام الهدى، وأنوار الدجا، إلا وقد نصَّ على وجوب الإيمان به، وبدَّع وسفَّه من أنكره ورده »[٤]

---

(١) النيسابوري، مسلم بن الحجاج. **صحيح مسلم**، مرجع سابق، (٣٧/١)، رقم الحديث(٨).

(٢) الكَيْسُ الخفَّة والتوقُّد.انظر: ابن منظور، محمد بن مكرم. **لسان العرب**. مرجع سابق، مادة (كيس).

(٣) النيسابوري، مسلم بن الحجاج. **صحيح مسلم**، مرجع سابق، (٢٠٤٥/٤)، رقم الحديث(٢٦٥٥).

(٤) الأشقر، عمر سليمان. **القضاء والقدر**، ط١ ١٤١٠، مكتبة الفلاح، الكويت، (١٨).

وفي هذا الجزء جاء تقرير هذه العقيدة بكل جلاء ووضوح، من خلال المطالب الأربعة التالية :

المطلب الأول: الإيمان بأن الله كتب في اللوح المحفوظ كل شيء:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ كِتَٰبَۢا ﴿٢٩﴾ ﴾ ﴿النبأ﴾

قال ابن كثير- رحمه الله -: « وقد عَلِمنا أعمالَ العباد كلهم، وكتبناها عليهم، وسنجزيهم على ذلك، إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر »[١].

قَالَ عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ ﷺ لابْنِه: يَا بُنَيَّ إِنَّكَ لَنْ تَجِدَ طَعْمَ حَقِيقَةِ الْإِيمَانِ؛ حَتَّى تَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: « إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ. فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ. قَالَ: رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ ». يَا بُنَيَّ، إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: « مَنْ مَاتَ عَلَى غَيْرِ هَذَا فَلَيْسَ مِنِّي ».[٢]

المطلب الثاني : الإيمان بمشيئة الله الشاملة وقدرته النافذة:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ ﴾ ﴿البروج﴾ فهو تعالى «مهما أراد فَعَلَه، لا معقب لحكمه، ولا يسأل عما يفعل؛ لعظمته وقهره وحكمته وعدله»[٣].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ ﴿التكوير﴾.

وهاتان الآيتان تقرران قاعدة عظيمة في باب القضاء والقدر، من فَقِهَهَا وعَقَلها فقد أوتي خيراً كثيراً، وكُفي شراً كثيراً، من الخواطر والشبهات التي يلقيها الشيطان على بعض الناس في هذا الباب.

(١) الدمشقي، إسماعيل بن كثير. **تفسير القرآن العظيم**، مرجع سابق، (٥٩٧/٤).

(٢) البيهقي، أحمد بن الحسين. **السنن الكبرى**، مرجع سابق، (٢٠٤/١٠)، رقم الحديث(٢٠٦٦٤). وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٤٧٠٠).

(٣) الدمشقي، إسماعيل بن كثير. **تفسير القرآن العظيم**، مرجع سابق، (٦٣٩/٤).

قال الشيخ ابن عثيمين - رحمه الله - : « فما نفعله نحن إنما هو باختيارنا وإرادتنا، ولولا ذلك ما كان لإرسال الرسل حجة علينا، إذ نستطيع أن نقول نحن لا نقدر على الاختيار، ولكن في الحقيقة إن الإنسان لا شك أنه فاعل باختياره، والعبد ما شاء شيئاً إلا وقد شاءه الله من قبل، ولذا قال: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾، فما نشاء شيئاً إلا بعد أن يكون الله قد شاءه، فإذا شئنا الشيء علمنا أن الله قد شاءه، ولولا أن الله شاءه ما شئناه. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾﴾ ﴿البقرة﴾ ».[1]

إذن فللعبد مشيئة واختيار، فليس هو مجبوراً على فعله لا اختيار له كما تقول الجبرية، الذين ينفون مشيئة العبد، ويجعلونه كالريشة في مهب الريح.

ولتأكيد هذا الأمر وتقريره؛ فقد نسب الله تعالى الأفعال إلى فاعليها حقيقة، وباستقراء هذا الجزء نرى شواهد كثيرة على ذلك:

﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴿٣٩﴾﴾ ﴿النبأ﴾،

﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾﴾ ﴿النازعات﴾

﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴿٣﴾ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ﴿٤﴾﴾ ﴿عبس﴾،

﴿كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾ ﴿المطففين﴾،

﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴿٥﴾﴾ ﴿الانفطار﴾،

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾﴾ ﴿الشمس﴾،

﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٩﴾ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ﴿١١﴾﴾ ﴿الأعلى﴾،

﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾﴾ ﴿الغاشية﴾، ﴿كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴿١١﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ﴾ ﴿عبس﴾،

﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾﴾ ﴿التكوير﴾.

---

(١) العثيمين، محمد بن صالح. تفسير جزء عمّ، ط٣: ١٤٢٤-٢٠٠٣، دار الثريا، الرياض، (٨٢).

وقوله تعالى: ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴿٣٩﴾﴾ «النبأ» فالمشيئة هنا مقيدة بما جاء في قوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ «التكوير». يعني أن لنا الخيار فيما نذهب إليه لا أحد يكرهنا على شيءٍ؛ ومع ذلك فخيارنا وإرادتنا ومشيئتنا راجعة إلى مشيئة الله: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾[1]

وهنا مسألة في هذا الباب يحسن إيرادها؛ لإزالة بعض الشبهات التي قد تعرض لبعض الناس.

فقد يقول قائل: «إذن لنا حجة في المعصية، لأننا ما شئناها إلا بعد أن شاءها الله..»!

فالجواب: أنه لا حجة لنا، لأننا لم نعلم أن الله شاءها إلا بعد أن فعلناها، وفعلنا إياها باختيارنا، فلا يمكن أن نقول إن الله شاء كذا إلا بعد أن يقع، فإذا وقع، فبأي شيءٍ وقع؟

لقد وقع بإرادتنا ومشيئتنا ﴿ وهي تبع لإرادة الله ومشيئته﴾. فلا يتجه أن يكون للعاصي حجة على الله سبحانه. وقد أبطل الله هذه الحجة في قوله: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا ۗ﴾ «الأنعام:١٤٨». فلولا أنه لا حجة لهم ما ذاقوا بأس الله، ولسَلِموا منه، ولكنه لا حجة لهم فلهذا ذاقوا بأس الله.[2]

ولقد خلق الله الإنسان وزوده بما يستطيع أن يعرف به الخير من الشر، والهدى من الضلال: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾﴾ «البلد».

---

(١) المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق، (٨٢-٨٣).

قال الزجاج - رحمه الله -: «المعنى: ألم نعرفه طريق الخير وطريق الشرّ، مُبَيَنَتَيْن كَتَبْيُّن الطريقين العاليتين». [١]

وقال البقاعي - رحمه الله:

« ﴿وَهَدَيْنَٰهُ﴾ أي بما آتيناه من العقل. ﴿ٱلنَّجْدَيْنِ﴾: أي طريقي الخير والشر، وصار بما جعلناه له من ذلك سميعاً بصيراً عالماً، فصار موضعاً للتكليف». [٢]

وفي سورة الشمس بعد إقسامه سبحانه بأحد عشر قسماً، ومنها نفس الإنسان التي خلقها فسواها:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨﴾ ﴿الشمس﴾،

قيل: « عرَّفها طريق الفجور والتقوى؛ وقال ابن عباس رضي الله عنهما: عرفها الطاعة والمعصية.

وقال محمد بن كعب - رحمه الله -: إذا أراد الله عز وجل بعبده خيراً، ألهمه الخير فعمل به، وإذا أراد به السوء، ألهمه الشر فعمل به »[٣]

وأصل الإلهام « يطلق إطلاقاً خاصاً على حدوث علمٍ في النفس بدون تعليم، ولا تجربة، ولا تفكير، فهو علمٌ يحصل من غير دليل.

قال الراغب - رحمه الله -: الإلهام: إيقاع الشيء في الروع، ويختص ذلك بما كان من جهة الله تعالى »[٤].

---

(١) الشوكاني، محمد بن علي. **فتح القدير**، دار المعرفة، بيروت، (٥/٤٤٤)

(٢) البقاعي، إبراهيم بن عمر. **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، مرجع سابق، (٢٢/٥٧).

(٣) القرطبي، محمد بن أحمد. **الجامع لأحكام القرآن**. مرجع سابق، (٢٠/٧٥).

(٤) ابن عاشور، محمد الطاهر. **تفسير التحرير والتنوير**، مرجع سابق، (٣٠/٣٦٩).

وقد كان النبي ﷺ يدعو بهذا الدعاء « **اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا** »[١]

وعَنْ أَبِي الْأَسْوَدِ الدِّيلِيِّ – رحمه الله - قَالَ: قَالَ لِي عِمْرَانُ بْنُ الْحُصَيْنِ: أَرَأَيْتَ مَا يَعْمَلُ النَّاسُ الْيَوْمَ وَيَكْدَحُونَ فِيهِ، أَشَيْءٌ قُضِيَ عَلَيْهِمْ وَمَضَى عَلَيْهِمْ مِنْ قَدَرِ مَا سَبَقَ، أَوْ فِيمَا يُسْتَقْبَلُونَ بِهِ مِمَّا آتَاهُمْ بِهِ نَبِيُّهُمْ وَثَبَتَتْ الْحُجَّةُ عَلَيْهِمْ. فَقُلْتُ: بَلْ شَيْءٌ قُضِيَ عَلَيْهِمْ وَمَضَى عَلَيْهِمْ. قَالَ: فَقَالَ: أَفَلَا يَكُونُ ظُلْمًا ؟ قَالَ: فَفَزِعْتُ مِنْ ذَلِكَ فَزَعًا شَدِيدًا. وَقُلْتُ: كُلُّ شَيْءٍ خَلْقُ اللَّهِ وَمِلْكُ يَدِهِ، فَلَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ. فَقَالَ لِي: يَرْحَمُكَ اللَّهُ، إِنِّي لَمْ أُرِدْ بِمَا سَأَلْتُكَ إِلَّا لِأَحْزِرَ[٢] عَقْلَكَ. إِنَّ رَجُلَيْنِ مِنْ مُزَيْنَةَ، أَتَيَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ مَا يَعْمَلُ النَّاسُ الْيَوْمَ وَيَكْدَحُونَ فِيهِ، أَشَيْءٌ قُضِيَ عَلَيْهِمْ وَمَضَى فِيهِمْ مِنْ قَدَرٍ قَدْ سَبَقَ، أَوْ فِيمَا يُسْتَقْبَلُونَ بِهِ مِمَّا آتَاهُمْ بِهِ نَبِيُّهُمْ وَثَبَتَتْ الْحُجَّةُ عَلَيْهِمْ. فَقَالَ: «**لَا بَلْ شَيْءٌ قُضِيَ عَلَيْهِمْ وَمَضَى فِيهِمْ، وَتَصْدِيقُ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ:** ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴾ ».[٣]

المطلب الثالث: كلٌ ميسرٌ لما خُلِقَ له:

من المعالم الواضحة في عقيدة القضاء والقدر في هذا الجزء، أن كل إنسان ميسر لما خلق له، على ما سبق في علم الله في الأزل. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ۝٤ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠ ﴾ ﴿سورة الليل﴾.

---

(١) النيسابوري، مسلم بن الحجاج. **صحيح مسلم**، مرجع سابق، (٤/٢٠٨٨)، رقم الحديث(٢٧٢٢).

(٢) أَيْ لِأَمْتَحِن عَقْلَك وَفَهْمك وَمَعْرِفَتك. النووي، محي الدين. **شرح صحيح مسلم**، مرجع سابق، (١٦/١٩٩).

(٣) النيسابوري، مسلم بن الحجاج. **صحيح مسلم**، مرجع سابق، (٤/٢٠٤١)، رقم الحديث(٢٦٥٠).

وعن عليّ ﷺ قال: كُنَّا جلوسا عند النبيّ ﷺ فنكَت الأرض، ثم رفع رأسه فقال: «**ما منكُمْ من أحَدٍ إلا وَقَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ الجَنَّةِ وَمَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ**»قلنا: يا رسول الله أفلا نتكل؟ قال: «**لا. اعْمَلُوا فَكُلّ مُيَسَّر**»، ثم قرأ: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴿٤﴾﴾»[١]

وفي رواية أخرى عن عليّ ﷺ، قال: كنا في جنازة في البقيع، فأتانا رسول الله ﷺ فجلس وجلسنا معه، ومعه عود ينكت في الأرض، فرفع رأسه إلى السماء فقال: «**ما مِنْكُمْ مِنْ نَفْسٍ مَنْفُوسَةٍ إلا قَدْ كُتِبَ مَدْخَلُها**»، فقال القوم: يا رسول الله ألا نتكل على كتابنا ؟ فمن كان من أهل السعادة فإنَّهُ يعمل للسعادة، ومن كان من أهل الشقاء فإنه يعمل للشقاء، فقال: «**بَلِ اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ؛ فأَمَّا مَنْ كانَ مِنْ أَهْلِ السَّعادَةِ فإنَّهُ يُيَسَّرُ لِعَمَلِ السَعادَةِ وأمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقاءِ فإنَّهُ يُيَسَّرُ للشَّقاءِ**»، ثم قرأ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾﴾[٢]

وروى الطبري – رحمه الله - عن بُشير بن كعب ﷺ، قال: سأل غلامان شابان النبيّ ﷺ، فقالا يا رسول الله، أنعمل فيما جفَّت به الأقلام، وجرَت به المقادير، أو في شيء يستأنف ؟ فقال: «**بَلْ فيما جَفَّتْ بِهِ الأقْلامُ وَجَرَتْ به المقادِيرُ**» قالا: ففيم العمل إذن ؟ قال: «**اعمَلُوا، فَكُلٌّ عامِلٍ مُيَسَّرٌ لِعَمَلِهِ الَّذي خلِقَ لَهُ**»، قالا: فالآن نجِدُّ ونعملُ.[٣]

فهكذا فهم هذان الصحابيان رضي الله عنهما، أن الإنسان مادام أنه ميسر لما خلق له، فينبغي أن يجدَّ ويعمل، ولا يتكل على القدر، فهو لا يعلم ماذا قدر له إلا بعد وقوعه. فكيف له أن يتكل عليه ويحتج به ؟

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل. صحيح البخاري، مرجع سابق، (١٨٩٠/٤)، رقم الحديث(٤٦٦١).

(٢) المرجع السابق، (٤٥٨/١)، رقم الحديث(١٢٩٦).

(٣) الطبري، محمد بن جرير. جامع البيان في تأويل القرآن، مرجع سابق، (٢٢٥/٣٠)

«وكان حاصل ما أراده ﷺ بقوله: «اعْمَلُوا فَكُلٌ مُيَسَّر..»: عليكم بشأن العبودية وما خلقتم لأجله وأمرتم به، وكِلُوا أمور الربوبية المغيبة إلى صاحبها، فلا عليكم بشأنها؟»[١]

« وخلاصة الحديث: أنه بيان للفرق بين تعلق علم الله بأعمال عباده قبل أن يعملوها، وبين تعلُّق خطابه إياهم بشرائعه، وأن ما يصدر عن الناس من أعمال ظاهرة وباطنة إلى خاتمة كل أحد وموافاته، هو عنوان للناس على ما كان قد علمه الله ».[٢]

وهذه المقادير قد سبقت في علم الله قبل خلق السموات والأرض: فعن عبد الله ابن عَمرو: أن رسول الله ﷺ قال: « كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ. قَالَ: وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ ».[٣]

والله سبحانه وتعالى قد هدى كل إنسان إلى فعل ما قُدِّر له، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾ ﴾ ﴿الأعلى﴾، قال مجاهد - رحمه الله -: « هدى الإنسان للشقاوة والسعادة، وهدى الأنعام لمراتعها. وهذه الآية كقوله تعالى إخباراً عن موسى أنه قال لفرعون: ﴿ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ ﴾ ﴿طه﴾، أي: قدر قدراً، وهدى الخلائق إليه».[٤]

---

(١) البغدادي،محمود الآلوسي. **روح المعاني**، ط٤، ١٤٠٥، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (١٤٩/٣٠)

(٢) ابن عاشور، محمد الطاهر. **تفسير التحرير والتنوير**، مرجع سابق، (٣٨٦/٣٠)

(٣) النيسابوري، مسلم بن الحجاج. **صحيح مسلم**، مرجع سابق، (٢٠٤٤/٤)، رقم الحديث(٢٦٥٣)

(٤) الدمشقي، إسماعيل بن كثير. **تفسير القرآن العظيم**، مرجع سابق، (٦٤٤/٥)

المطلب الرابع : الهداية والإضلال بيد الله وحده ووفق مشيئته وحكمته :

من مقتضى الربوبية أن أمر الهداية والإضلال إلى الله سبحانه وتعالى، فيهدي من يشاء بمنته وفضله، ويضل من يشاء بحكمته وعلمه، وهو العليم الحكيم. وليس للعبد أن يعترض على أقدار الله، كيف هدى فلاناً وأضل فلاناً ؟ لأن الهداية ملكه تعالى فيمنحها من يشاء ويمنعها من يشاء.

وهي مقدرة بعلمه السابق بما يعمله الإنسان من هدى وضلال.

« قال رجل لأبي عصام القسطلاني – رحمه الله -: أرأيت إن منعني الهدى، وأوردني الضلال ثم عذبني أيكون منصفاً ؟ فقال له أبو عصام: إن يكن الهدى شيئاً هو له، فله أن يعطيه من يشاء ويمنعه من يشاء.

وقال القاضي عبد الجبار﴿شيخ المعتزلة في زمانه﴾: أرأيت إن منعني الهدى، وقضي علي بالردى، أحسن إليَّ أم أساء ؟ فقال أبو إسحاق الإسفرائيني – رحمه الله -: إن منعك ما هو لك فقد أساء، وإن منعك ما هو له فهو يختص برحمته من يشاء. فبهت القاضي »[1].

يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴿١٢﴾ ﴾﴿سورة الليل﴾.

قال الفراء – رحمه الله -: «المعنى إن علينا للهدى والإضلال، فترك الإضلال كقوله: ﴿ وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ ﴾ ﴿سورة النحل: ٨١﴾، وهي تقي الحر والبرد، وهذا معنى قول ابن عباس في رواية عطاء، قال: يريد أُرشدُ أوليائي إلى العمل بطاعتي، وأحول بين أعدائي أن يعملوا بطاعتي فذكر معنى الإضلال »[2]

ونلحظ هنا في الآية حرف (على) فهو« يُفيد معنى اللزوم، أي لازم لنا هُدَى

(١) الطبري، محمد بن جرير. **تاريخ الأمم والملوك**، دار الكتب العلمية، بيروت، (١٢٥/٨).

(٢) الرازي، فخر الدين محمد بن عمر. **التفسير الكبير**، مرجع سابق، (١٨٣/٣١).

الناس، وهذا التزام من الله اقتضاه فضله وحكمته، فتولى إرشاد الناس إلى الخير قبل أن يؤاخذهم بسوء أعمالهم...وعطف ﴿ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ ﴿١٣﴾ ﴾ ﴿سورة الليل﴾، على جملة ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴿١٢﴾ ﴾ تتميم وتنبيه على أن تعهّد الله لعباده بالهُدى فضلٌ منه وإلا فإن الدار الآخرة ملكه والدار الأولى ملكه بما فيهما:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ﴾ ﴿المائدة:١٧﴾،

فله التصرف فيهما كيف يشاء فلا يحسبوا أن لهم حقاً على الله تعالى إلا ما تفضل به »[١]

ما للعباد عليه حق واجب كلا ولا سعي لديه ضائـــع
إن عذبوا فبعدله أو نعموا فبفضله فهو الكريم الواسع[٢]

وبعد استقراء هذه المعالم في موضوع القدر، من خلال هذه الآيات، يحسن إيراد أقوال بعض الأئمة في التحذير من الخوضِ في القدر، والاعتمادِ فيه على محض العقل، فإنه مزلة للقدم، تؤدي إلى عواقب لا تحمد.

قال الطحاوي – رحمه الله -: « وأصل القدر سر الله تعالى في خلقه، لم يطلع عليه ملك مقرب، ولا نبي مرسل، والتعمق في ذلك ذريعة الخذلان، وسلم الحرمان، ودرجة الطغيان، فالحذر الحذر من ذلك نظراً وفكراً ووسوسة، فإن الله طوى علم القدر عن أنامه، ونهاهم عن مرامه،

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ ﴿الأنبياء﴾ »[٣]

وقال الآجريُّ: « لا يحسن بالمسلمين التنقير والبحث في القدر، لأن القدر سر من أسرار الله عز وجل، بل الإيمان بما جرت به المقادير من خير أو شر واجب

(١) ابن عاشور، محمد الطاهر. تفسير التحرير والتنوير، مرجع سابق، (٣٠/٣٨٨)
(٢) الدمشقي، محمد بن أبي بكر. بدائع الفوائد، ط١: ١٤٢٥، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة.(٢/٦٤٥)
(٣) ابن أبي العز، محمد بن علاء الدين. شرح العقيدة الطحاوية، مرجع سابق، (٢٤٩).

على العباد أن يؤمنوا به، ثم لا يأمن العبد أن يبحث عن القدر فيكذب بمقادير الله الجارية على العباد، فيضل عن طريق الحق »[١]

وقال الدكتور عمر الأشقر: « إن الإسلام وضع بين يدي الإنسان معالم الإيمان بالقدر، فالإيمان بالقدر يقوم على أن الله علم كل ما هو كائن، وكتبه، وشاءه، وخلقه، واستيعاب العقل لهذه الحقائق سهل ميسور، ليس فيه صعوبة ولا غموض ولا تعقيد.

أما البحث في سر القدر، والغوص في أعماقه؛ فإنه يبدد الطاقة العقلية ويهدرها، إن البحث في كيفية العلم، والكتابة، والمشيئة، والخلق، بحث في كيفية صفات الله، وكيف تعمل هذه الصفات، وهذا أمر محجوب علمه عن البشر، وهو غيب يجب الإيمان به، ولا يجوز السؤال عن كنهه، والباحث فيه كالباحث عن كيفية استواء الله على عرشه، يقال له: هذه الصفات التي يقوم عليها القدر معناها معلوم، وكيفيتها مجهولة، والإيمان بها واجب، والسؤال عنها بدعة »[٢]

(١) الآجري، محمد بن الحسين. **الشريعة**، ط٢: ١٤٢٠-١٩٩٩، دار الوطن للنشر، الرياض، (٦٩٧/٢).

(٢) الأشقر، عمر سليمان. **القضاء والقدر**. مرجع سابق، (٤٩)

الآثار التربوية للإيمان بالقضاء والقدر :

١- الإيمان بالقضاء والقدر يمنع الإنسان من اليأس والحسرة، فحين يحاول تحقيق شيءٍ ثم يفشل فيه، يجعله ذلك يرضى بالنتيجة التي قدرها الله له فهو أعلم منه بمصلحته، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾﴾ ﴿البقرة﴾.

٢- الإيمان بعقيدة القضاء والقدر يقضي على الغرور والاختيال عند النجاح، فإذا أراد المؤمن تحقيق شيءٍ ووُفق له؛ فإنه يعلم أن الفضل لله في تقدير ذلك، وفي عونه عليه؛ فيبقى متواضعاً شاكراً لأنعم الله.

٣- تطهير القلب من الحسد، فحين تعلم أن الله فضل بعض الناس على بعض في الرزق؛ ليبلوهم فيما آتاهم، فإنك لا تحسد من هم أحسن حالاً منك، وإنما ترضى بما قُسم لك، وتحمد الله على فضله.

٤- يؤدي الإيمان بالقضاء والقدر إلى الإقدام والشجاعة، فالأعمار مقدرة، والآجال محتومة، وهذا يجعل المؤمن يجاهد بشجاعة لنصرة الحق، وإزهاق الباطل، لا يهاب الموت ولا يفر من العدو.

قال علي رضي الله عنه:

أيُّ يوميَّ من الموت أفِرّ ... يوم لا قُدِّر أو يوم قُدِر
يوم لا قُدِّر لا أرهبه ... ومن المقدور لا يُنجي الحذر[1]

(١) الأندلسي، أحمد بن محمد بن عبد ربه. **العقد الفريد**، دار الكتاب العربي، بيروت، (١٢٥/١)

٥- تقوية الإرادة، ومضي العزيمة، حين يعلم أن مصيره بيد الله وحده، فيتوكل عليه، ويفوض أمره إليه، ويسير بخطوات ثابتة إلى غايته.

٦- الرضى والطمأنينة، وكيف لا ترضى النفوس وتطمئن وهي تعلم أن الله هو الذي يعطي ويمنع، ويعز ويذل، والخير بيده وهو على كل شيءٍ قدير.

الفصل الثاني

معالم التربية الروحية

تمهيد

لقد اعتنى الإسلام بتربية الروح، وتزكية النفوس وتطهيرها، فهي عنصر مهم من عناصر تكوين الإنسان، وهي لا تصل إلى كمالها؛ إلا بالتربية على المنهج الشرعي المستمد من الكتاب والسنة.

وإن الإسلام في تربيته للروح يعقد صلة دائمة بينها وبين الله، تدفعها للترقي في مدارج الكمال، والترفع عن الإخلاد إلى الأرض، والتكالب على حطام الدنيا الزائف، والمنافسة في متاعها الزائل.

ومن خلال التأمل في الواقع التربوي للمجتمع اليوم؛ فإننا نرى خللاً كبيراً، وإهمالاً واضحاً لهذا الجانب المهم في التربية؛ فقد أصبح دور كثيرٍ من المعلمين - والذين يفترض أن يكونوا مربين - لا يزيد على سرد المعلومات على الطلاب وملء عقولهم بها، في غفلة كبيرة عن الدور التربوي المنوطِ بهم، في تزكية هذه النفوس وتطهيرها.

إضافة إلى فقدان دور الأسرة في جانب تزكية الروح وتطهيرها، حيث اكتفى كثير من الآباء بتوفير الاحتياجات المادية للولد، كالمأكل والمشرب وغيرهما... ويُغْفِلون وربما يجهلون - وهذه أطمُّ - أن الدور المطلوب منهم، ليس فقط ثوباً يكتسي به الولد من عُري، أو شربةً يرتوي بها من ظمأ، أو لقمةً يشبع بها من جوع، بل المطلوب منهم أعظم من ذلك وأكبر، إن المطلب الأهم هو أن يقوهم النار، ويحولوا بينهم وبينها بكل سبيل:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا ﴾ (التحريم:٦).

قال قتادة: « أن يأمرهم بطاعة الله، وينهاهم عن معصيته، وأن يقوم عليهم بأمر الله يأمرهم به، ويساعدهم عليه، فإذا رأيت لله معصية ردعتهم عنها، وزجرتهم عنها »[١]

إن توفير تلك الاحتياجات المادية أمر يقدر عليه كثير من الناس، لكن الغاية الأصعب، والهدف الأشق؛ هو تربية الروح وتزكية النفس.

يا خادم الجسم كم تسعى لخدمته أتعبت نفسك فيما فيه خسران

أقبل على الروح فاستكمل فضائلها فأنت بالروح لا بالجسم إنسان[٢]

وكم شقي كثير من الأولاد بغفلة آبائهم عن هذا الجانب أو جهلهم به، وخير شاهد على ذلك حال كثير من الشباب في هذه الأيام، في ظل الانفتاح الفكري بكافة صوره وأشكاله، مع غياب كبير للتربية الروحية على المنهج الإسلامي، كما جاء في كتاب الله سبحانه وتعالى وسنة رسوله ﷺ.

إن أساس صلاح النفس هو صلاح القلب:

عن النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ رضي الله عنه، قال سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: « **الْحَلَالُ بَيِّنٌ، وَالْحَرَامُ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشَبَّهَاتٌ، لَا يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنْ النَّاسِ، فَمَنْ اتَّقَى الْمُشَبَّهَاتِ؛ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ، كَرَاعٍ يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يُوَاقِعَهُ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلَا إِنَّ حِمَى اللَّهِ فِي أَرْضِهِ مَحَارِمُهُ، أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ** »[٣]

---

(١) الطبري، محمد بن جرير. **جامع البيان في تأويل القرآن**، مرجع سابق، (٦٦١/٨٢).

(٢) البستي، أبو الفتح علي بن محمد. **ديوان أبي الفتح البستي**، ١٤١٠- ١٩٨٩، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، (١٨٣).

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل. **صحيح البخاري**، مرجع سابق، (٨٢/١)، رقم الحديث (٢٥).

وعند تأمل المنهج التربوي في هذا الجزء؛ نلحظ بوضوح العناية الفائقة بإصلاح القلب؛ فهو أساس الفلاح والنجاة، وبالتالي فهو ميدان المعركة الحقيقية مع الشيطان والهوى.

ويكفي في هذه المقدمة أن أشير إشارات سريعة لهذا الأمر، وقد فصلتها في مواضعها من البحث.

فالعناية بإصلاح القلب تتمثل في هذا الجزء في الأمور التالية:

١- التأثير الوجداني على القلب من خلال دلائل توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات.

٢- التركيز على الإيمان بالغيبيات من أحوال يوم القيامة وأهواله وما يكون فيه.

٣- تعميق الخوف والرجاء بالميزان الشرعي المعروف.

٤- حث المؤمن على الالتجاء إلى الله تعالى، والاحتماء به من كل الشرور المخوفة.

٥- الحث على شكر النعم التي أولاها الله تعالى لعباده.

٦- تثبيت المؤمنين بذكر المعجزات وأخبار السابقين.

٧- غرس مبدأ الاعتزاز بالدين وعدم المداهنة فيه.

٨- الإحسان إلى الناس وأثره في صلاح القلب.

ولقد جاء القرآن الكريم لهداية الناس للتي هي أقوم، وتحذيرهم من سبل الضلال والغواية؛ وحيث إن النفس البشرية من طبيعتها السآمة والملل؛ فقد تنوعت أساليب التوجيه والإرشاد في مجال التزكية الذي نحن بصدده.

وفي هذا الجزء جاءت معالم التربية في جانب الروح وتزكيتها وتطهيرها من خلال الأمور التالية:

١- أهمية تزكية النفس وتطهيرها.

٢- محاسبة النفس.

٣- العبادة.

٤- الالتجاء إلى الله والاعتصام به.

المبحث الأول: أهمية تزكية النفس وتطهيرها:

لقد أقسم الله سبحانه وتعالى في مطلع سورة الشمس بأحد عشر قسماً، شملت بعض الآيات الكونية العظيمة: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا ۝١ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ۝٢ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ۝٣ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا ۝٤ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ۝٥ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا طَحَىٰهَا ۝٦ وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ ﴾ .

والمقسم عليه هو: ﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠ ﴾

ومما يبين عظم شأن التزكية أن سيق للإقسام عليها هذه الأقسام المتتالية، ولا غرو، فهي حقيقة بذلك.

وأصل قوله (أفلح) مأخوذ من « الفَلَح والفَلاحُ وهو الفوز والنجاة والبقاء في النعيم والخير »[1].

لذلك فمن اشتغل بنفسه؛ فزكاها وأنماها بالتقوى والعمل الصالح، فهو حري بالنجاة والبقاء في النعيم والخير.

وجاء في قوله تعالى: ﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝١٤ ﴾ ﴿الأعلى﴾، التأكيد على معنى الآيات السابقة، فقد أثنى الله على من « أعمل نفسه في تطهيرها من فاسد الاعتقادات، والأخلاق، والأقوال، والأفعال، والأموال، وتنمية أعمالها القلبية، والقالبية، وصدقة أموالها».[2]

وفي آية «الأعلى»، ملحظ حري بالتأمل وهو التعبير بـ«تزكّى» على وزن تفعَّل. وفيه إشارة إلى «بذل استطاعته في تطهير نفسه وتزكيتها...فمادة التفعُّل للتكلف

(١) انظر: ابن منظور، محمد بن مكرم. **لسان العرب**. مرجع سابق، مادة (فلح).

(٢) البقاعي، إبراهيم بن عمر. **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور** مرجع سابق، (٤٠٣/٢١)

وبذل الجهد»[١] فالتزكية إذن تحتاج إلى مجاهدة واستمرار، ليصل العبد إلى مبتغاه. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ ﴿العنكبوت﴾.

وقد بعث الله نبيه ﷺ لتزكية النفوس وتطهيرها وامتن على المؤمنين بذلك: ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ ﴾ ﴿آل عمران﴾

فالتزكية هي إحدى نتائج التربية، بل هي الهدف الأساس لها، وكل ما عداها فهو وسيلة لها.

فقراءة القرآن الكريم، وتعلم العلم الشرعي، والعبادة بكل أنواعها كل ذلك وسيلة إلى التزكية.

ولذلك جاء ذكر كثير من الأحكام الشرعية، والتوجيهات التربوية معللة بأن فيها تزكية وتطهيراً للنفوس:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾ ﴿التوبة/١٠٣﴾

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟ وَتُسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا۟ فِيهَآ أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ ۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُوا۟ فَٱرْجِعُوا۟ ۖ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ ﴿النور﴾

﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ ﴿النور﴾

(١) ابن عاشور، محمد الطاهر. تفسير التحرير والتنوير مرجع سابق، (٣٠ /٨٧-٨٨).

وكان من دعائه ﷺ: ((**اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا**)).[1]

وحين بعث الله موسى عليه السلام إلى فرعون الطاغية، كان الأمر بالتزكية هو أولَ ما أمره به: ﴿هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾﴾ «النازعات»

وفي قصة عبد الله بن أم مكتوم الذي جاء يسعى راغباً في تزكية نفسه وتطهيرها، فأعرض عنه الرسول ﷺ، حيث كان مشتغلاً بدعوة من يطمع في إسلامهم، ونصرتهم للدين، من زعماء قريش وكبرائها، فعوتب في ذلك عتاباً شديداً. ذلك أن تزكية فرد من المجتمع تستحق أن يُعتنى بها وتُبذل لها الأوقات، كما يُعتنى بدعوة الأشخاص المؤثرين في المجتمع من غير المسلمين، والذين يؤمل من وراء إسلامهم نفعٌ عظيمٌ للدعوة.

يقول الله تعالى في هذا الموقف التربوي المهم: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴿٣﴾ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ﴿٤﴾ أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ﴿٥﴾ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ﴿٦﴾ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ﴿٧﴾﴾ «عبس»

وأثنى الله على أبي بكر الصديق رضي الله عنه في سورة الليل بقوله: ﴿ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾﴾، فهو ينفقه في وجوهه، ليزكي نفسه، ويطهرها من الشح والبخل.

ومن أعظم ما يزكي النفوس ويرتقي بها؛ معايشة العلماء، وأهل الفضل، ومخالطتهم للناس، ليربوهم على العزائم، ويرتفعوا بهم عن صوارف الدنيا وملهياتها.

---

(١) النيسابوري، مسلم بن الحجاج. **صحيح مسلم**، مرجع سابق، (٤/٢٠٨٨)، رقم الحديث(٢٧٢٢).

وهذا الدور – للأسف الشديد – يكاد يكون معدوماً عند كثير من العلماء، والفضلاء.

فأين العالم الرباني الذي يخالط الناس، ويصبر على أذاهم؛ فيعلمهم ويربيهم ؟!

أين العالم الرباني الذي يتلمس مشكلات الناس، ويضع الحلول الشرعية لها ؟!

أين أولئك العلماء من قول الله تعالى: ﴿وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾ ﴿آل عمران﴾

قال الطبري – رحمه الله –: «الرباني الذي يربُّ الناسَ، وهو الذي يُصْلح أمورهم، ويقوم بها»[١]

وقال البخاري – رحمه الله –: قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: «الرباني الذي يربي الناس بصغار العلم قبل كباره»[٢]

وقال السعدي – رحمه الله –: «علماء حكماء حلماء معلمين للناس، ومربيهم بصغار العلم قبل كباره، عاملين بذلك، فهم يأمرون بالعلم، والعمل، والتعليم، التي هي مدار السعادة، وبفوات شيءٍ منها يحصل النقص والخلل».[٣]

وعندما ننظر في سيرة المربي الأول ﷺ؛ نلحظ هذا المسلك التربوي واضحاً جلياً في حياته.

فكان يجالس أصحابه في المسجد؛ فيسمع منهم، ويحدثهم، ويسألهم عن رؤاهم، ويؤولها لهم، ويصحبهم في مغازيه، وأسفاره. فيعلم جاهلهم، ويرفق

(١) الطبري، محمد بن جرير. **جامع البيان في تأويل القرآن**، مرجع سابق، (٣٢٧/٣).
(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل. **صحيح البخاري**، مرجع سابق، (٣٧/١).
(٣) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر.، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان** مرجع سابق، (٧٩)

بضعيفهم، ويحسن إلى محتاجهم، وينصر مظلومهم، ويعود مريضهم، ويشيع ميتهم، ويشاركهم في أفراحهم، وأحزانهم.

وكان يهتم لأمورهم وقضاياهم في كل الأوقات، حتى حين تقام الصلاة:

عن أنس بن مالك ﷺ قال: « أقيمت الصلاة ورجل يناجي رسول الله ﷺ، فما زال يناجيه حتى نام أصحابه، ثم قام فصلى »[١].

بل إن عنايته ﷺ لا تقف عند هذا فحسب، بل حتى الجواري والصبيان كان لهم من معايشته، ومخالطته، أوفى نصيب:

عَنْ أَنَسٍ ﷺ أَنَّ امْرَأَةً كَانَ فِي عَقْلِهَا شَيْءٌ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً، فَقَالَ: « **يَا أُمَّ فُلاَنٍ انظري أي السِّكَكِ شِئْتِ حَتَّى أَقْضِيَ لَكِ حَاجَتَكِ**». فَخَلاَ مَعَهَا فِي بَعْضِ الطُّرُقِ؛ حَتَّى فَرَغَتْ مِنْ حَاجَتِهَا.[٢]

قال أبو هريرة ﷺ: كنا نصلي مع النبي ﷺ العشاء، فإذا سجد رسول الله ﷺ وثب الحسن والحسين على ظهره، فإذا رفع رأسه أخذهما من خلفه أخذًا رفيقًا ووضعهما على الأرض، فإذا عاد إلى السجود عادا إلى ظهره، حتى قضى صلاته، ثم أقعد أحدهما على فخذيه. قال أبو هريرة ﷺ: فقمت إليه فقلت: يا رسول الله، أردهما؟ قال: «**لا**» فبرقت برقة في السماء فقال لهما: «**الحقا بأمكما**»، فما زالا يمشيان في ضوئها حتى دخلا إلى أمهما.[٣]

وعن أم خالد رضي الله عنها، قالت: أتيتُ رسول الله ﷺ مع أبي وأنا صغيرة، وعليَّ قميص أصفر، فقال رسول الله ﷺ: «**سنه سنه**» أي: حسن حسن، قالت:

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل. **صحيح البخاري**، مرجع سابق، (٢٣١٩/٥)، رقم الحديث (٥٩٣٤).

(٢) النيسابوري، مسلم بن الحجاج. **صحيح مسلم**، مرجع سابق، (١٨١٢/٤)، رقم الحديث (٢٣٢٦).

(٣) الهيثمي، علي بن أبي بكر. ،**مجمع الزوائد**، مرجع سابق، (١٨١/٩). وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٣٣٢٥)

فذهبت ألعب بخاتم النبوة على ظهر رسول الله ﷺ، فزبرني أبي ﴿نهاني﴾، فقال رسول الله ﷺ: «**أبلي وأخلِقي، ثم أبلي وأخلقي**» فعُمِّرت أم خالد بعد ذلك. (١)

وعن يعلى بن مرة رضي الله عنه، قال: خرجت مع النبي ﷺ وقد دُعينا إلى طعام، فإذا الحسين بن علي رضي الله عنه يلعب في الطريق، فأسرع النبي ﷺ أمام القوم ثم بسط يديه ليأخذه، فطفق الغلام يفرّ ها هنا ويفرّ ها هنا، ورسول الله ﷺ يلحقه يضاحكه حتى أخذه، فجعل إحدى يديه في ذقنه والأخرى في رأسه، ثم اعتنقه ثم أقبل علينا وقال: « **حسين مني وأنا من حسين** ». (٢)

وعن عمر بن أبي سلمة رضي الله عنه، قال: كنت غلامًا في حجر رسول الله ﷺ، وكانت يدي تطيش في الصحفة، فقال لي رسول الله ﷺ: « **يا غلام، سمِّ الله، وكل بيمينك، وكل مما يليك**». (٣)

لقد كان رسول الله ﷺ كل شيءٍ في حياتهم. فكان مربياً، ومعلماً، وزوجاً، وصديقاً، وإماماً، وقدوة، ومجاهداً، وحاكماً...

لقد ملأ حياتهم، وعاش معهم، حتى زكت نفوسهم، وطهرت قلوبهم، وسمت هممهم إلى معالي الأمور.

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل. **صحيح البخاري**، مرجع سابق، (١١١٧/٣)، رقم الحديث(٢٩٠٦).

(٢) النيسابوري، محمد بن عبد الله. **المستدرك على الصحيحين**، مرجع سابق، (١٩٤/٣)، رقم الحديث(٤٨٢٠). وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٢٢٧)

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل. **صحيح البخاري**، مرجع سابق، (٢٠٥٦/٥)، رقم الحديث(٥٠٦١).

المبحث الثاني: محاسبة النفس:

يحتاج المؤمن بين فترة وأخرى إلى وقفة جادّة للمحاسبة، ينظر من خلالها فيما قدَّم من عمل، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨ ﴾ ﴿الحشر﴾

ومن يقرأ القرآن و يتدبره؛ فإنه لا يغفل عن محاسبة نفسه في مواطن كثيرة يمرُّ بها عند قراءته، فهو يرى أنه مخاطب بكل آية منه، بل بكل حرف، فإذا قرأ آيات النعيم الذي وُعد به المتقون، اشتاق إليه وطمِع فيه، وإذا مرَّ بآيات العذاب الذي تُوُعِّد به الكافرون والعصاة، خاف وخشي أن يكون له منه نصيب. فله في كل موقف من القرآن حال تلائمه.

وعند تأمل آيات هذا الجزء، نرى فيها دلائل متعددة تدعو المؤمن إلى المحاسبة الجادة لنفسه.

يقول الله تعالى: ﴿ كَلَّا لَمَّا يَقۡضِ مَآ أَمَرَهُۥ ٢٣ ﴾ ﴿عبس﴾

قال مجاهد: « لا يقضي أحد أبدًا ما افتُرِض عليه ».[1]

فمهما اجتهد المؤمن في العمل الصالح؛ فلن يبلغ الغاية التي يفي فيها بأمر الله الذي افترضه عليه.

لذلك فالمؤمن دائم المحاسبة لنفسه، كثير الإزراء عليها، لا ينفك من اتهامها بالتقصير، والتفريط في حق الله تعالى، مهما بذلت من الجهد، أو بلغت من المكانة:

---

(١) الطبري، محمد بن جرير. جامع البيان في تأويل القرآن. مرجع سابق، (٥٦/٣٠).

عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي عُمَيْرَةَ، أن رسول الله ﷺ قَالَ: «لَوْ أَنَّ عَبْدًا خَرَّ عَلَى وَجْهِهِ مِنْ يَوْمِ وُلِدَ إِلَى أَنْ يَمُوتَ هَرَمًا فِي طَاعَةِ اللَّهِ؛ لَحَقَّرَهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ، وَلَوَدَّ أَنَّهُ يُرَدُّ إِلَى الدُّنْيَا؛ كَيْمَا يَزْدَادَ مِنَ الْأَجْرِ وَالثَّوَابِ»(١)

وفي مواضع متعددة من هذا الجزء؛ جاء التذكير ببعض النعم التي أسبغها الله على الإنسان:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾ ﴾ ﴿عبس﴾

﴿ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾ ﴾ ﴿البلد﴾

فهذا الإنسان الذي يتقلب في نعم الله تعالى في كل حين.

ما واجبه تجاهها ؟

وهل يسوغ له أن يغتر ويغفل؟

يقول سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ ﴾ ﴿الانفطار﴾.

وتأمل في الاسم الإلهي العظيم في هذه الآية: « الكريم » ففيه تنبيه على أنه لا ينبغي أن يُقَابَل الكريم بالأفعال القبيحة، والأعمال السيئة.

فما هكذا تقابل نعم الكريم المنعِم...

---

(١) الشيباني، أحمد بن حنبل. **المسند**،مرجع سابق، (١٨٥/٤) رقم الحديث (١٧٦٨٧). وصححه الألباني في صحيح الجامع (٩٣٨٠)

إن كل الأعمال محصاة لا يضيع ولا ينسى منها شيء، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ كِتَٰبًا ﴿٢٩﴾ ﴾ ﴿النبأ﴾

وكلٌ سيرى ما رُقم في كتابه.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ﴿٦﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾ بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا ﴿١٥﴾ ﴾ ﴿الانشقاق﴾.

لذلك ينبغي للمؤمن أن يحاسب نفسه في هذه الحياة، قبل أن يُوقف للحاسب الأكبر بين يدي الله سبحانه.

قال عمر رضي الله عنه: « حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا، وتأهبوا للعرض الأكبر على من لا تخفى عليه أعمالكم: ﴿ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾ ﴾ ﴿الحاقة﴾ »[1].

وفي يوم القيامة تعظم حسرة المفرطين؛ حين يُبدَى لهم ما كتب في صحائفهم:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا ﴿٤٠﴾ ﴾ ﴿النبأ﴾

وحين يرى العبد ذلك؛ يتذكر حقارة الدنيا وسوء عاقبة الغفلة، فيتمنى لو أنَّ له كرة فيعود، أو فرصة فيتوب، ولكن هيهات: ﴿ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴿٢٤﴾ ﴾ ﴿الفجر﴾.

---

(١) الترمذي، محمد بن عيسى. **سنن الترمذي**، مرجع سابق، (٦٣٨/٤) رقم الحديث(٣٤٤٥٩).

وفي ذلك اليوم تعلم كل نفس ما ستحاسب عليه من الأعمال، وتجازى به من خير أو شر: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾ ﴾ ﴿التكوير﴾.

قال الطبري – رحمه الله -: « علمت نفس عند ذلك ما أحضرت من خير، فتصير به إلى الجنة، أو شرّ فتصير به إلى النار، يقول: يتبين له عند ذاك ما كان جاهلا به، وما الذي كان فيه صلاحه من غيره ».[١]

وما أشد وقع هذه الآية على قلب المؤمن، فقد سمع ابن مسعود هذه الآية فقال: «وا انقطاع ظهراه»[٢].

ومثل ذلك قوله سبحانه: ﴿ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴿٥﴾ ﴾ ﴿الانفطار﴾.

قال قتادة: « ما قدّمت من خير، وأخَّرت من حق الله عليها لم تعمل به »[٣]

وفي قوله سبحانه وتعالى: ﴿ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾ ﴾ ﴿الطارق﴾، تأكيد وتقرير لهذه الحقيقة. فكل نفس عليها حافظ من ربها، يحفظ عملها، ويُحصي عليها ما تكسب من خير أو شر. فحينئذٍ «تحس النفس أنها ليست أبداً في خلوة وإن خلت، فهناك الحافظ الرقيب عليها حين تنفرد من كل رقيب، وتتخفى عن كل عين، وتأمن من كل طارق. هنالك الحافظ الذي يشق كل غطاء، وينفذ إلى كل مستور»[٤]

وقد أوكل الله إحصاء أعمال العباد إلى ملائكة كرام:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ ﴿الانفطار﴾.

---

(١) الطبري، محمد بن جرير. **جامع البيان في تأويل القرآن**، مرجع سابق(٣٠/٧٤).

(٢) الأندلسي، محمد بن يوسف بن حيان.**البحر المحيط**، ط٢: ١٤١١-١٩٩٠، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (٨/٤٣٤).

(٣) الطبري، محمد بن جرير. **جامع البيان في تأويل القرآن**،مرجع سابق، (٣٠/٨٥).

(٤) قطب، سيد. **في ظلال القرآن**، مرجع سابق، (٦/٣٨٧٨).

وثَمَّة لفتة جميلة في هذه الآية، وثيقة الصلة بأمر المحاسبة والخشية...

فقد وصف الله الملائكة الحفظة بالكرام. وما ذاك إلا « ليستجيش في القلوب إحساس الخجل، والتجمل بحضرة هؤلاء الكرام...فإن الإنسان ليحتشم ويستحيي وهو بمحضر الكرام من الناس، أن يُسِفَّ أو يَتَبَذَّل في لفظٍ أو حركةٍ أو تصرف.. فكيف به حين يشعر ويتصور أنه في كل لحظاته، وفي كل حالاته في حضرة حفظة من الملائكة الكرام ؟!، فلا يليق أن يطلعوا منه إلا على كل كريم من الخصال والفعال ».[1]

ولْنعش مع موقف من مواقف الآخرة، في قوله تعالى:

﴿ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾﴿النازعات﴾.

فما أشد وقع هذه الآيات على نفس المؤمن الذي يحاسب نفسه، فالناس قسمان:

قسم ﴿ طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ ﴾

وقسم آخر ﴿ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ ﴾

فمن أي القسمين سيكون الإنسان ؟

لينظر في صفات كُلٍّ؛ ليعرف منتهاه ويتضح له مصيره...

فهل ملأ خوف الله قلبه، فحمله على كل صالح من العمل، وحسن من القول، فبشراه ما أسعده ! ﴿فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾...

---

(١) المرجع سابق، (٦/٣٨٥١).

ويا لشقاوته وتعاسته إن اتبع هواه وعصى مولاه: ﴿فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾.

فليعمل العاقل إذن لنجاته وقد اتضحت له السبيل، واستبانت له العاقبة والمنقلب:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ۝٦﴾ ﴿الانشقاق﴾.

فمثل هذه المعاني العظيمة المذكورة في ثنايا هذا الجزء؛ تستحث المؤمن ليجدد عهد الطاعة بينه وبين الله تعالى، ويحاسب نفسه على الصغيرة والكبيرة؛ فإن الله سبحانه وتعالى لن يضيع عنده إحسان المحسن وإن دقَّ، ولن يَغفُل عن سوء المسيء وإن صغُر: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾ ﴿الزلزلة﴾.

ومن خلال هاتين الآيتين يدرك المؤمن بعض معاني عدل الله ورحمته بعباده المحسنين، وشدة حسابه للمسيئين فهو يحاسبهم على أعمالهم، ولو كانت بمثل مثاقيل الذر.

لذلك ينبغي للمؤمن أن يتحرز من المعاصي صغيرها وكبيرها، فإنه يُحصى عليه مثاقيل الذر من الشر، فكيف بما هو أكبر منها ؟

فينبغي للمؤمن أن يكون دائم المراقبة والمحاسبة لنفسه، كأشد ما تكون المحاسبة بين الشريكين الشحيحين.

المبحث الثالث: العبادة:

إن العبادة بمفهومها الواسع؛ من أهم وسائل تربية الروح في منهج التربية الإسلامية:

وهي ترسخ الإيمان وتزيده:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝٤ ﴾ ﴿الأنفال﴾

وللعبادة أثرٌ تربويٌّ عظيمٌ، إذ إنها تبعث على الاستقامة، وتقوِّي الشعور بمراقبة الله، حتى يصل العبد إلى درجة الإحسان، التي أخبر عنها رسول الله ﷺ بقوله: «**أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ؛ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**»[1]

والحديث عن العبادة في هذا الجزء جاءت به الكثير من الآيات.

فهناك العبادات القلبية؛ مثل توحيد الله سبحانه، وتعظيمه وإجلاله، والخوف منه والحذر من سطوته وعقابه، والطمع في رحمته ومغفرته، والسعي لنيل محبته والقرب منه، والثقة به والتوكل عليه... وغيرها مما تحدثت عنه بالتفصيل في الفصل الأول في معالم التربية الاعتقادية.

وهذا النوع من العبادة من أعظم ما يصلح القلب، ويزكي النفس.

وثم نوع آخر من العبادة تكرر كثيراً في هذا الجزء، وتلك العبادة هي عبادة التفكر والتأمل في ملكوت الله تعالى، وسوف يأتي الحديث عن ذلك مفصلاً في الفصل القادم.

---

(١) النيسابوري، مسلم بن الحجاج. **صحيح مسلم**، مرجع سابق، (٣٦/١)، رقم الحديث(٨).

وثَمَّ نوع ثالث من العبادة، أشارت إليه آيات هذا الجزء، فيما يتعلق بالصلاة، والنحر، والصدقة، والإحسان إلى الناس ونفعهم.

يقول الله تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ ﴾﴿الأعلى﴾.

ويقول تعالى: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴿٢﴾ ﴾﴿الكوثر﴾

فهاتان العبادتان من أعظم ما يصلح القلب، ويزكي النفس، ويبلغ بالعبد مقامات المتقين.

قال تعالى: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۗ ﴾﴿العنكبوت:٤٥﴾

وقال عز وجل: ﴿ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْۚ ﴾﴿الحج:٣٧﴾

وكم يشتاق قلب المؤمن للصلاة والقيام، عندما يقرأ سورة القدر، وفيها بيان فضل ليلة القدر على سائر الليالي:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴿٥﴾ ﴾

وقد جاء في فضلها أحاديث كثيرة. فمنها:

١- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: « **مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ** »[1]

٢ - عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال : قال نبي الله ﷺ وهو يبشر أصحابه: «**قَدْ جَاءَكُمْ رَمَضَانُ شَهْرٌ مُبَارَكٌ، افْتَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ صِيَامَهُ، تُفْتَحُ فِيهِ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ،**

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل. **صحيح البخاري**، مرجع سابق، (٦٧٢/٢)، رقم الحديث(١٨٠٢).

وَتُغْلَقُ فِيهِ أَبْوَابُ الْجَحِيمِ، وَتُغَلُّ فِيهِ الشَّيَاطِينُ، فِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، مَنْ حُرِمَ خَيْرَهَا فَقَدْ حُرِمَ ».[١]

٤ - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ: « إِنَّهَا لَيْلَةُ سَابِعَةٍ أَوْ تَاسِعَةٍ وَعِشْرِينَ؛ « إِنَّ الْمَلَائِكَةَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ فِي الْأَرْضِ أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ الْحَصَى »[٢]

إنها ليلة ليست كسائر الليالي، ليلة أشرقت فيها الأرض بنور الوحي؛ بعد أن عمَّ الظلام أرجاءها.

فهذا الإرشاد والتوجيه في هذه السورة، يستحث المسلم أن يسارع إلى اغتنام هذه الليلة بقيامها؛ لنيل فضلها وخيرها وبركتها، فإن فيها من تربية النفس وتزكيتها شيءٌ عظيم.

فكم تغمر السعادةُ والفرحةُ والحبورُ قلبَ المؤمن؛ حين يقف صافًّا قدميه بين يديه الله تعالى...

ويراوح بينهما في قيام يطول حتى مطلع الفجر... ولكنه يحلو ويتلذذ به القلب والبدن...

يتلذذ بمناجاة السميع القريب... قيامٌ ودعاءٌ وتضرعٌ... وإقبالٌ وإخباتٌ وانكسارٌ....

تالله ما أجمل تلك الدقائق واللحظات !!

تمر تلك الساعات واللحظات بالمحبين ويودون أن لا تنقضي؛ لئلا تنقطع صلتهم بمحبوبهم، ولذتهم بمناجاته... ومن جرب عرف !!

---

(١) الشيباني، أحمد بن حنبل. . **المسند.** مرجع سابق، (٢/٢٣٠)، رقم الحديث(٧١٤٨). وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٥).

(٢) المرجع السابق(٢/٥١٩)، رقم الحديث(١٠٤٧٥). وصححه الألباني في صحيح الجامع (٩٦٠٤).

وحينما تتأمل في قوله تعالى: ﴿ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب ۩ ﴿١٩﴾ ﴾«سورة العلق»، ترى أن العبادة هي زاد الطريق، ومعونة الداعية إلى الله تعالى على تحمل المشاق والمصاعب، وتجاوز العوائق والعقبات.

إذن فالعبادة من أعظم ما يزكي النفس ويطهرها من دنس المعاصي والآثام، ومن العبودية لغير الله ، لتترقى النفس في مدارج الكمال والشرف والعزة:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾«فاطر: ١٠».

وَعَنْ أَبِي مَالِك الْأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، تَمْلَآنِ أَوْ تَمْلَأُ مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَالصَّلَاةُ نُورٌ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ، وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ، وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو؛ فَبَايِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا**»[١]

« فمن أراد أن يعتق نفسه من أسر شهواتها ويخلصها من آفاتها وأمراضها، ويتحرر من العبودية لها، ويحظى بالعتق من النار يوم القيامة، فليكن غدوه ورواحه في جميع شؤونه وأحواله مستنداً إلى دين الله مسترشداً بهداه »[٢]

إن علائق الدنيا كثيراً ما تقعد بصاحبها، فتحول بينه وبين كثير من العبادات التي يحتاج في أدائها إلى نوع من مجاهدة النفس ومغالبة للهوى، لينال مبتغاه، ويحظى برضى مولاه، فإذا اجتاز الإنسان هذه العقبة فقد أفلح:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ﴾ «البلد»

---

(١) النيسابوري، مسلم بن الحجاج. **صحيح مسلم**، مرجع سابق، (١/١٤٠)، رقم الحديث(٥٥٦).

(٢) كرزون، أنس أحمد. **منهج الإسلام في تزكية النفس**، ط١: ١٤١٧، دار ابن حزم، بيروت، (١/٢٠٧).

فالإحسان إلى الناس بكل أنواع البر والمعروف؛ وبالأخص في وقت الحاجة والمجاعة، وتعلق النفس بالمال وحبها له؛ هو من أعظم العبادات، التي تزكي النفس وتُطهِّرها من الشح والبخل.

﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿١﴾ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣﴾ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴿٧﴾﴾ ﴿الماعون﴾

وقد أمر الله تعالى بالاجتهاد في العبادة والترقي في مقاماتها، فبذل الطاقة في العبادة من خير ما تشغل به الأوقات، وهي مراتب ومقامات، فكلما بلغ المؤمن مقاماً، تاقت نفسه إلى مقام آخر أعلى وأرقى، فيظل يسمو بنفسه وروحه: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ﴿٨﴾﴾ ﴿الشرح﴾

فإذن لا منتهى للعبادة دون الموت، فالمؤمن دائم الصلة بالله تعالى، كثير الذكر له، لا يقطعه أمر عن ذلك، ما دامت الروح تسري في جسده، والدماء تخلل في عروقه، والنفَس يتردد في صدره.

ولقد كانت تلك حاله ﷺ، فبعد أن قضى ما عليه، ودنا منه أجله بعد فتح مكة، جاءه الأمر كذلك بالدأب والاستمرار على العبادة، فالمؤمن لا يمكن أن يعيش دون صلة بالله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾﴾ ﴿النصر﴾.

وهذه السورة مدنية على ما ذكر أهل التفسير، وهي من آخر ما نزل من القرآن، وفيها الإشارة إلى أن عبودية التسبيح والاستغفار لا تنقطع بحال من الأحوال، بل ينبغي أن تزداد، كلما استجدت للعبد نعمة من نعم الله عليه، أو كلما قضى شيئاً من فرائض الله عليه.

فلا منتهى للعبادة دون الموت: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾ ﴿الحجر﴾.

المبحث الرابع: الالتجاء إلى الله والاعتصام به:

من وسائل تعميق التربية الروحية في الإسلام، الحث على اللجوء إلى الله تعالى، والاحتماء به من كل الشرور التي يخافها الإنسان.

فهذا الإنسان ضعيف القدرات، محدود الإمكانات، يجهل أكثر مما يعلم، بل يجهل كُنْهَ نفسه وحقيقتها، ويجهل كثيراً من الأمور المحيطة به، فهو لا يستطيع أن يستقل بنفسه فيقيها الشرور والآفات، بل إنه كثيراً ما يسعى إلى الشر، ويجتهد في الوصول إليه وهو يظنه خيراً: ﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۖ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ ﴾«البقرة».

والشرور المحيطة بالإنسان، أو بماله، أو ولده، تجِلُّ عن الحصر، وتفوق عن الوصف.

فها هي« المخلوقات التي يمكن أن تجلب للإنسان الشر، أو ما يكره من ضر أو أذى، منبثة في كل ما خلق الله من أنواع وأصناف، بدءاً من نفس الإنسان الأمارة له بالسوء بين جنبيه، إلى شهواته الجامحة، وأهوائه الجانحة، وقواه الطاغية، ثم شيطانه الذي يجري منه مجرى الدم، إلى سائر شياطين الإنس والجن، وسائر ما خلق الله من ظاهر مشهود، أو خفي محجوب »[١]

فما أشد حاجة الإنسان إلى من يعيذه ويحميه؛ من كل شر يخافه ويخشاه.

ولذلك تكررت الاستعاذة والأمر بها في القرآن الكريم في سياقات مختلفة، في أربعة عشر موضعاً[٢]، كان أولها على ترتيب النزول سورتا الفلق والناس:

---

(١) الميداني،عبد الرحمن حسن.**معارج التفكر ودقائق التدبر**، مرجع سابق، (٢/٤٤).

(٢) انظر المرجع السابق (٢/٥١-٦٠)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾﴾، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴿٦﴾﴾

وقد ورد في فضل هاتين السورتين أحاديث كثيرة، ومنها ما يلي:

١- عن عقبة بن عامر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: « أَلَمْ تَرَ آيَاتٍ أُنْزِلَتْ اللَّيْلَةَ لَمْ يُرَ مِثْلُهُنَّ قَطُّ، قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ، وَقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ»[١]

٢- عن عقبة بن عامر ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: « أَلَا أُعَلِّمُكَ سُورَتَيْنِ مِنْ خَيْرِ سُورَتَيْنِ قَرَأَ بِهِمَا النَّاسُ، فَأَقْرَأَنِي قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ، وَقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ. فَأُقِيمَتْ الصَّلَاةُ فَتَقَدَّمَ فَقَرَأَ بِهِمَا. ثُمَّ مَرَّ بِي، فَقَالَ: كَيْفَ رَأَيْتَ يَا عُقْبَةَ بْنَ عَامِرٍ؟ اقْرَأْ بِهِمَا كُلَّمَا نِمْتَ وَقُمْتَ »[٢]

٣- عن عقبة بن عامر ﷺ قال: أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ أَقْرَأَ بِالْمُعَوِّذَاتِ دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ[٣].

٤ - عن عائشة: أن رسول الله ﷺ كَانَ إِذَا اشْتَكَى، يَقْرَأُ عَلَى نَفْسِهِ بِالْمُعَوِّذَاتِ وَيَنْفِثُ. قَالَتْ: فَلَمَّا اشْتَدَّ وَجَعُهُ، كُنْتُ أَنَا أَقْرَأُ عَلَيْهِ وَأَمْسَحُ عَلَيْهِ بِيَمِينِهِ، رَجَاءَ بَرَكَتِهَا.[٤]

---

(١) النيسابوري، مسلم بن الحجاج. **صحيح مسلم**، مرجع سابق، (٥٥٨/١)، رقم الحديث(٨١٤)

(٢) النسائي، أحمد بن شعيب. **السنن الكبرى**، ط١١٤١١:١، دار الكتب العلمية، بيروت، (٤٣٨/٤)، رقم الحديث(٧٨٤٣). وحسنه الألباني في صحيح النسائي(٥٤٣٧)

(٣) السجستاني، سليمان بن الأشعث. **سنن أبي داود**. مرجع سابق، (٨٦/٢)، رقم الحديث(١٥٢٣). وصححه الألباني في صحيح أبي داود(١٣٦٣).

(٤) البخاري، محمد بن إسماعيل. **صحيح البخاري**، مرجع سابق، (١٩١٦/٤)، رقم الحديث(٤٧٢٨)

٥- عن أبي سعيد ﷺ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَتَعَوَّذُ مِنْ الْجَانِّ، وَعَيْنِ الْإِنْسَانِ، حَتَّى نَزَلَتْ الْمُعَوِّذَتَانِ؛ فَلَمَّا نَزَلَتَا أَخَذَ بِهِمَا، وَتَرَكَ مَا سِوَاهُمَا [١]

فالمحافظة على قراءة هاتين السورتين؛ مما يقي الإنسان الشرور والمصائب، وهما حرز من العين والحسد، فينبغي للمؤمن أن لا يغفل عن الاستعاذة بهما، وكذلك أن يعوذ ولده وماله بهما أيضاً.

فالإنسان ضعيف، وهو محتاج أن يستمد العون من الله تعالى، ولو وكل الإنسان إلى نفسه لهلك وضلَّ، وأصابته الغوائل والشرور.

(١) الترمذي، محمد بن عيسى. سنن الترمذي، مرجع سابق، (٤/٣٩٥)، برقم (٢٠٥٨). وصححه الألباني في صحيح الجامع (٩٠٣٣)

الفصل الثالث

معالم التربية الفكرية

تمهيد

العقل نعمة من أعظم نعم الله تعالى على الإنسان، وهو مما ميز الله به الإنسان عن غيره من المخلوقات، وقد تضافرت النصوص الدالة على مكانة العقل ومنزلته في الشرع.

فالخطاب الشرعي مختص بالعقلاء، لأنهم هم الذين يفهمون عن الله شرعه ودينه، وينتفعون به: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾ ﴾ ﴿البقرة﴾

والتكاليف الشرعية لا تتعلق إلا بأفعال المكلفين، والعقل مناط التكليف،كما قال ﷺ: «**رفع القلم عن ثلاث**» وذكر منها: «**المجنون المغلوب على عقله حتى يبرأ**»[1]

وقد ذم الله تعالى من لم يستعمل عقله في الاهتداء إلى الحق، وسلوك سبيله، فقال حاكيا مقالتهم وهم في النار: ﴿ وَقَالُواْ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾ ﴾ ﴿الملك﴾.

وقال في معرض ذم من لم يتبع شرعه، ولم يهتد بهدي نبيه،قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ ﴾ ﴿البقرة﴾.

وحث الله تعالى على إعمال العقل لمعرفة الحق، والاهتداء إليه:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ ﴿النساء:٨٢﴾، ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾ ﴾ ﴿البقرة﴾، ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ ﴿البقرة﴾.

وقد اشتمل القرآن على كثير من الآيات الجارية على موازين العقل، وأقْيُسِه، وبراهينه: ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ ﴿النساء﴾،

(١) النيسابوري، محمد بن عبد الله. **المستدرك على الصحيحين**، مرجع سابق، (٣٨٩/١)، رقم الحديث (٩٤٩). وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٨٢٥)

وقوله: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ ﴿الأنبياء:٢٢﴾، وقوله: ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ ﴿الطور﴾.

وذم الله تقليد الآباء واتباع طريقتهم الباطلة، فالتقليد الأعمى حجاب للعقل يعطله، ويذهب نفعه، كما قال سبحانه:

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ ﴾ ﴿البقرة﴾.

وفي المقابل امتدح الذين يستعملون عقولهم في إدراك الحق واتباعه، فقال تعالى: ﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾ ﴾ ﴿الزمر﴾

وهناك ميادين كثيرة للتفكير، وإعمال العقل، منها ما جاء في قوله تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ ﴾ ﴿ق﴾

فهذه إلماحة سريعة عن مكانة العقل ومنزلته في الإسلام. (١)

وفي آيات هذا الجزء جاءت بعض الأمور المعينة للعقل على التفكر وتنمية قدراته، فيما يوصله لتحقيق غاية الوجود، ألا وهي عبادة الله سبحانه وتعالى.

---

(١) انظر: البريكان، إبراهيم محمد. المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية، ط٥: ١٤١٨، دار السنة، الخبر، السعودية، (٤٩).

ويمكن أن نرى ذلك من خلال المعالم التالية:

١- التفكر في الآيات الكونية.

٢- التفكر في نفس الإنسان وأصل خلقه.

٣- التفكر مصير المكذبين.

وسوف أورد في هذا الفصل كثيراً من النقولات في الاكتشافات العلمية الحديثة، مما يتعلق بمجال التفكر والتأمل، وليس المقصود أنها تفسير لتلك الآيات، ولكنها مما يستأنس به في توسيع مجالات التفكر والتأمل، وإعمال العقل، لتغرِس في القلب تعظيم الله سبحانه وتعالى وإجلاله. وقد يدخل بعضها في معنى الآيات..

المبحث الأول: التفكر في الآيات الكونية:

لقد نوَّع الله تعالى الحديث عن دلائل عظمته في خلقه، وإبداع صنعه في هذا الكون، وهذا باب يطول فيه الحديث، ولكنه يحلو وتتلذذ به العقول والقلوب؛ لأنه يغرس عظمة الله وجلاله في القلوب؛ لتلهج بواحدنيته، وتقرَّ بألوهيته.

يقول تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ۝٦ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ۝٧ وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ۝٨ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۝٩ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ۝١٠ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ۝١١ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ۝١٢ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ۝١٣ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ۝١٤ لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ۝١٥ وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا ۝١٦﴾ «النبأ».

فهذا كتاب الكون المفتوح خير شاهد على عظمة الله تعالى، وخير دليل على وحدانية الله سبحانه، واستحقاقه للعبادة دون سواه.

فلنتأمل أولاً في شأن هذه الأرض التي نعيش عليها ونحيا فوقها:

﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ۝٦﴾ قال ابن كثير – رحمه الله –: « ممهدة للخلائق ذَلُولا لهم، قارّةً ساكنة ثابتة »[1].

وقال البقاعي – رحمه الله –: « فراشاً لكم، موطئاً مذللاً يمكن الاستقرار عليه؛ لتتصرفوا فيها كما شئتم »[2]

(١) الدمشقي، إسماعيل بن كثير. تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، (٤/٥٩٣).

(٢) البقاعي، إبراهيم بن عمر. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، مرجع سابق، (٢١/١٩٥).

وحينما نطالع الاكتشافات العلمية الحديثة في مجال علم الأرض؛ فإننا نقرأ ما يلي:

«جاذبية الأرض هي التي تمكننا من الحركة، والجري على سطحها، ولو كانت أقل مما هي عليه؛ لأصبح الواحد يمشي في الفضاء، ولا يستطيع أن يضع قدمه على الأرض، ولا يمكنه أن يتحرك بحرية، ويُقذف به من مكان إلى آخر باستمرار، وعندما يريد أن يخطو خطوة يقفز فيصطدم بالسقف، ولو زادت هذه الجاذبية، فإن الواحد يتسمَّر على سطح الأرض، ولا يستطيع أن يتحرك، ولا يمكنه أن يتحرك إلا زاحفا.

والحرارة الموجودة في مركز الأرض تبلغ ٧٥٠٠ درجة تقريبا، وهذه الحرارة هي أشد من حرارة سطح الشمس، ولكن القشرة الأرضية تمنع هذه الحرارة من الظهور على السطح.

لقد خلق الله هذه القشرة السميكة بحيث تحمينا من تلك الحرارة الملتهبة.

إن وجود الكواكب الأخرى في المجموعة الشمسية تحمل أهمية بالغة بالنسبة إلى الحفاظ على الأرض وحمايتها؛ فكوكب المشترى مثلا يعمل في الحقيقة على ضمان توازن الأرض؛ فلو لم يكن كوكب المشترى موجوداً في المكان الذي هو فيه وبهذا الحجم؛ لكانت الأرض هدفاً للشهب والمذنبات التي توجد في الفضاء.

ولو نقصت أشعة الشمس التي تصل إلى الأرض بنسبة ١٠٪ لتكونت طبقة كثيفة من الجليد على سطح الأرض، ولو زادت هذه الحرارة قليلا لهلكت جميع الكائنات احتراقاً.

والطبقات التي توجد في داخل الأرض تتحرك فوق بعضها البعض باستمرار، وهذه الحركة تكوّن حول الأرض مجالاً مغناطيسياً قوياً، وهذا المجال المغناطيسي في غاية الأهمية لحماية الحياة على وجه الأرض، فهو كالدرع، حيث تصطدم به

الإشعاعات التي تتجه نحو الأرض ثم تتناثر، فتكون الأرض بمأمنٍ من الأخطار التي يمكن أن تأتي من الفضاء »[١]

فهكذا مهَّد الله هذه الأرض، وجعلها صالحة لسكنى المخلوقات بما أودع فيها من هذه الخصائص والميزات، لذلك فلا غرابة أن يقسم الله بها في قوله تعالى: ﴿ وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا ﴿٦﴾ ﴾ ﴿الشمس﴾.

وفي التفكر والتأمل في شأن هذه الأرض تستوقفنا آية أخرى في هذا الجزء؛ وهي قوله تعالى: ﴿ وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ ﴿١٢﴾ ﴾ ﴿الطارق﴾.

قال البغوي – رحمه الله -: « أي تتصدع وتنشَّق عن النبات، والأشجار، والأنهار »[٢]

وقال الماوردي – رحمه الله - : « فيها أربعة أقاويل:

أحدها: ذات النبات لانصداع الأرض عنه، قاله ابن عباس.

الثاني: ذات الأودية، لأن الأرض قد انصدعت بها، قاله ابن جريج.

الثالث: ذات الطرق التي تصدعها المشاة، قاله مجاهد.

الرابع: ذات الحرث لأنه يصدعها.

ويحتمل خامساً: ذات الأموات، لانصداعها عنهم للنشور »[٣]

---

(١) انظر: يحيى، هارون. **رحلة في الكون**: (٥٨-٦٩).www.harunyahya.com/Arabic

(٢) البغوي، الحسين بن مسعود. **معالم التنزيل**؛ مرجع سابق، (٥٩٥/٤).

(٣) الماوردي، علي بن محمد. **النكت والعيون**، ط:١، ١٤١٢، دار الكتب العلمية، بيروت، (٢٤٩/٦).

وفي العصر الحديث اكتشف علماء الأرض نوعاً آخر من الصدوع يمكن أن يندرج في معنى الآية.

« القشرة الأرضية مقسمة بشبكة من الصدوع العميقة إلى اثني عشر قطعةً رئيسةً متجاورةً، يسمى كل منها لوحاً (plate)، بالإضافة إلى عدة ألواح صغيرة تسمى لويحات (platelets)، وتطفو هذه الألواح على طبقةٍ شبه منصهرة، وتصعد الصهارة (magma) من بينها في قيعان المحيطات، وتضيف مادة جديدة إلى كل لوحين متجاورين، وبزيادة اللوح من طرف ينقص من الطرف الآخر دوما بالانثناء تحت طرف اللوح المجاور، وهكذا تبين تميز وجود صدوع عميقة في منتصف المحيطات (Mid-Oceanic Rifts)، وتمتد تلك الصدوع لتغطي القشرة الأرضية بأكملها وقد يصل عمقها إلى حوالي ١٥٠ كم بعمق القشرة ذاتها في أسمك منطقة...

ولم تكتشف صدوع منتصف المحيطات (Mid-Ocean Rifts) إلا بعد الحرب العالمية الثانية، وتمَّ شرحها من خلال نظرية الألواح التكتونية (Tectonic Plates)، التي صيغت في أواخر الستينيات وأوائل السبعينيات من القرن الماضي فقط، ومن الناحية العلمية تمثل تلك الصدوع الممتدة عميقا تحت سطح الأرض أبرز معلم للقشرة الأرضية »[١]

(١) الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن السنة. www.nooran.org

وهذه معالم أخرى للتفكر والتأمل في هذا الكون:

فهذه الجبال الرواسي ما شأنها ؟

وما دلائل عظمة الله في خلقها وإرساء الأرض بها؟

يقول الله تعالى: ﴿ وَٱلۡجِبَالَ أَوۡتَادٗا ۝٧ ﴾ ﴿النبأ﴾.

قال ابن كثير – رحمه الله -: « جعلها لها أوتادًا أرساها بها، وثبتها، وقرّرها؛ حتى سكنت، ولم تضطرب بمن عليها » [١].

وعامة المفسرين تدور عباراتهم على نحو ما ذكره ابن كثير.

وأما الاكتشافات الحديثة في شأن الجبال فتقول:

« إن الخرائط تحت السطحية في أجزاء عديدة من الكرة الأرضية، تؤكد أن **الجذور تحت السطحية تتناسب طرداً مع ما يعلوها من تراكيب، فهي ضحلة في حالة المنخفضات، وعميقة جداً في حالة الجبال العالية** »[٢]

لقد ثبت عن طريق القياسات السايزمية، أن **القشرة الأرضية الصلبة التي نعيش عليها، لا تمثل إلا طبقة رقيقة جداً، قياساً بما تحتها من طبقات أخرى أعلى كثافة منها** وهى الوشاح (Mantle) (كثافته ٣,٣)، ثم عرف الدارسون لعلم الأرض والجبال **حقيقة اتزان القشرة الأرضية** (Isostasy)، رغم ما تحمله من جبال، وتلال، ووديان، **وأن هذا الاتزان لا يتم إلا من خلال امتداد مادة القشرة داخل نطاق الوشاح، والتي لا يمكن أن تُمثل عمليا إلا بدور الأوتاد في تثبيت الخيمة على سطح الأرض؛ لضمان ثباتها وعدم اضطرابها**[٣]

---

(١) الدمشقي،إسماعيل بن كثير. **تفسير القرآن العظيم**، مرجع سابق، (٥٩٣/٤)

(٢) باحفظ الله، حسن. **مجلة الاعجاز العلمي**، مكة المكرمة، العدد(١)، ﴿والجبال أوتادا﴾، www.nooran.org

(٣) احمد، هارون محمد. **مجلة الاعجاز العلمي**، مكة المكرمة، العدد(٢٤)، ﴿الجبال..أسرار وإعجاز﴾ www.nooran.org،

وثمة فائدة أخرى للجبال حيث إن« **وجود التضاريس على سطح الأرض يحافظ على التوازن في درجة الحرارة**؛ فالفرق بين درجة الحرارة في خط الاستواء والقطبين يصل إلى ١٠٠ درجة مئوية، **فلو لم توجد الجبال التي نراها الآن؛ لهزت الأرض عواصف هوجاء، فهذه الجبال تمثل حواجز أمام الرياح العاتية** »[١]

لذلك لفت الله النظر في موضع آخر لهذه الآية الكونية العظيمة فقال: ﴿وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾﴾ ﴿النازعات﴾، فقد أرسى الله هذه الجبال لمنافع العباد، واستقامة حياتهم على هذه الأرض.

وما زلنا نجيل أبصارنا متفكرين متأملين في هذا الكون، فهذه آية كونية لا يمكن أن تخطئها العين.

قال تعالى: ﴿وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ﴿٨﴾﴾ ﴿النبأ﴾.

وعند الرجوع إلى أقوال المفسرين في هذه الآية، نرى فيها إشارات إلى معانٍ تستحق التوقف والتأمل.

قال الطبري - رحمه الله -: « ذُكراناً وإناثاً، وطوالاً وقصاراً، أو ذوي دمامة وجمال»[٢].

وقال ابن الجوزي – رحمه الله -: « أصنافاً وأضداداً، ذكوراً وإناثاً، سوداً وبيضاً وحمراً »[٣]

---

(١) انظر: يحيى، هارون. **رحلة في الكون**: (٧٥)، www.harunyahya.com/Arabic

(٢) الطبري، محمد بن جرير. **جامع البيان في تأويل القرآن**، مرجع سابق(٣/٣٠).

(٣) الجوزي، عبد الرحمن بن علي. **زاد المسير في علم التفسير**، مرجع سابق، (٥/٩)

وقال الرازي – رحمه الله -: « فيه قولان: الأول المراد الذكر والأنثى كما قال: ﴿ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ ﴾ «النجم»، والثاني: أن المراد منه كل زوجين، و(كل) متقابلين من القبيح والحسن، والطويل والقصير، وجميع المتقابلات والأضداد، كما قال: ﴿ وَمِن كُلِّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَا زَوۡجَيۡنِ ﴾ «الذاريات:٤٩».

وهذا دليل ظاهر على كمال القدرة، ونهاية الحكمة حتى يصح الابتلاء والامتحان، فيتعبد الفاضل بالشكر، والمفضول بالصبر، ويتعرف حقيقة كل شيء بضده، فالإنسان إنما يعرف قدر الشباب عند الشيب، وإنما يعرف قدر الأمن عند الخوف، فيكون ذلك أبلغ في تعريف النعم ».[١]

وقال البقاعي – رحمه الله -: « طوالاً وقصاراً، وحساناً ودماماً، وذكراناً وإناثاً، لجميع أصنافكم على تباعد أقطارهم، وتنائي ديارهم، لتدوم أنواعكم إلى الوقت الذي يكون فيه انقطاعكم ».[٢]

بل إن الزوجية في الكون والحياة أكبر من ذلك وأوسع...

يقول الدكتور عبد الكريم بكار: « إن الكشوفات الكونية المتسارعة؛ تميط اللثام في كل يوم عن أشكال من التزاوج والاقتران، والارتباط في ميادين الحياة كافة، وعلى مستويات مختلفة، ابتداءً بالذرة، وانتهاءً بالمجرة؛ مما يُضيف شواهد جديدة على صدق محمد ﷺ...

ولا تتحدد معاني الأشياء وقيمها الحقيقية من خلال ذواتها، وإنما من خلال كونها أجزاءً في تركيبات أعم، وفي هذا الصدد فإنه يمكن القول: إنه عند تدقيق النظر لا يخلو شيء عن تركيب !.

لولا معرفة الناس بالقبح لما كان للجمال أي معنى، أو قيمة إضافية؛ ولذا

---

(١) الرازي، فخر الدين محمد بن عمر. **التفسير الكبير**، مرجع سابق، (٣١/٧).

(٢) البقاعي، إبراهيم بن عمر. **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، مرجع سابق، (٢١/١٩٦).

قالوا: إن للشوهاء فضلاً على الحسناء؛ إذ لولاها لما عُرف فضل الحسناء.

ما فضل التنظيم لولا الفوضى، والذكاء لولا الغباء، والغنى لولا الفقر، والفضيلة لولا الرذيلة، والنهار لولا الليل، والحلو لولا المر... أشياء لا حصر لها، ولا تستمد قوامها من ذاتها، وإنما من خلال غيرها !!....

إن قاعدة اللقاء في ظاهرة الزوجية الكونية هي التخالف، وليست التوافق، فاللقاء الخصب المنجب يجب أن يتم بين متخالفين ومتباينين، ومن ثم: فإن العلاقة بين الرجل والمرأة تقوم على التخالف، على المستويات العضوية والعقلية والنفسية، وهذا التخالف هو الشرط الأساس لوجود ظاهرة (التكامل) والتعاون، حيث يظهر لكل واحد من الزوجين: أن كمال البنية المشتركة بينهما وهو الأسرة لا يأتي من أيٍّ منهما على انفراد، وإنما من خلال اللقاء الإيجابي بينهما، وتكميل أحدهما للآخر...

إن تضخم الجانب العاطفي لدى المرأة على النحو المعروف؛ يُنظر إليه عادة على أنه الحلقة الأضعف في تركيبها النفسي، كما أننا ننظر النظرة نفسها إلى ما نحسّه من تضخم (عقلانية) الرجل وبرودة عواطفه.

فإذا نظرنا إلى كل منهما على أنه طرف في تركيب واحد هو الأسرة؛ أدركنا أن ما خلناه﴿ظنناه﴾ نقصاً هو في الحقيقة مظهر كمال، وعامل توازن وانسجام، إذ إن طبيعة وظيفة المرأة في رعاية الأطفال؛ ذوي الشفافية والرهافة المطلقة.. تتطلب مشاعر وعواطف كالتي عند المرأة، وطبيعة وظيفة الرجل في قيادة الأسرة، ومعاناة طلب الرزق، وخوض المواقف الصعبة.. تتطلب من قوة الشكيمة وتماسك الشخصية كالذي نجده عند الرجل...

وهكذا: فما يُظن نقصاً في بعض الأشياء؛ يتحول إلى ضرب من ضروب الكمال إذا ما نظرنا إليه على أنه جزء من كلٍّ، وعنصر في تركيب أشمل...

وفي الماضي البعيد قامت مزاوجة في بنية التربية والتعليم، بين علوم الشريعة، والعلوم الحياتية والكونية، وقد أنجب ذلك الاقتران حضارة إسلامية زاهية باهرة، ثم أخذت علوم الحياة تنسحب من المناهج والحلق الدراسية شيئاً فشيئاً، حتى جهلت الأمة أبجديات المعرفة في الطبيعة والكون والصناعة، ووصلت إلى الحضيض، واليوم ترتكب الأمة الخطأ نفسه على نحو معكوس، حيث تَرَاجع نصيب العلوم الشرعية في المناهج الدراسية في أكثر البلدان الإسلامية، كما تراجعت المفردات القيمية والأخلاقية في لغة التربية والإعلام، وكان حصاد ذلك أعداداً كبيرة من البشر تحيط بالكثير من المعارف المختلفة، لكنها تجهل بدهيات وأساسيات في عباداتها ومعاملاتها!، وصار لدينا اليوم كمّ هائل من المفردات التي تحث على النشاط والفاعلية والنجاح والتنظيم وحيازة الثروة وتحقيق الذات.. على حين تنوسيت المفردات التي تغرس أخلاق الصلاح والاستقامة والبعد عن الحرام، والإقبال على الآخرة.. ولا بد أن الناس بدؤوا يشعرون بعواقب هذا الخلل من خلال انتشار اللصوصية وهي أصناف، والرشوة، والشره المادي، والأنانية، والانغماس في الشهوات، وقطع الأرحام، ونسيان الله والدار الآخرة »[1]

(١) بكار، عبد الكريم. ﴿ ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون﴾. www.saaid.net

وثَمَّة آيتان كونيتان جاء ذكرهما في هذا الجزء في عدة مواضع، حري بالمؤمن أن يتأملهما ويتفكر فيهما..

ذلك الليل بسكونه وهدوئه وظلامه وحلكته... وذلك النهار بحركته وضوضائه ونوره وضيائه...

فأما الحديث عن الليل فقد انتظم في ثمانية مواضع في هذا الجزء، وأما النهار فقد جاء الحديث عنه في موضعين، وعلى هذا النحو في القرآن عموماً، فالحديث عن الليل أكثر من الحديث عن النهار، فقد بلغ في الأول ما يربو على خمسة وستين موضعاً، والثاني في نحو ستةٍ وأربعين موضعاً. ولعل ذلك - والله أعلم - لأنَّ في الليل من الآيات ومواضع التفكر أكثر مما في النهار.

يقول الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾﴾ ﴿النبأ﴾

وقد تقاربت عبارات المفسرين في ذلك:

فقال الطبري – رحمه الله -: « وجعلنا الليل لكم غشاء يتغشاكم سواده، وتغطيكم ظلمته، كما يغطي الثوب لابسه؛ لتسكنوا فيه عن التصرّف لما كنتم تتصرّفون له نهاراً »[1]

وقال ابن كثير – رحمه الله -: « ﴿وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا﴾ جعلناه مشرقا مُنيراً مضيئاً؛ ليتمكن الناس من التصرف فيه والذهاب والمجيء للمعاش، والتكسب، والتجارات، وغير ذلك ».[2]

---

(١) الطبري، محمد بن جرير. **جامع البيان في تأويل القرآن**، مرجع سابق، (٣/٣٠).

(٢) الدمشقي، إسماعيل بن كثير. **تفسير القرآن العظيم**، مرجع سابق، (٤/٥٩٣-٥٩٤).

وفي تشبيه الليل باللباس وجه لطيف ذكره الرازي - رحمه الله - فقال: «الإنسان بسبب اللباس يزداد جماله، وتتكامل قوته، ويندفع عنه أذى الحر والبرد، فكذا لباس الليل، بسبب ما يحصل فيه من النوم يزيد في جمال الإنسان، وفي طراوة أعضائه، وفي تكامل قواه الحسية والحركية، ويندفع عنه أذى التعب الجسماني، وأذى الأفكار الموحشة النفسانية، فإن المريض إذا نام بالليل وجد الخفة العظيمة »[١]

وذكر ابن عاشور - رحمه الله - وجهاً آخر في الشبه فقال: « شبه باللباس وهو الوقاية، فالليل يقي الإنسان من الأخطار والاعتداء عليه، فكان العرب لا يُغِيْرُ بعضهم على بعض في الليل، وإنما تقع الغارة صباحاً، ولذلك إذا غير عليهم يصرخ الرجل بقومه بقوله: يا صَبَاحَاه. ويقال: صَبَّحَهم العَدوُّ. وكانوا إذا أقاموا حرساً على الرُّبى نَاظُورَةَ على ما عسى أن يطرقهم من الأعداء، يقيمونه نهاراً فإذا أظلم الليل نزل الحَرس »[٢]

وفي مقابل الحديث عن الليل ذكر الله تعالى النهار« وفيه عبرة بدقة الصنع وإحكامه، إذ جُعل نظامان مختلفان، منشؤهما سطوع نور الشمس واحتجابُه فوق الأرض، وهما نعمتان للبشر مختلفتان في الأسباب والآثار؛ فنعمة الليل راجعة إلى الراحة والهدوء، ونعمة النهار راجعة إلى العمل والسعي، لأن النهار يعقب الليل فيكون الإنسان قد استجدَّ راحته واستعاد نشاطه، ويتمكن من مختلف الأعمال بسبب إبصار الشخوص والطرق »[٣]

وفي قوله تعالى: ﴿ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ ﴾«النازعات»، تنبيه على آية من آيات الله في خلق الليل والنهار، حَرِيَّةٌ بالتأمل والتدبر.

(١) الرازي، فخر الدين محمد بن عمر. التفسير الكبير، مرجع سابق، (٨/٣١).
(٢) ابن عاشور،محمد الطاهر. تفسير التحرير والتنوير، مرجع سابق، (٣٠ /٢١).
(٣) المرجع السابق، (٣٠ /٢١).

قال الطبري - رحمه الله -: « ﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا﴾، أي: أظلم ليل السماء، وقوله: ﴿وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا﴾ أي: وأخرج ضياءها، يعني: أبرز نهارها، فأظهره، ونوّر ضحاها »[١].

ومن عجيب الإعجاز أن « تظهر السماء لرواد الفضاء مظلمة كليل دائم حالك السواد، ومن المدهش أن يسبق القرآن الكريم ويجعل للسماء ليلاً دائماً، بل وصفه بأنه حالك السواد..

يقول العلي القدير: ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾﴾ ﴿النازعات﴾.

إن السماء وفق السياق تعبر عن فضاء الكون بأجمعه، لأن النص يتعلق بوصف مراحل بناء الكون، ونشأة مجموعات الأجرام فيه، المعبر عنها بالتسوية عقب عملية التوسع الكوني، المعبر عنها برفع السمك أي زيادة الثخانة. وقد جعل القرآن الكريم للسماء ليلاً، لأن الضمير في قوله تعالى (ليلها) يعود بالتأكيد على السماء.

وهذا ما ذكره الطبري – رحمه الله - فالآية تتعلق بليل السماء الدائم، المعبر عن الفضاء بأجمعه، وليس ليل الأرض الذي يعقب غروب الشمس...والمدهش أن تكون الشمس بازغة على الدوام في فضاء الكون، رغم سيادة الليل الشديد الظلام؛ ليغشى كل الأجرام كلباس يكسوها من كل جانب، فتبدو كنقاط لامعة فوق خلفية سوداء قاتمة ».[٢]

---

(١) الطبري، محمد بن جرير. **جامع البيان في تأويل القرآن**، مرجع سابق، (٤٤/٣٠).

(٢) دودح، محمد. **مجلة الإعجاز العلمي**، مكة المكرمة، العدد(٢)، ﴿لمحات باهرة حول ظلمة الفضاء في القرآن الكريم﴾

وهذا ما أشار إليه قوله تعالى: ﴿ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ۝٣ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا ۝٤ ﴾ ﴿الشمس﴾

« إن ذلك الليل الدامس بظلمته الحالكة، يمتد في كل الفضاء ليغشى كل الأجرام، حتى إنه يغشى الشمس ذاتها ـــ مصدر الضياء ـــ ويغطيها من كل جانب »

« وفى مزيد بيان في وصف تلك الظاهرة الخفية للظلمة السائدة في الفضاء؛ ليغشى الشمس والنهار وكافة الأجرام، يأتي القرآن الكريم بفعل التغشية بدون تخصيص بالنهار؛ ليفيد تغطية الليل المعروف بظلمته الحالكة كافة الأجرام.

يقول تعالى: ﴿ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۝١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢ ﴾ ﴿الليل﴾ »[١]

وحين يقبل الليل أو يدبر موقف آخر للتفكر والادكار، أقسم الله به لفتاً للأنظار لتتأمله: ﴿ وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ۝١٧ ﴾ ﴿التكوير﴾.

قال أهل اللغة: «هو من الأضداد، يقال: عسعس الليل إذا أقبل، وعسعس إذا أدبر... قال المبرد – رحمه الله -: والمعنيان يرجعان إلى شيء واحد، وهو: ابتداء الظلام في أوّله، وإدباره في آخره »[٢]

وفي هدوء الليل وسكونه وهو يغشى كل شيءٍ، تأملٌ: ﴿ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ ﴾ ﴿الضحى﴾.

قال قتادة - رحمه الله -: «سكن واستقر ظلامه... يقال: ليلٌ ساجٍ، وبحرٌ ساجٍ ﴿إذا كان ساكنًا﴾» [٣]

وفي موضع آخر أقسم الله تعالى بالليل فقال تعالى: ﴿ وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ۝١٧ ﴾ ﴿ الانشقاق﴾، إنه قَسَمٌ يلفت الانتباه لما يكون في« الليل الذي يجمع، ويضم، ويحمل الكثير، ويذهب التأمل بعيداً، وهو يتقصى ما يجمعه الليل، ويضمه، ويحمله من

(١) المرجع السابق.

(٢) الشوكاني،محمد بن علي.**فتح القدير**، مرجع سابق، (٥/٣٩٠)،

(٣) البغوي، الحسين بن مسعود. **معالم التنزيل**، مرجع سابق، (٤/٦٣٢).

أشياء وأحياء، وأحداث، ومشاعر، وعوالم خافية ومضمرة، سارية في الأرض، وغائرة في الضمير »[١]

وفي مضي الليل وانقضاء ساعاته ولحظاته شيئاً فشيئاً وقفة ولفتة، حرية بالقسم: ﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ ٤ ﴾

يقول سيد قطب - رحمه الله -: « والليل هنا مخلوق حي، يسري في الكون، وكأنه ساهر يجول في الظلام! أو مسافر يختار السرى لرحلته البعيدة!...إنه الجمال... الجمال الحبيب الهامس اللطيف..الجمال الذي لا يدانيه جمال التصورات الشاعرية الطليقة. لأنه الجمال الإبداعي، المعبر في الوقت ذاته عن حقيقة »[٢]

وفي خلق السماء وما حوت من مجرات، ونجوم، وأفلاك، دلائل لا تنقضي على عظمة الله تعالى.

يقول سبحانه: ﴿ وَبَنَيۡنَا فَوۡقَكُمۡ سَبۡعٗا شِدَادٗا ١٢ ﴾ ﴿النبأ﴾.

وفي موضعين من هذا الجزء أقسم بها فقال: ﴿ وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ١ ﴾ ﴿الطارق﴾، ﴿ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ٥ ﴾ ﴿الشمس﴾.

وحين نتأمل في شأنها فإنه يتملكنا إحساس عظيم بقدرة الله وعظمته.

« هناك أجرام سماوية توجد في أماكن لا يمكن رؤيتها بالعين. وتجتمع في مكان معين؛ لتكوّن ما يطلق عليه اسم المجرّة. وهذه المجرات تحتوي على مليارات النجوم، وعدد النجوم الموجودة في أكبر مجرة يصل إلى حوالي ٣ تريليونات نجم. وتحتوي المجرة المتوسطة على ما بين ٢٠٠ و٣٠٠ مليار نجم، أما المجرة الصغيرة فتحتوي على حوالي ١٠٠ مليار نجم.

(١) قطب، سيد. في ظلال القرآن، مرجع سابق، (٣٨٦٨/٦).

(٢) المرجع سابق، (٣٩٠٣/٦)،

والله تعالى جعل طرقاً لا تحصى للكواكب، والنجوم، والمذنبات، التي تحوم في الفضاء، وهذه الأجرام السماوية تتقدم في الفضاء، دون أن تصطدم ببعضها البعض.

وهذه النجوم ليست كائنات حيّةً، ولكن شأنها شأن الكائنات الحية؛ تولد، وتعيش، ثم تموت. فهي تتكون في السحب، ثم تبدأ في الحياة، وعندما تحين ساعة نجم من النجوم العظيمة، وتأتي نهايته؛ فإنه ينفجر انفجاراً هائلاً، ويتناثر في الفضاء السّحيق، ومن أجزاء هذا النجم المتناثر تتكون نجوم، وكواكب أخرى »[١]

وثمة عجيبة أخرى لهذه السماء، حيث أقسم الله بها في سورة الطارق واصفاً إياها بذات الرجع، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ ﴿١١﴾ ﴾﴿الطارق﴾.

قال الماوردي – رحمه الله -: « فيه أربعة أقاويل:

أحدها: ذات المطر، لأنه يرجع في كل عام، قاله ابن عباس.

الثاني ذات السحاب، لأنه يرجع بالمطر.

الثالث: ذات الرجوع إلى ما كانت، قاله عكرمة.

الرابع: ذات النجوم الراجعة، قاله ابن زيد.

ويحتمل خامساً: ذات الملائكة لرجوعهم إليها بأعمال العباد»[٢].

وعند تأمل هذه الآية في ضوء ما أظهرت الدراسات والاكتشافات الحديثة، تظهر لنا بعض المعاني، التي يمكن أن تندرج في المقصود بالآية:

« من معاني (الرجع) هنا: الارتداد أي أن من الصفات البارزة في سمائنا أنها ذات رجع، أي ذات ارتداد، بمعنى أن كثيراً مما يرتفع إليها من الأرض ترده إلى الأرض ثانيةً، وأن كثيراً مما يهبط عليها من أجزائها العليا يرتد ثانية منها إلى

(١) انظر: يحيى، هارون. **رحلة في الكون**: (٣٠-٥٥). www.harunyahya.com/Arabic

(٢) الماوردي، علي بن محمد. **النكت والعيون**، مرجع سابق، (٢٤٨/٦).

المصدر الذي هبط عليها منه، فالرجع من صفات السماء، أودعها فيها خالق الكون ومبدعه، فلولاها ما استقامت على الأرض حياة...

وباعتبار المقصود من السماء في الآية ﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ ﴿١١﴾ ﴾: أنه الغلاف الغازي للأرض، نجد الصور التالية من رجع السماء:

(١) الرجع الاهتزازي للهواء (الأصوات وصداها):

تحتوي الطبقة الدنيا من الغلاف الغازي للأرض (نطاق التغيرات الجوية) على ٧٥٪ من كتلة ذلك الغلاف، ويتكون أساساً من غاز النيتروجين(٧٨٪ حجمًا)، والأوكسجين(٢١,٩٥٪ حجمًا)، وآثار خفيفة من بخار الماء، وثاني أكسيد الكربون، والأوزون، وبعض هباءات الغبار، وآثار أقل تركيزاً من الإيدروجين، الأرجون، الهيليوم، وبعض مركبات الكبريت.

وكل من التركيب الكيميائي، والصفات الفيزيائية لهذا النطاق يعتبر من الضرورات الأساس للحياة الأرضية، ومنها القدرة على السمع، فلو لم يكن لنطاق الرجع هذه الكثافة الغازية المحددة؛ ما أمكن للاهتزازات المحدثة للأصوات وصداها أن تُسمع؛ فعندما تهتز أحبالنا الصوتية تحدث اهتزازاتها ضغوطاً في الهواء، تنتشر على هيئة أمواج تتحرك في الهواء في كل الاتجاهات من حولنا؛ فتصطدم بالجوامد، وترتد على هيئة صدى الصوت، أو تتلقاها طبلة الأذن لأفراد آخرين؛ فتحدث بها من الاهتزازات، والارتدادات، ما يمكنهم من سماعها بوضوح.

(٢) الرجع المائي:

يغطي الماء أكثر قليلاً من ٧١٪ من المساحة الكلية للكرة الأرضية، وتبلغ كميته (١,٣٦) مليار كيلومتر مكعب، (منها٩٧,٢٪ في المحيطات والبحار، ٢,١٥٪ على هيئة جليد حول القطبين وفي قمم الجبال، ٠,٦٥٪ في المجاري المائية المختلفة من الأنهار، والجداول وغيرها ، وفي كل من البحيرات العذبة، وخزانات المياه تحت سطح الأرض).

وهذا الماء اندفع كله أصلاً من داخل الأرض عبر ثورات البراكين، وتكثف في الأجزاء العليا من نطاق التغيرات الجوية، والتي تتميز ببرودتها الشديدة، فعاد إلى الأرض ليجري أنهاراً على سطحها، ويفيض إلى منخفضاتها مكوناً البحار والمحيطات؛ ثم بدأ هذا الماء في حركة دائبة بين الأرض، والطبقات الدنيا من الغلاف الغازي؛ حفظته من التعفن ومن الضياع إلى طبقات الجو العليا؛ وتعرف هذه الدورة باسم (دورة الماء حول الأرض)...

هذه الدورة المعجزة للماء حول الأرض، هي الصورة الثانية من صور رجع السماء، ولولاها لفسد كل ماء الأرض، الذي يحيا ويموت فيه بلايين الكائنات في كل لحظة، ولتعرض كوكبنا لحرارة قاتلة بالنهار، ولبرودة شديدة بالليل.

(٣) الرجع الحراري إلى الأرض، وعنها إلى الفضاء بواسطة السحب:

يصل إلى الأرض من الشمس في كل لحظة شروق كميات هائلة من طاقة الشمس، ويعمل الغلاف الغازي للأرض كدرع واقية لنا من حرارة الشمس أثناء النهار، لأن ذراته وجزيئاته تمتص، وتشتت، وتعيد إشعاع أطوال موجات محددة من الأشعة الشمسية في كل الاتجاهات بعيداً عن الأرض. كما يعمل النطاق الأسفل منه (نطاق الرجع) كغطاءٍ بالليل، يمسك بحرارة الأرض من التشتت، ويردها إلى الأرض...

ولو لم يكن للأرض غلاف غازي؛ لأحرقتها حرارة الشمس بالنهار، ولولا السحب المتكونة في الجزء السفلي من غلاف الأرض الغازي؛ ما رجع إلينا الدفء المنبعث من صخور الأرض بعد تعرضها لحرارة الشمس، ولتشتت هذه الحرارة إلى فسحة الكون، وتجمدت الأرض وما عليها من صور الحياة في نصف الكرة المظلم بمجرد غياب الشمس. وهذا الرجع الحراري بصورتيه إلى الخارج وإلى الداخل مما يحقق صفة الرجع لسماء الأرض.

(٤) رجع الغازات، والأبخرة، والغبار، المرتفع من سطح الأرض:

عندما تثور البراكين تدفع بملايين الأطنان من الغازات، والأبخرة، والأتربة إلى الجو، الذي سرعان ما يرجع غالبية ذلك إلى الأرض، ويؤدي تكون المنخفضات، والمرتفعات الجوية إلى دفع الهواء في حركة أفقية؛ ينشأ عنها الرياح...وبمرور تلك الرياح بالتضاريس المختلفة؛ فإن قدرة الهواء على الاحتفاظ بالغبار المحمول من سطح الأرض تضعف باستمرار؛ مما يؤدي إلى رجوعه إلى الأرض، وإعادة توزيعه على سطحها بحكمة بالغة، وتعين على ذلك الجاذبية الأرضية.

(٥) الرجع الخارجي للأشعة فوق البنفسجية بواسطة طبقة الأوزون:

تقوم طبقة الأوزون في قاعدة نطاق التطبق بامتصاص، وتحويل الأشعة فوق البنفسجية القادمة مع أشعة الشمس، بواسطة جزيئات الأوزون (O_3)، وترد نسباً كبيرة منها إلى خارج ذلك النطاق، وبذلك تحمي الحياة على الأرض من أخطار تلك الأشعة المهلكة، التي تحرق كلاً من النبات، والحيوان، والإنسان، وتتسبب في العديد من الأمراض، من مثل سرطانات الجلد، وإصابات العيون وغيرها، ويمكن أن تؤدي إلى تبخير ماء الأرض بالكامل.

(٦) رجع الموجات الراديوية بواسطة النطاق المتأين:

في النطاق المتأين (بين١٠٠ و٤٠٠ كم فوق مستوى سطح البحر) - تمتص الفوتونات النشيطة القادمة مع أشعة الشمس، من مثل الأشعة السينية؛ فتؤدي إلى رفع درجة الحرارة وزيادة التأين، ونظراً لانتشار الإليكترونات الطليقة في هذا النطاق؛ فإنها تعكس الإشارات الراديوية القادمة مع أشعة الشمس إلى خارج نطاق الأرض، كما تعكس موجات الراديو المبثوثة من فوق سطح الأرض، وتردها إليها فتيسر عمليات البث الإذاعي، والاتصالات الراديوية، وكلها تمثل صوراً مختلفة من الرجع.

(٧) رجع الأشعة الكونية بواسطة كل من أحزمة الإشعاع، والنطاق المغناطيسي للأرض:

يمطر الغلاف الغازي للأرض بوابل من الأشعة الكونية الأولية، التي تملأ فسحة الكون، فتردها إلى الخارج كل من أحزمة الإشعاع، والنطاق المغناطيسي للأرض فلا يصل إلى سطح الأرض منها شيء، ولكنها تؤدي إلى تكون أشعة ثانوية قد يصل بعضها إلى سطح الأرض؛ فتؤدي إلى عدد من ظواهر التوهج؛ والإضاءة في ظلمة الليل من مثل ظاهرة الفجر القطبي.. »[١]

(١) انظر: النجار، زغلول. **مجلة الاعجاز العلمي**، مكة المكرمة، العدد(٢٠)، (وَالسَّمَآءِ ذَاتِ الرَّجْعِ)﴾.www.nooran.org

ومازلنا ننتقل من آية إلى أخرى نتأمل فيها ونتفكر:

تلكم الشمس...

ما أعظمها !!

وما أعظم من خلقها !!

وصفها الله تعالى بالسراج المتوقد المنير، فقال: ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾﴾ ﴿سورة النبأ﴾

وأقسم بها في قوله: ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ﴿١﴾﴾ ﴿سورة الشمس﴾.

ولْنتأمل فيما ذكره الفلكيون من خبرها:

قطر الشمس = قطر الأرض ١٠٩ مرات، ويبلغ ٨٦٤٠٠٠ ميل.

وباعتبار الشمس كرة؛ فإن حجمها يبلغ ٣,١ مليون مرة قدر حجم الأرض.

متوسط بعدها عن الأرض = ٩٣٠٠٠٠٠٠ميل تقريباً.

حرارة الشمس على سطحها =٦٠٠٠ درجة مئوية.

وفي مركزها =٢٠٠٠٠٠٠درجة مئوية.

ينتقل الضوء من الشمس إلى الأرض بسرعة = ١٨٦٠٠٠ ميل/ثانية، وهي ما تعرف بسرعة الضوء. فيقطع الضوء المسافة بين الشمس والأرض فيما يزيد على ثماني دقائق بقليل. [1]

(١) انظر: شعبان، سعيد. **أعماق الكون**، ط٤: ١٤١٣-١٩٩٢، مكتبة الفلاح، الكويت، (٣٩-٤٥).

ويتشكل النظام الشمسي، من الشمس وتسعة كواكب، وهذه الكواكب يتصل بها ٦١ قمراً. ويوجد في الفراغات التي تفصل بين هذه الكواكب مذنبات، وشهب كثيرة.

وتتكون الشمس من بعض الغازات الملتهبة. ولهذا السبب تحدث على سطحها في كل ثانية انفجارات هائلة، تعادل انفجار ملايين القنابل الذرية. وفي هذه الانفجارات يمتد لهيب يصل إلى ما بين أربعين وخمسين ضعفاً من حجم الأرض التي نعيش عليها.

ومن المعروف أن الفضاء عبارة عن ظلام دامس، والأرض هي مجرد جسم وسط هذا الظلام الحالك. وليس هناك جسم آخر في الفضاء غير الشمس يمكن أن يبعث الحرارة، والضوء إلى الأرض. ولا يصل إلينا من ضوئها سوى ٠,٠٠٢

ومن هنا نفهم أن الله تعالى جعل المسافة بين الأرض والشمس في غاية الاتساق. فلو كانت الشمس أقرب إلينا بقليل؛ لاحترق، وتفحم كل ما على الأرض، أما لو كانت أبعد بقليل؛ لتجمد كل شيء عليها. وفي الحالتين تستحيل الحياة.[١]

وأما السحاب وماء الأمطار فلهما شأن آخر..

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ ﴾ «النبأ»

فقوله: ﴿ مَآءً ثَجَّاجًا ﴾ قال مجاهد وغيره: منصباً. وقال الثوري: متتابعاً.

وقال ابن زيد: كثيراً.[٢] وقد فسر السلف الماء الثجاج بأنه المنصب، والمتتابع والكثير، وتدور أقوالهم بين هذه الثلاث.

---

(١) انظر: يحيى، هارون. **رحلة في الكون**: (٣٠-٥٥). www.harunyahya.com/Arabic

(٢) الدمشقي، إسماعيل بن كثير. **تفسير القرآن العظيم**، مرجع سابق، (٥٩٣/٤).

وفي البحوث والدراسات الحديثة ما يوضح هذه الكثرة ويبيّنها :

«فالأمطار التي تنزل تكون بكميات محسوبة. والماء الذي يتبخر في الثانية الواحدة تبلغ كميته ١٦ مليون طن. وتصل هذه الكمية إلى ٥٠٥ تريليون طن في العام، والأمر نفسه نجده في كمية نزول الأمطار، فهناك ٥٠٥ تريليون طن من الأمطار النازلة في السنة»[١]

وبعد هذا العرض المطول والمفصل لهذه الدلائل الكونية، لنعد لقراءة هذه الآيات: ﴿ءَأَنتُمۡ أَشَدُّ خَلۡقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمۡكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغۡطَشَ لَيۡلَهَا وَأَخۡرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ وَٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخۡرَجَ مِنۡهَا مَآءَهَا وَمَرۡعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلۡجِبَالَ أَرۡسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ مَتَٰعٗا لَّكُمۡ وَلِأَنۡعَٰمِكُمۡ ﴿٣٣﴾﴾ «النازعات»

فكيف ترى نفسك حين تقرأ هذه الآيات متأملاً دلائل عظمة الله تعالى وقدرته، التي يشهد بها كل مخلوق في هذا الكون ؟؟

وصدق أبو العتاهية – رحمه الله -:

فَيا عَجَبا كَيفَ يُعصى الإِلـ ... ـهُ أَم كَيفَ يَجحَدُهُ الجاحِدُ

وَلِلَّهِ في كُلِّ تَحريكَةٍ ... وَتَسكينَةٍ أبـــدا شاهِدُ

وَفي كُلِّ شَيءٍ لَهُ آيَةٌ ... تَدُلُّ عَلى أَنَّهُ واحِدُ[٢]

---

(١) انظر: يحي، هارون. **رحلة في الكون**، (٣٩-٤١). www.harunyahya.com/Arabic

(٢) القوال، انطوان. **شرح ديوان أبي العتاهية**، ط١، ٢٠٠٣، دار الفكر العربي، بيروت، (١١٣)

وها هو تقرير آخر لدلائل عظمة الله تعالى، وفي هذه المرة يأتي الحديث عن أمر وثيق الصلة بالإنسان:

إنه الطعام الذي يطعمه، والشراب الذي يشربه، والنبات الذي انشقت به الأرض، فاكتست به حلتها الخضراء.

يقول الله تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾﴾ ﴿عبس﴾.

فالإنسان يألف بعض الأمور حين تتكرر عليه، ومع ذلك الإلف والتكرار قد تغفل النفس عن عظمة تلك الآيات، ودلائل القدرة فيها، بل قد لا ترى متعة الجمال والروعة.

وهذه صورة مألوفة كل صباح ومساء:

﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلشَّفَقِ ﴿١٦﴾﴾ ﴿الانشقاق﴾.

فهذا القسم بهذه الآية الكونية المألوفة، قسم يستحق التأمل والنظر...

وهذا الإلْف لا يعني خلوها من الروعة والعظمة، فتلك الحمرة التي تعلو في الأفق الغربي، والأفق الشرقي، والتي تسمى بالشفق فيها لفتة تستحق التأمل...

« الشمس من بعد الغروب، ومن قبل الشروق، يصل إلينا ضياؤها شفقاً... ولولا هذا الغلاف الجوي ما كان للشمس شفق، ولانقلب نور الشمس على الأرض ظلاماً دامساً بغتة عند الغروب، أو لانقلب ظلام الليل نوراً باغتاً عند الشروق »[1] فسبحان مَن خلق فأحسن الخلق...

(١) زكي، أحمد. **مع الله في السماء**، دار الهلال، (١٠٣).

وفي القمر تأمل وتفكر... يقول سبحانه: ﴿وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ﴿١٨﴾﴾

قال الفراء - رحمه الله -: اتساقه امتلاؤه، واجتماعه، واستواؤه ليلة ثالث عشر، ورابع عشر، إلى ست عشرة.

وقد جاء الفعل (اتسق) على وزن (افتعل) من الوسق الذي هو الجمع.

قال الحسن. رحمه الله. : اتسق امتلأ، واجتمع.

وقال قتادة. رحمه الله. : استدار، يقال: وسقتُه فاتسق، كما يقال: وصلتُه فاتصل.

ويقال: أمر فلان متسق: أي مجتمع منتظم، ويقال: اتسق الشيء: إذا تتابع.[١]

فحين يكتمل ضوء القمر ويستتم نوره فهو « مشهد هادئ رائع ساحر..وهو القمر في ليالي اكتماله..وهو يفيض على الأرض بنوره الحالم الخاشع الموحي بالصمت الجليل، والسياحة المديدة، في العوالم الظاهرة والمكنونة في الشعور.. »[٢]

وفي القمر وأطواره التي يمر بها عبرة وفكرة...

« المتتبع لظهور القمر ليلة بعد أخرى، يلاحظ ظهوره متأخراً عن موعده في الليلة السابقة بمدة ٥٠ دقيقة. وتتدرج أشكاله من الهلال، إلى التربيع، إلى القمر الكامل (أي البدر)، ثم يعود تربيعاً مرة أخرى، ثم هلالاً مرة أخرى، ثم محاقاً، وهكذا تتكرر الدورة. والأصل في ظهور القمر أن أشعة الشمس تنعكس على سطحه. ونظراً لوضعه بالنسبة للأرض، يظهر جزء من هذا السطح المضيء لأهل الأرض.. وقبل أن يبلغ منزلة البدر تتزايد مساحته المضيئة بين التربيع الأول يوماً بعد يوم، حتى يصبح دائرة مضيئة تامة الاستدارة، ثم يتناقص بعد اليوم الرابع عشر من البدر؛ فتقل مساحته المضيئة إلى التربيع الثاني، ومنها إلى الهلال؛ حتى يعود مظلماً مرة أخرى، فيصبح حينئذٍ في المحاق ».[٣]

ولعظمة هذه الآية الكونية جاء أيضاً القسم بها في سورة الشمس: ﴿وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ﴿٢﴾﴾ .

---

(١) الشوكاني، محمد بن علي. **فتح القدير**، مرجع سابق، (٥/٤٠٨).

(٢) قطب، سيد. **في ظلال القرآن** مرجع سابق، (٦/٣٨٦٨).

(٣) شعبان، سعيد. **أعماق الكون**، مرجع سابق، (١٦٧-١٦٨).

وفي بعض المخلوقات التي يتعامل معها الإنسان ويألفها؛ عجائب ليست بأقل من النجوم والأفلاك.

يقول الله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ ﴾ ﴿الغاشية﴾.

وهنا سنقف قليلاً مع خلق الإبل وما شأنها، ولِمَ أُمرنا بالتفكر والنظر فيها ؟

قال ابن كثير - رحمه الله -: « فإنها خَلق عجيب، وتركيبها غريب، فإنها في غاية القوة والشدة، وهي مع ذلك تلين للحمل الثقيل، وتنقاد للقائد الضعيف، وتؤكل، وينتفع بوبرها، ويشرب لبنها. ونبهوا بذلك لأن العرب غالب دوابهم كانت الإبل، وكان شريح القاضي يقول: اخرجوا بنا حتى ننظر إلى الإبل كيف خلقت، وإلى السماء كيف رفعت؟ » (١)

ولا يكاد يذكر الجمل إلا وتخطر بالبال صِفَتَا المعاناة والصبر، فهو ذلك المخلوق القادر على العيش والعطاء في خضم الظروف القاسية للصحراء العربية...

وقد أثبتت الدراسات العلمية حقائق عجيبة في شأن هذا المخلوق العظيم:

« يستطيع الجمل قطع مسافة ٥٠ ميلاً يوميًّا، مع تحمل الجوع والعطش لمدة ٥ أيام، أما حمل الأحمال فهو يستطيع نقل ما يفوق ٥٠٠ كيلو غرام، والسير بها مسافة ٢٠ ميلاً في اليوم، دون طعام، أو شراب، لمدة ثلاثة أيام متتالية...

وتساعد شفتا الجمل العليا والسفلى على وجه الخصوص على التقاط النباتات الشوكية، بطريقة سهلة للغاية.

---

(١) الدمشقي، إسماعيل بن كثير. **تفسير القرآن العظيم**، مرجع سابق، (٦٤٩/٤).

ونظـراً لطـول عنق الجمل؛ فإن البلعوم يحتوي علـى عدد هائل من الغدد التي تعمـل علـى ترطيـب الوجبـة الغذائيـة الجافـة، وسهولـة زحـف الأكل داخـل باقي مكونات الجهاز الهضمي.

وينفـرد الجهـاز التنفسي للإبل بوجود جيب أنفي جانبـي؛ يعمل على تحصيل نسبـة هامـة من الماء أثناء التنفس، كما يستطيع أنـف الجمل الانغلاق كلياً مانعًا بذلك جفاف القصبة الهوائية...

وجلـد الجمـل خلافًـا لباقـي آكلات العشـب قليل المرونـة، ولكنـه غليظ جداً لحسن الحظ؛ مما يجعله يتحمل لسعات الحشرات وحرارة الرمال الملتهبة.

أمـا الغـدد العرقيـة الجلديـة فهي قليلة جـدًّا في أنحـاء الجسم، وهـذه الندرة تساعد على توفير الماء بمنع التبذير عن طريق التعرق...

وشـكل الوبـر الغليـظ ولونـه يَحُـدَّان من تسـرب الحـرارة من جسمـه... اللون الفاتح للوبر يعمل على انعكاس أشعة الشمس الحارقة.

أمـا قـدم الجمل فلا يتوفر علـى حافر، ويتكون من نسيج دهنـي؛ يوفر للجمل خفة ورشاقة في السير بكفاءة متساوية على الأرض الوعرة، والزلقة، وكذا الرمال الناعمة.

ويعتبر سنام الجمل مخزناً للطاقة، ووجوده على الظهر يضمن للجمل التأقلم مـع الحـرارة. حيث إن تكتل الدهون فـي السنام يَحُدُّ من توزعهـا، وانتشارها تحت الجلد، ويتم بذلك التخلص من الحرارة في الجلد.

يؤدي نقصان كمية من الماء في أجسام العديد من الحيوانات إلى زيادة لزوجة الـدم، ممـا يـؤدي إلى ارتفـاع الحـرارة الداخلية للجسـم وأحياناً إلى الهـلاك. أما

الجمل فلزوجة دمه تبقى ثابتة؛ ولو نقص الماء من جسمه، مما يسمح لعملية النقل الحراري من أطراف الجسد إلى القلب.

يعتبر الجمل من الحيوانات ذات الدم الحار (حرارة جسمانية مستقرة)، ولكنه يستطيع تغيير درجة حرارة جسمه، متأقلماً بذلك مع الحرارة المحيطة: فعندما تنزل درجة الحرارة الخارجية ليلاً؛ فإن درجة حرارة جسم الجمل تهبط إلى غاية ٣٤ درجة مئوية، ولكن عند القيظ فإن درجة حرارة جسمه تصل إلى ٤٢ درجة مئوية (دون إصابته بحمى)، إن مثل هذا التقلب الحراري يعد مميتاً لأغلبية الثدييات.

إن الشكل الخارجي للجمل وتصرفه، يعملان على مقاومة الحر؛ فعندما تكون الرمال حارة جداً يبقى الحيوان واقفاً على أرجله الطويلة، عازلاً جسمه عن الحرارة المنبعثة من الأرض، وعند جلوسه فإن وسادة أسفل الصدر، ووسائد ركب الأرجل، تعزل الجسم عن السطح؛ سامحة بذلك لحركة هوائية، تساعد على انتشار الحرارة. وفي خضم الساعات الحارة من النهار؛ يتموقع الجمل تحت أشعة الشمس مباشرة، حيث يعمل على تعريض أقل مساحة ممكنة من جسمه لأشعة الشمس الحارقة...

وقد أكدت العديد من الأبحاث، أن الجمل يستطيع العيش دون ماء لعدة أسابيع... وكمية الماء التي يتناولها الجمل مرتبطة بنوعية الأكل، والحرارة الخارجية المحيطة، وحالة الارتواء السابقة. حيث ثبت أن الجمل يكتفي خلال الفصول الباردة بالكمية المائية المتوفرة في الوجبة، ويستغني عن الشرب لمدة شهر كامل. أما في الفصل الحار ومع وجبة من الغذاء اليابس فإن الشرب ضروري مرة كل أسبوع.

وتموت أغلب الحيوانات عندما ينخفض وزنها بمقدار (١٦.١٠٪) في وسط محيط حار، بيد أن الجمل يواصل العيش دون تعرض حياته إلى خطر مع فقدان ثلث وزنه، ويسترده مباشرة بعد الارتواء. وعند التعرض لعطش شديد فالجمل يستطيع شرب كمية هائلة من الماء في زمن قياسي. وقد لوحظ أن جملاً شرب كمية ٢٠٠ لتر في مدة لا تزيد عن ثلاث دقائق، وذلك بعد حرمان من الماء دام ١٤ يوماً، ولم يصب بسوء...»[١]

وقد جاء في الصحيحين عَنْ أَنَسٍ ﷺ: «أَنَّ نَاسًا مِنْ عُرَيْنَةَ اجْتَوَوْا الْمَدِينَةَ، فَرَخَّصَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَأْتُوا إِبِلَ الصَّدَقَةِ، فَيَشْرَبُوا مِنْ أَلْبَانِهَا، وَأَبْوَالِهَا...»[٢]

وقد أثبتت الدراسات الطبية الحديثة، كثيراً من الفوائد الطبية لأبوال الإبل، وقُدمت في ذلك رسائل علمية لبعض المعاهد، ومراكز الدراسات الغربية.

وهذا عرض مختصر لبعض الفوائد الطبية لبول الإبل:

«إن تركيبة بول الإبل (تحليل بي اتش) كانت بصورة عمومية قلوي جداً، عكس البول البشري فهو حمضي لاذع. وإن اللاكتروايت، والعناصر التابعة إذا ما قورنت بين مختلف الحيوانات التي ترعي بالعشب، وجد أنها تحتوي علي كمية كبيرة من البوتاسيوم، وكميات قليلة من الصوديوم.

وعندما تتم مقارنة بول الإبل مع أبوال الأبقار، والماعز، والبشر؛ نجد أن المغنسيوم في بول الإبل أعلى من البول البشري. وإن التركيز للعوامل الأخرى يختلف بصورة كبيرة جداً بين كل الأصناف. ومحتوى البولينا، والبروتينات الزلالية عالية جداً، إذا ما قورنت بالبشر، فإن الحامض البولي أقل. وهذا يلعب دوراً أساسياً في تحسين توازن الألكترولايت لمرضى الاستسقاء.

---

(١) مجلة الإعجاز العلمي، مكة المكرمة، العدد(١٦)، ﴿أَفَلا يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾، www.nooran.org

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل. **صحيح البخاري**، مرجع سابق، (٥٤٦/٢)، رقم الحديث(١٤٣٠).

ويبدو أن مفاجآت الإبل لم تنته، فهناك مفاجأة جديدة: وهي استعمال بول الإبل في المستحضرات الطبية، كما يستعمل شرباً، وغسيلاً لعلاج الشعر، وتحسينه، والمحافظة عليه.

ومن استعمالات أبوال الإبل: أن بعض النساء يستخدمنها في غسل شعورهن لإطالتها، وإكسابها الشُّقرة، واللمعان، كما أن بول الإبل ناجع في علاج ورم الكبد، وبعض الأمراض، مثل الدمامل، والجروح التي تظهر في الجسم، ووجع الأسنان وغسل العيون ».

وفي بول الإبل علاج لأوجاع البطن، وخاصة المعدة، والأمعاء، وأمراض الربو، وضيق التنفس، وانخفاض نسبة السكر في المرضى بدرجة ملحوظة، وعلاج الضعف الجنسي، ويساعد على تنمية العظام عند الأطفال، ويقوي عضلة القلب، ويستخدم كمادة مطهرة لغسل الجروح، والقروح، وخاصة بول الناقة البكر، ولنمو الشعر وتقويته، وتكاثره، ومنع تساقطه، ولمعالجة مرض القرع، والقشرة، كما يستخدم بول الإبل في مكافحة الأمراض بسلالات بكتيرية معزولة منه، وقد عولجت به فتاة كانت تعاني من التهاب خلف الأذن، يصاحبه صديد وسوائل تصب منها، مع وجود شقوق وجروح مؤلمة، كما عولجت به فتاة لم تكن تستطيع فرد أصابع كفيها، بسبب كثرة التشققات، والجروح، وكان وجهها يميل إلى السواد من شدة البثور.

وأبوال الإبل تستخدم أيضاً في علاج الجهاز الهضمي، ومعالجة بعض حالات السرطان، والقضاء بفاعلية على الأحياء الدقيقة، كالفطريات والخمائر والبكتريا »[1]

فهذه بعض الدلائل التي كشفت عنها الدراسات في خلق الإبل فلا غرابة أن تكون مجالاً للتفكر والاعتبار.

(١) (١) www.sohbanet.com

وبعد هذا العرض المفصل عن هذه المخلوقات، ودلائل عظمة الله تعالى في خلقها وإيجادها، لا يملك المؤمن إلا أن يلهج لسانه بتنزيه الله تعالى، وتسبيحه: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ﴾ ﴿آل عمران: ١٩١﴾.

فهذا المعْلم الواضح للتفكر في هذا الجزء؛ يقرر حقيقة لا جدال فيها، ولا مراء، وهي أن هذا الخلق، والإيجاد، على هذا النحو من الدقة، والإتقان، لا يمكن أن يكون عبثاً، أو صدفة، بل إنه يشير إلى الخالق العظيم سبحانه وتعالى: ﴿ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ﴾ ﴿السجدة: ٧﴾.

ومن ثَمَّ فإن التفكر في خلق الله سبحانه وتعالى عبادة من أجل العبادات: ﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٩٠ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ١٩١﴾ ﴿آل عمران﴾

المبحث الثاني: التفكر في خلق الإنسان:

لقد جاءت الآيات في مواضع متعددة؛ حاثَّةً على التفكر في بديع خلق الله في نفس الإنسان.

يقول الله تعالى: ﴿ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾ ﴾ ﴿عبس﴾

ويقول سبحانه: ﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ﴾ ﴿العلق﴾

ويقول جل وعلا: ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴿٧﴾ ﴾ ﴿الطارق﴾

وإن كانت جوانب كثيرة من خلق الإنسان لم يكن في وسع السابقين إدراكُها، لكننا - وهذا من فضل الله علينا - فَتح لنا العلمُ الحديث آفاقاً واسعةً للتفكر في خلق الله سبحانه للإنسان.

فهلم لننظر إلى شيءٍ من ذلك:

فما عجائب هذه النطفة التي بدأ منها خلق الإنسان؛ حتى أصبح بشراً سوياً!

تؤكد الأبحاث العلمية بعض الحقائق في ذلك :

يقذف الرجل أثناء عملية الجماع ٣٠٠ مليون حيوان منوي، يبلغ طول كل واحد منها ١٪ من المليمتر الواحد، وتقطع هذه الحيوانات مسافات طويلة للوصول إلى البويضة، ولا ينجح في الوصول إلا ١٠٠٠ حيوان منوي من بين الـ ٣٠٠ مليون تلك؛ ومن ثم تنجح واحدة من بين هذه الـ ١٠٠٠ في الوصول إلى البويضة وإخصابها.

وسبحان الله الذي قدر خلق هذا العدد الهائل ٣٠٠ مليون حتى تستطيع واحدة

منها فقط إخصاب البويضة، حيث تموت الكثير من الحيوانات المنوية في طريقها إلى البويضة، فلا تصل إلا ١٠٠٠ ولا يلقح منها إلا واحد فقط.

وثمة عجيبة أخرى في أمر هذه النطفة، فهي تنتج في الخصية؛ حيث إنها تحتاج أن تكون بعيدة عن الحرارة الزائدة؛ فلابد أن يكون مكان إنتاجها بارداً نوعاً ما، وحرارة الجسم الاعتيادية ٣٧ درجة مئوية، هي حرارة تهلك هذه النطف وتقضي عليها؛ لذا لا تستطيع النطف العيش داخل الجسم؛ ومن ثم كانت الخصيتان خارج الجسم لتكون في أفضل بيئة لإنتاج هذه النطف.[١]

فسبحان من خلق هذا الإنسان من نطفة من ماء مهين، ثم كرَّمه، ورفع شأنه حتى فضله على جميع الخلائق، وجعله في أحسن تقويم: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴿٥﴾﴾ «التين».

فلِمَ يغتر الإنسان ويكفر؛ وهذه آلاء الله ونعمه ودلائل قدرته مثبتة في جسمه ؟

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾﴾ «الانفطار».

وتأخذنا آيات أخرى من هذا الجزء للتفكر:

﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾﴾ «البلد»

فالعينان نعمة امتن الله بها على عباده، فما شأنهما حتى تكون كذلك ؟

تؤكد لنا الأبحاث العلمية بعض الحقائق في ذلك:

« عندما يبلغ الجنين ٤ أسابيع يظهر تجويفان في جانبي الرأس، ومع أن الأمر

(١) انظر: يحيى،هارون. **معجزة خلق الإنسان**، (٢٧-٢٨).www.harunyahya.com/arabic

يبدو غير قابل للتصديق؛ فإن العينين ستصنعان في هذين التجويفين.

تبدأ العين بالتكوّن في الأسبوع السادس، حيث تبدأ الخلايا بصنع الأجزاء المختلفة من العين طوال عدة أشهر، ضمن خارقة لا يتصورها العقل، فبعض الخلايا يقوم بصنع قرنية العين، وبعضها بؤرة العين، وبعضها عدسة العين، وعندما تصل الخلية إلى حدود نهاية ذلك القسم تتوقف عن العمل.

كل خلية تعمل لصنع جزء من العين، ثم تتحد هذه الأجزاء بشكل رائع، ولا يحدث أي اختلاط بين هذه الأجزاء، فلا تتكون مثلاً طبقة أخرى من الخلايا في موضع بؤرة العين، ولا في موضع قرنية العين، أو عضلاتها. كل جزء يكون في مكانه الصحيح بدقة متناهية، وتستمر هذه العمليات، وأخيراً يكتمل صنع العين (المتكونة من طبقات عديدة) بشكل كامل ومعجز »[١]

« تعتبر كرة العين التي تزن ٨ غرامات، من أروع غرف التصوير الفنية، فهي غرفة مظلمة مغلفة بثلاثة جدران من الظاهر إلى الباطن: الصلبة، وهي التي تعطي اللون الأبيض للعين، والمشيمة، وهي التي تروي بعروقها العين، والشبكية في الداخل، وهي التي تحمل العناصر الحساسة، والمستقبلة للضوء، وهي المخاريط، والعصيات.

وفي المقدمة توجد بلورة رقيقة هي القرنية؛ تدخل النور القادم إلى العين، ثم يجتاز النور بعد القرنية سائلاً شفافاً كاسراً للنور، وهو الخلط المائي الذي يقع ما بين القرنية والقزحية، والقزحية هي التي تعطي العينين لونهما المعهود، وتفتح في مركزها بثقبة واحدة خاصة لاستقبال النور كعدسة المصور، وهي الحدقة، وإذا دخل النور الحدقة واجه بلورة من نوع جديد، هي الجسم البلوري،

(١) انظر: المرجع السابق (١٣٠).

وهي أعجب بلورة موجودة في الوجود، لأنها تتمدد، وتتقلص، بحيث تختلف وجوه تحدبها إلى درجة كبيرة، وبالتالي تتطابق العين مع المناظر التي تقع أمامها، فإذا كانت المسافة المرئية قريبة تمددت، وتقلصت بما يناسب الحالة، والعكس بالعكس؛ فهي البلورة الحركية العاقلة، وبعد الجسم البلوري يدخل النور خلطاً جديداً شفافاً كاسراً للنور، هو الخلط الزجاجي؛ فإذا انتهى النور من عبوره وصل إلى الشبكية، حيث تستقبله العصيات،والمخاريط، وتنقله بشكل سيالة عصبية إلى الفص القفوي »[١]

أما اللسان فعجائبه لا تقل عن سابقتيه:

حيث « يحتوي اللسان على ١٧ عضلة للحركة، وعلى غشاء مخاطي يغلفه، وعصب خاص لتحريكه في كل نصف، أي عصبان رأسيان هما العصب تحت اللسان الكبير في كل جانب، و(٦)أعصاب لنقل الحس، ثلاثة في كل جانب هي: (العصب اللساني لنقل الحس من مقدمة اللسان)، و(العصب البلعومي اللساني من مؤخرة اللسان)، و(العصب المبهم من البلعوم والمزمار)، وهذا اللسان ترقد فيه من النتوءات، والبراعم الذوقية الآلاف، ويحس بالأطعمة من شتى المأكولات، وهو بعد كل هذا يستخدم في المضغ، والبلع، والذوق، والتصويت.

فأي ممثل عجيب هذا الذي يقوم بكل هذه الأدوار !!

ولقد بلغت دقة التأثر في الذوق أن اللسان يحس بالطعم المر؛ ولو بلغ تركيزه على اللسان (٠,٠٠٠٤)، وهو مع ذلك المكان الذي تخرج منه حروف كثيرة »[٢]

---

(١) انظر: جلبي، خالص. **الطب محراب الإيمان**. ط٦: ١٤٠٦- ١٩٨٥، مؤسسة الرسالة، بيروت، (٢٠٦/١).

(٢) انظر: المرجع السابق، (٢٢٩/١).

أما الشفتان ففيهما أيضاً دلائل على عظمة الله تعالى:

« فالشفتان اللتان يستكمل وجه الإنسان بهما جماله، وإحساسه، وقدرته علي النطق، فهما مليئتان بالأوعية الدموية التي تتفرع بغزارة في الأغشية المخاطية المكونة لهما، ولذلك يتميزان بالحمرة. وهناك حزمة متمركزة من العضلات اللافة حول الشفتين، لتمثل واحدة من مجموع العضلات المعقدة، والمحددة لتعبيرات الوجه.

وتقوم الشفتان بدور مهم في النطق، فعند الكلام تجمع الحبال الصوتية في مكان واحد، وتهتز من جراء الهواء الخارج عند الزفير، كما يتحرك كل من اللسان والشفتين والأسنان. وقد جعل الخالق - سبحانه وتعالى - كُلًّا من الأنف والفم قادراً على أن يعطي كافة المواصفات الخاصة بالصوت. وفي الوقت الذي تبدأ فيه الكلمات بالخروج من الفم بسلاسة، يأخذ اللسان وضعاً بين الاقتراب والابتعاد من سقف الفم بمسافات محددة، وتتقلص الشفتان أو تتوسعان، وتتحرك في هذه العملية عضلات عديدة، بشكل سريع حتى يتحقق النطق عند الإنسان.

وقد أودع الخالق - سبحانه وتعالى - كل إنسان بصمة بشفتيه تميزه عن غيره، حيث لا يتفق فيها اثنان، ولا تقل هذه البصمة في شأنها ودقتها عن بصمة البنان، أو العين، أو الأذن، أو الصوت، أو الرائحة، أو البصمة الوراثية. وتؤخذ بصمة الشفاه بواسطة جهاز خاص به حبر غير مرئي، ويضغط بالجهاز على شفتي الشخص، بعد أن توضع عليهما ورقة من نوع حساس، فتطبع عليها بصمة الشفتين.

ولولا هذا البناء المحكم للسان والشفتين؛ ما استطاع الإنسان النطق علي الإطلاق، ولا استطاع مضغ الطعام، وهضمه هضماً مبدئياً، وما تمكن من تذوق هذا الطعام، والاستمتاع بتناوله »(١)

(١) الموقع الرسمي للدكتور زغلول النجار www.elnaggarzr.com

ومن خلال ما سبق في شأن التفكر في خلق الإنسان، تبدو لنا الآثار العظيمة لعبادة التفكر، فهي من أعظم ما يزيد الإيمان ويغرس محبة الله وتعظيمه في نفوس المؤمنين؛ وحينئذٍ فإننا نفهم أهمية التفكر والتأمل في خلق الإنسان من خلال قوله تعالى:

﴿ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ ﴿الذاريات﴾.

المبحث الثالث: التفكر في مصير المكذبين:

من مجالات التفكر التي حثت عليها آيات هذا الجزء: التفكر في أحوال الأمم المكذبة لرسلها، وما حلَّ بهم من نقمة الله وعذابه.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَرَىٰهُ ٱلْءَايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْءَاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ ﴿٢٦﴾ ﴾ ﴿النازعات﴾.

فهذا فرعون الطاغية، جاءه موسى عليه السلام متلطفاً له في دعوته كما أمره الله، لعله يتطهر من الكفر والشرك ويهتدي إلى ربه؛ فينالَ رضاه، ويسعدَ في دنياه وأخراه، فعرض موسى عليه السلام أمامه دلائل صدق نبوته: ﴿ فَأَرَىٰهُ ٱلْءَايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴾، لكنَّ الشقيَّ العصيَّ أبى الهدى، فكذب وعصى، ثم جمع جنوده ونادى فيهم ﴿ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾.

ولقد بلغ فرعون من الكفر ما لم يبلغه غيره، لقد ادعى أنه الرَّب الأعلى، بل في موضع آخر من القرآن الكريم أنكر فرعون أن يكون ثَمَّ ربٌّ إلا هو، قال الله تعالى: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى ﴾ ﴿سورة القصص:٣٨﴾.

ثم ماذا كان بعد ذلك ؟

هل نفعه غروره واستكباره ؟

هل أغنت عنه جنوده وأركانه ؟

لقد كانت عاقبته وخاتمته: ﴿ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْءَاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ﴾.

وتلكم هي عاقبة كل من طغى وبغى وظلم واستكبر: ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ﴿٢٠﴾ ﴾ ﴿البروج﴾.

وفي موضعٍ آخر يذكِّر الله بقدرته على الانتقام من الظلمة والجبابرة.

هؤلاء عاد، أوتوا من القوة ما لم يؤت أحد مثلها، وصفهم الله تعالى بقوله: ﴿ٱلَّتِي لَمۡ يُخۡلَقۡ مِثۡلُهَا فِي ٱلۡبِلَٰدِ﴾

قال ابن كثير- رحمه الله -: «أي: القبيلة التي لم يخلق مثلها في بلادهم، لقوتهم وشدتهم وعظم تركيبهم»[1].

وأولئك ثمود قوم صالح عليه السلام، آتاهم الله من القوة ما ينحتون به الجبال؛ فيتخذونها مساكن، لكنهم طغوا، وأسرفوا، وأكثروا الفساد؛ فما أغنت عنهم قوتهم شيئاً، فحاقت بهم سنة الله في الظالمين:

﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ٦ إِرَمَ ذَاتِ ٱلۡعِمَادِ ٧ ٱلَّتِي لَمۡ يُخۡلَقۡ مِثۡلُهَا فِي ٱلۡبِلَٰدِ ٨ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُواْ ٱلصَّخۡرَ بِٱلۡوَادِ ٩ وَفِرۡعَوۡنَ ذِي ٱلۡأَوۡتَادِ ١٠ ٱلَّذِينَ طَغَوۡاْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ١١ فَأَكۡثَرُواْ فِيهَا ٱلۡفَسَادَ ١٢ فَصَبَّ عَلَيۡهِمۡ رَبُّكَ سَوۡطَ عَذَابٍ ١٣ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلۡمِرۡصَادِ ١٤﴾ «الفجر».

وفي موضع ثالث يأتي الحديث عن ثمودَ أيضاً، لكنه هذه المرة يفصِّل لنا في إيجاز - وهذا من بلاغة القصص في القرآن الكريم - كيف نزل بهم العذاب ؟

﴿كَذَّبَتۡ ثَمُودُ بِطَغۡوَىٰهَآ ١١ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشۡقَىٰهَا ١٢ فَقَالَ لَهُمۡ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقۡيَٰهَا ١٣ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمۡدَمَ عَلَيۡهِمۡ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمۡ فَسَوَّىٰهَا ١٤ وَلَا يَخَافُ عُقۡبَٰهَا ١٥﴾ «الشمس»

لقد جاءهم صالح عليه السلام ببينة على نبوته كما طلبوا: ﴿فَأۡتِ بِـَٔايَةٖ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ١٥٤﴾ «الشعراء»، ورأوا تلك الآية ناقة عظيمة أخرجها الله لهم... فماذا كان من شأنهم ؟

---

(١) الدمشقي، إسماعيل بن كثير. **تفسير القرآن العظيم**، مرجع سابق، (٤/٦٥٤).

لقد تآمروا على قتل الناقة وعزموا على ذلك؛ فحذرهم صالح من عاقبة ذلك ومغبته، لكنهم أبوا إلَّا استجلاب الهلاك والعذاب على أنفسهم فكان ذلك: ﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا﴾ ﴿الشمس﴾.

قال البقاعي - رحمه الله -: « أي عذَّب عذاباً تاماً، مجلّلاً، مغطياً، مطبقاً، مستأصلاً، شدخ به رؤوسهم، وأسرع في الإجهاز، وطحنهم طحناً مع الغضب الشديد، فكانت الدمدمة على قويهم كما كانت على ضعيفهم، فلم تدع منهم أحداً، ولم يتقدم هلاك أحد منهم على أحد، بل كانوا كلهم كنفس واحدة، من قوة الصعقة وشدة الرجفة، كما أنهم استووا في الكفر والرضا بعقر الناقة ».[١]

وفي حادثة مشهورة أصبحت عَلَماً في تأريخ العرب، جاء أبرهة - صاحبُ الفيل - ليهدم بيت الله، ويصرف الحجاج عنه، وقد جمع قوته وجنده، وعدته وعتاده، وقد جاؤوا بقضهم وقضيضهم كما تقول العرب[٢].

فهل كان لهذه القوة البشرية الهزيلة قِبَلٌ أن تغالب قوة العزيز الجبار سبحانه ؟ لقد نزلت بهم نقمة الله فكان إهلاكهم على نحوٍ لم يعهده الناس من قبل، ولم يعرفوه !!

قال عبيد بن عمير - رحمه الله -: « لما أراد الله أن يهلك أصحاب الفيل، بعث عليهم طيراً أنشئت من البحر، أمثال الخطاطيف. كلُّ طيرٍ منها تحمل ثلاثة أحجار مجزعة: حجرين في رجليه، وحجراً في منقاره. فجاءت حتى صفَّت على رءوسهم، ثم صاحت، وألقت ما في أرجلها ومناقيرها، فما يقع حجر على رأس رجل إلا خرج من دبره، ولا يقع على شيء من جسده إلا خرج من الجانب الآخر، وبعث الله ريحاً شديدة فضربت الحجارة فزادتها شدة فأهلكوا جميعا »[٣]

---

(١) البقاعي، إبراهيم بن عمر. **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، مرجع سابق، (٨٢/٢٢).

(٢) جاؤوا بقَضِّهم وقَضِيضِهم إذا جاؤوا مجتمعين يَنْقَضُّ آخِرُهم على أَوَّلهم.. فحقيقتُه جاؤوا بمُسْتَلْحَقِهم ولاحقِهم أي بأَوَّلهم وآخرهم. انظر: ابن منظور، محمد بن مكرم. **لسان العرب**. مرجع سابق، مادة (قضض)

(٣) الدمشقي، إسماعيل بن كثير. **تفسير القرآن العظيم**، مرجع سابق، (٧١٦/٤).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾ ﴾ ﴿الفيل﴾

ولما بُعث رسول الله ﷺ إلى قومه وبدأ دعوته بالأقربين منهم، وجهد واجتهد في ذلك، ناله منهم كلُّ أذىً وسخرية، وكان من أشدِّهم في ذلك عمُّه أبو لهب:

عن ابن عباس - رضي الله عنهما- ، قال: لما أنزل الله: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ ﴾ ﴿الشعراء﴾، أتى النبي ﷺ الصفا فصعد عليه ثم نادى: «يا صباحاه». فاجتمع الناس إليه، بين رجل يجيء إليه، وبين رجل يبعث رسوله. فقال رسول الله ﷺ: « يا بني عبد المطلب، يا بني فهر، يا بني كعب، أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً بسفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم صدقتموني ؟ » قالوا: نعم! قال: « فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد». فقال أبو لهب - لعنه الله -: تباً لك سائر اليوم ! أما دعوتنا إلا لهذا؟ فنزلت هذه السورة: ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴿٥﴾ ﴾ ﴿المسد﴾[1]

فهذا هو جزاء كل من كاد للدعوة وحاربها « لقد انتصر الإسلام، وهُزم الشرك، وعلت كلمة لا إله إلا الله، وتكسرت الأوثان وحُطمت، وخاب زعماء المشركين وهزموا وانكسروا، ودخل معظم أبنائهم في الإسلام في زمن من عمر الأجيال قصير، وقامت للرسول ﷺ والذين آمنوا معه دولة قوية ».[2]

وهذا التفكر في مصير المكذبين؛ يقرر حقيقة قرآنية، وسنة إلهية، وهي أن

---

(١) الدمشقي، إسماعيل بن كثير. **البداية والنهاية**، مرجع سابق، (٣/٣٧).

(٢) الميداني،عبد الرحمن حسن.**معارج التفكر ودقائق التدبر**، مرجع سابق، (١/٣٨٦).

العذاب والهلاك سيصيب كل الظلمة، والطغاة، والجبابرة على مر الحياة، فليس الغرض من عرض قصص إهلاك الظالمين في القرآن، هو مجرد السرد التأريخي للأحداث، بل لتقرير هذه الحقيقة وتجليتها للعيان.

فكلُّ من يعادي دين الله تعالى، ويحارب أولياءه، ويتفنن في طرائق الحرب الخفية والمعلنة، فإنه - ولو طال به الزمان - إلا أن الهلاك والعذاب مصيره بلا ريب.

وكلُّ من يغتر بماله فيظلم الناس، ويمنعهم حقوقهم، ويغريه ما أوتي من القوة، والمال؛ فليعلم أن الله قد أهلك من هو أشد منه قوة، وأكثر جمعاً.

ومن أغراه جاهه وسلطانه، أو حسبه ونسبه، فكفر وجحد، فليعلم أنَّ ذلك لن يغني عنه من الله شيئاً. فتلك سنة الله في هلاك الظالمين والمكذبين، لا تحابي ذا نسب، أو جاه، أو سلطان.

فسبحان الله ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة ...

الفصل الرابع

معالم التربية في الدعوة والإصلاح

تمهيد

الدعوة إلى الله مقام عظيم، ومرتبة عالية لأنها مقام صفوة خلق الله تعالى من الرسل الكرام، وخلفائهم الراشدين، والصالحين من خلق الله ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وهي من أجلِّ الطاعات والقربات إلى الله عز وجل.

وما أحوج الأمة إلى جهد كل مسلمٍ غيورٍ على أمته ودينه،كي تفيق من غفوتها، وتعود إلى مكانتها اللائقة بها، لتقود العالم من جديد إلى طريق الله رب العالمين، وتستنقذه من هذا الفراغ الروحي الذي يعانيه، حين طغت عليه المادة من كل جانب.

وما أحوج العالم إلى دعاةٍ مخلصين تجتمع عليهم القلوب ، وتآلفهم النفوس، ينطلقون من فهمٍ صحيحٍ للكتاب والسنة، يستنقذون الأمة من الهوة السحيقة التى وقع فيها كثيرٌ منهم.

وفي هذا الجزء تأصيلٌ لبعض المعالم التربوية في مجال الدعوة والإصلاح يمكن استعراضها في الأمور التالية:

١- الصبر والثبات على المبدأ.

٢- المفاصلة بين الحق والباطل وعدم المداهنة.

٣- العناية بدعوة القادة والمؤثرين في المجتمع.

٤- الموازنة بين مراتب المصالح.

٥- الأمل في الفرج بعد الكرب.

المبحث الأول: الصبر والثبات على المبدأ:

إن المبادىء لا تقبل المساومة ولا المقايضة، ولا تستقيم فيها أنصاف الحلول ولا التنازلات، وإن الثبات عليها يتطلب نفوساً عظيمة، تلقت تربية عظيمة سامية.

والإنسان في حياته قد يواجه كثيراً من الفتن والابتلاءات في دينه، وتتنوع وسائلها، وتتعدد طرائقها، وتتابع عليه واحدة تلو الأخرى ؛ فحينئذٍ تكون الحاجة ماسة جداً إلى عوامل الثبات تجاه ذلك الواقع الذي يعيشه.

وفي نظرة تاريخية للمجتمع المكيِّ على عهد الرسول ﷺ، نرى كيف ابتلي المسلمون الأولون وعذبوا، وواجهوا المجتمع كلَّه، بل واجهوا أقرب الأقربين الذين أرادوا فتنتهم عن دينهم.

لكنهم استطاعوا أن يواجهوا كل تلك الصعاب والفتن؛ وكانت تنزلت عليهم آيات القرآن الكريم؛ وهم في شدة المعاناة والصعاب، فكانت خير معين لهم على الصبر والثبات على المبادىء التي كانوا يحملونها، ويعيشون من أجلها.

وعند التأمل في هذا الجزء نرى أن الآيات قد عالجت هذه القضية من خلال ما يلي:

١- تسلية نفوس المؤمنين وتذكيرهم بأن الحياة الدنيا ليست هي نهاية المطاف:

يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضۡحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمۡ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوۡهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَآ أُرۡسِلُواْ عَلَيۡهِمۡ حَٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱلۡيَوۡمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلۡكُفَّارِ يَضۡحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلۡ ثُوِّبَ ٱلۡكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾ ﴿المطففين﴾.

فهذه صورة « متكررة في أجيال وفي مواطن شتى. وكثيرٌ من المعاصرين شهدوها كأنما هذه الآيات قد نزلت في وصفها وتصويرها. مما يدل على أن طبيعة الفجار المجرمين واحدة متشابهة في موقفها من الأبرار في جميع البيئات والعصور!! »[١]

فهؤلاء المجرمون قديماً، وأتباعهم حديثاً؛ يمارسون حرباً نفسيةً شعواء على المؤمنين، فيسخرون منهم، ويُسَفِّهون أحلامهم، ويصفونهم بالغفلة والسذاجة والضلال عن إدراك الصواب في المواقف والتصرفات.

إن الأذى الذي يلقاه أصحاب المبادىء في هذه الحياة من أجل نصرة مبادئهم وتثبيتها في الأرض، يستحقُّ تَحمُّل كل تلك المشاق والعناء، والصبر على السخرية والأذى في سبيلها.

وقد جاءت هذه الآيات لتثبيت هذه النفوس وتقويتها، وتذكيرها بالمآل يوم القيامة، بعد انقضاء هذه الحياة القصيرة - ولو طالت - فثَمَّ أمر آخر يوم القيامة، يُنسي المؤمن كل عناء وعنت لقيه في هذه الحياة:

﴿ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ ﴿المطففين﴾

إنه البلسم الشافي للقلوب المكلومة، والأفئدة الموجوعة «إن هذه القلوب المؤمنة تشهد حالها عند ربها، ونعيمها في جناته، وكرامتها في الملأ الأعلى. على حين تشهد حال أعدائها ومهانتهم في الملأ الأعلى، وعذابهم في الجحيم، مع الإهانة والترذيل»[٢]

---

(١) قطب، سيد. في ظلال القرآن مرجع سابق، (٦/٣٨٦٠)

(٢) المرجع السابق(٦/٣٨٦٢)

٢- ذكر قصص السابقين ممن ثبت على دينه رُغم الفتن:

لقد أنزل الله تعالى سورة كاملة، تحكي قصة فئة مؤمنة مستضعفة في دينها، يسعى أهل الجاه والقوة والسلطان أن يفتنوهم عن دينهم، ويردوهم عما اختاروا لأنفسهم، بل وبذلوها رخيصة لإعلاء دينهم، ونصرة مبدئهم.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٨﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ ﴿١١﴾ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ﴿٢٠﴾﴾ ﴿البروج﴾.

وهذه القصة قد جاء تفصيلها في حديث صهيب رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال:

« كَانَ مَلِكٌ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَكَانَ لَهُ سَاحِرٌ، فَلَمَّا كَبِرَ السَّاحِرُ؛ قَالَ لِلْمَلِكِ: إِنِّي قَدْ كَبِرَتْ سِنِّي، وَحَضَرَ أَجَلِي؛ فَادْفَعْ إِلَيَّ غُلَامًا فَلْأُعَلِّمْهُ السِّحْرَ. فَدَفَعَ إِلَيْهِ غُلَامًا، فَكَانَ يُعَلِّمُهُ السِّحْرَ. وَكَانَ بَيْنَ السَّاحِرِ وَبَيْنَ الْمَلِكِ رَاهِبٌ؛ فَأَتَى الْغُلَامُ عَلَى الرَّاهِبِ فَسَمِعَ مِنْ كَلَامِهِ فَأَعْجَبَهُ نَحْوُهُ وَكَلَامُهُ، فَكَانَ إِذَا أَتَى السَّاحِرَ ضَرَبَهُ، وَقَالَ: مَا حَبَسَكَ؟ وَإِذَا أَتَى أَهْلَهُ ضَرَبُوهُ، وَقَالُوا: مَا حَبَسَكَ؟ فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى الرَّاهِبِ، فَقَالَ: إِذَا أَرَادَ السَّاحِرُ أَنْ يَضْرِبَكَ، فَقُلْ: حَبَسَنِي أَهْلِي. وَإِذَا أَرَادَ أَهْلُكَ أَنْ يَضْرِبُوكَ، فَقُلْ: حَبَسَنِي السَّاحِرُ. وَقَالَ: فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ؛ إِذْ أَتَى ذَاتَ يَوْمٍ عَلَى دَابَّةٍ فَظِيعَةٍ عَظِيمَةٍ، وَقَدْ

حَبَسَتْ النَّاسَ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَجُوزُوا. فَقَالَ: الْيَوْمَ أَعْلَمُ أَمْرُ الرَّاهِبِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ، أَمْ أَمْرُ السَّاحِرِ؟ فَأَخَذَ حَجَرًا؛ فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ أَمْرُ الرَّاهِبِ أَحَبَّ إِلَيْكَ وَأَرْضَى لَكَ مِنْ السَّاحِرِ فَاقْتُلْ هَذِهِ الدَّابَّةَ حَتَّى يَجُوزَ النَّاسُ، وَرَمَاهَا فَقَتَلَهَا، وَمَضَى النَّاسُ. فَأَخْبَرَ الرَّاهِبَ بِذَلِكَ. فَقَالَ: أَيْ بُنَيَّ أَنْتَ أَفْضَلُ مِنِّي. وَإِنَّكَ سَتُبْتَلَى، فَإِنْ ابْتُلِيتَ فَلَا تَدُلَّ عَلَيَّ. فَكَانَ الْغُلَامُ يُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَسَائِرَ الْأَدْوَاءِ وَيَشْفِيهِمْ. وَكَانَ جَلِيسٌ لِلْمَلِكِ فَعَمِيَ. فَسَمِعَ بِهِ فَأَتَاهُ بِهَدَايَا كَثِيرَةٍ. فَقَالَ: اشْفِنِي وَلَكَ مَا هَاهُنَا أَجْمَعُ. فَقَالَ: مَا أَشْفِي أَنَا أَحَدًا، إِنَّمَا يَشْفِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، فَإِنْ أَنْتَ آمَنْتَ بِهِ فَدَعَوْتُ اللَّهَ فَشَفَاكَ. فَآمَنَ، فَدَعَا اللَّهَ لَهُ فَشَفَاهُ. ثُمَّ أَتَى الْمَلِكَ فَجَلَسَ مِنْهُ نَحْوَ مَا كَانَ يَجْلِسُ. فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: يَا فُلَانُ مَنْ رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ. فَقَالَ: رَبِّي. قَالَ: أَنَا؟ قَالَ: لَا، لَكِنْ رَبِّي وَرَبُّكَ اللَّهُ. قَالَ: أَوَلَكَ رَبٌّ غَيْرِي؟ قَالَ: نَعَمْ. فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّهُ عَلَى الْغُلَامِ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: أَيْ بُنَيَّ قَدْ بَلَغَ مِنْ سِحْرِكَ أَنْ تُبْرِئَ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَهَذِهِ الْأَدْوَاءَ. قَالَ: مَا أَشْفِي أَنَا أَحَدًا، مَا يَشْفِي غَيْرُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. قَالَ: أَنَا؟ قَالَ: لَا. قَالَ: أَوَلَكَ رَبٌّ غَيْرِي؟ قَالَ: نَعَمْ. رَبِّي وَرَبُّكَ اللَّهُ. فَأَخَذَهُ أَيْضًا بِالْعَذَابِ؛ فَلَمْ يَزَلْ بِهِ حَتَّى دَلَّ عَلَى الرَّاهِبِ. فَأَتَى بِالرَّاهِبِ. فَقَالَ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ. فَأَبَى. فَوَضَعَ الْمِنْشَارَ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ حَتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ. وَقَالَ لِلْأَعْمَى: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ. فَأَبَى. فَوَضَعَ الْمِنْشَارَ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ حَتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ فِي الْأَرْضِ. وَقَالَ لِلْغُلَامِ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ. فَأَبَى. فَبَعَثَ بِهِ مَعَ نَفَرٍ إِلَى جَبَلِ كَذَا وَكَذَا. فَقَالَ: إِذَا بَلَغْتُمْ ذُرْوَتَهُ، فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ وَإِلَّا فَدَهْدِهُوهُ[1] مِنْ

(١) أي دحرجوه. يقال: دَهْدَه الشيءَ فتَدَهْدَه حَدَرَه من عُلْوٍ إلى سُفْلٍ تَدَحْرُجاً. انظر: ابن منظور، محمد بن مكرم **لسان العرب**، مرجع سابق، مادة (دهده).

فَوْقِـهِ. فَذَهَبُـوا بِهِ، فَلَمَّا عَلَوْا بِهِ الْجَبَلَ؛ قَالَ: اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ. فَرَجَفَ بِهِـمْ الْجَبَلُ، فَدُهْدِهُوا أَجْمَعُونَ. وَجَاءَ الْغُـلَامُ يَتَلَمَّسُ حَتَّى دَخَلَ عَلَى الْمَلِكِ. فَقَالَ: مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟ فَقَالَ كَفَانِيهِمْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ. فَبَعَثَهُ مَـعَ نَفَـرٍ فِي قُرْقُور[١]، فَقَـالَ: إِذَا لَجَجْتُمْ[٢] بِهِ الْبَحْرَ؛ فَـإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ وَإِلَّا فَغَرِّقُـوهُ. فَلَجَّجُوا بِهِ الْبَحْرَ؛ فَقَـالَ الْغُلَامُ: اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ. فَغَرِقُـوا أَجْمَعُـونَ. وَجَاءَ الْغُلَامُ يَتَلَمَّسُ حَتَّى دَخَـلَ عَلَى الْمَلِكِ. فَقَالَ: مَا فَعَـلَ أَصْحَابُـكَ؟ قَالَ كَفَانِيهِـمْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ. ثُـمَّ قَالَ لِلْمَلِـكِ: إِنَّكَ لَسْتَ بِقَاتِلِـي حَتَّـى تَفْعَلَ مَا آمُرُكَ بِهِ؛ فَإِنْ أَنْتَ فَعَلْتَ مَـا آمُرُكَ بِهِ قَتَلْتَنِي، وَإِلَّا فَإِنَّـكَ لَا تَسْتَطِيـعُ قَتْلِي. قَالَ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: تَجْمَـعُ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ، ثُمَّ تَصْلُبُنِي عَلَى جِذْعٍ، فَتَأْخُذُ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِي، ثُمَّ قُلْ: بِسْمِ اللَّهِ رَبِّ الْغُلَامِ. فَإِنَّـكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ قَتَلْتَنِي. فَفَعَلَ. وَوَضَعَ السَّهْمَ فِي كَبِدِ قَوْسِهِ، ثُمَّ رَمَى، فَقَالَ: بِسْمِ اللَّهِ رَبِّ الْغُلَامِ. فَوَضَعَ السَّهْمَ فِي صُدْغِهِ[٣]، فَوَضَعَ الْغُلَامُ يَدَهُ عَلَـى مَوْضِعِ السَّهْمِ، وَمَاتَ. فَقَـالَ: النَّاسُ آمَنَّا بِرَبِّ الْغُـلَامِ. فَقِيلَ لِلْمَلِكِ: أَرَأَيْـتَ مَـا كُنْـتَ تَحْـذَرُ، فَقَـدْ وَاللَّهِ نَزَلَ بِـكَ. قَدْ آمَـنَ النَّاسُ كُلُّهُـمْ. فَأَمَرَ بِأَفْوَاهِ[٤] السِّكَكِ[٥] فَخُدِّدَتْ[٦] فِيهَا الْأُخْدُودُ وَأُضْرِمَتْ فِيهَا النِّيرَانُ، وَقَالَ:

---

(١) قُرْقُور هو السفينة العظيمة وجَمْعُها: قَراقِير. ابن الأثير، مجد الدين. **النهاية في غريب الحديث**، مرجع سابق، (٤٨/٤).

(٢) أي دخلتم بـه لجـة البحر. ولجة البحر حيث لا يُدْرَكُ قَعْرُه... ولُجُّ البحر عُرْضُـه قال ولُجُّ البحر الماءُ الكثير الذي لا يُرَى طرَفاه. انظر: ابن منظور، محمد بن مكرم. **لسان العرب**، مرجع سابق، مادة (لجج)

(٣) الصُدغ هو ما بين العين وشحمة الأذن. ابن الأثير، مجد الدين. **النهاية في غريب الحديث**، مرجع سابق، (١٧/٣).

(٤) أفواه: جَمْع فُوَهَة بضَـمِّ الْفَاء وَتَشْـدِيد الْوَاو الْمَفْتُوحَة وَهُوَ جَمْع سَـمِعَ مِنْ الْعَرَب عَلَى غَيْر قِيَاس، وَأَفْوَاه الْأَزِقَّة وَالْأَنْهَار أَوَائِلهَا. النووي، محي الدين. شرح صحيح مسلم، مرجع سابق، (٣٢/٣).

(٥) السـكك جمع سـكة والسِّكَّة أوسع من الزُّقاق سميت بذلك لاصـطفاف الدور فيها على التشبيه بالسِّكَّة من النخل والسِّكَّةُ الطريق المستوي.: ابن منظور، محمد بن مكرم. **لسان العرب**، مرجع سابق، مادة (سكك).

(٦) أي حفـرت فيهـا الحفر. والخَـدّ والخُـدَّة والأُخْدود الحفـرة تحفرها في الأرض مسـتطيلة. ابن منظور، محمد بن مكـرم. **لسان العرب**. مرجع سابق، مادة (خدد)

مَنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ فَدَعُوهُ، وَإِلَّا فَأَقْحِمُوهُ فِيهَا. قَالَ: فَكَانُوا يَتَعَادَوْنَ [١] فِيهَا وَيَتَدَافَعُونَ، فَجَاءَتْ امْرَأَةٌ بِابْنٍ لَهَا تُرْضِعُهُ، فَكَأَنَّهَا تَقَاعَسَتْ[٢] أَنْ تَقَعَ فِي النَّارِ. فَقَالَ الصَّبِيُّ: يَا أُمَّهْ اصْبِرِي فَإِنَّكِ عَلَى الْحَقِّ » [٣]

إنها روعة الإيمان المستعلي على الفتنة، والعقيدة المنتصرة على الحياة، والانطلاق المتجرد من أوهاق الجسم وجاذبية الأرض. فقد كان مكنة المؤمنين أن ينجوا بحياتهم في مقابل الهزيمة لإيمانهم. ولكن كم كانوا يخسرون هم أنفسهم في الدنيا قبل الآخرة؟ وكم كانت البشرية كلها تخسر؟ كم كانوا يخسرون وهم يقتلون هذا المعنى الكبير: معنى زهادة الحياة بلا عقيدة، وبشاعتها بلا حرية، وانحطاطها حين يسيطر الطغاة على الأرواح بعد سيطرتهم على الأجساد! إنه معنى كريم جداً وكبير جداً هذا الذي ربحوه وهم بعد في الأرض. ربحوه وهم يجدون مس النار فتحترق أجسادهم، وينتصر هذا المعنى الكريم الذي تزكيه النار؟[٤]

ومما يزيد المؤمن ثباتاً شعوره الدائم بقرب الله منه، ومحبته له، وَوِدِّه إياه، قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴾

فماذا تكون الحياة التي ضحوا بها وهي ذاهبة. وماذا يكون العذاب الذي احتملوه وهو موقوت؟ ماذا يكون هذا إلى جانب قطرة من هذا الود الحلو. وإلى جانب لمحة من هذا الإيناس الحبيب؟

إن عبيداً من رقيق هذه الأرض. عبيداً لواحدٍ من البشر، ليلقون بأنفسهم إلى التهلكة لكلمة تشجيع تصدر من فمه، أو لمحة رضاء تبدو في وجهه..وهو عبد

---

(١) يتعادون: أي يسرعون والمعاداة الإسراع بالسير. العظيم آبادي، محمد شمس الحق. **عون المعبود شرح سنن أبي داود**، ط٢: ١٩٩٥، دار الكتب العلمية، بيروت، (٨/٢٢٦).

(٢) أي تأخرت أن تقع في النار. ابن الأثير، مجد الدين. **النهاية في غريب الحديث**، مرجع سابق، (٤/٨٧).

(٣) الشيباني، أحمد بن حنبل. **المسند**، مرجع سابق، (٦/١٧)، رقم الحديث (٢٣٩٧٦). وصححه الألباني في صحيح الجامع (٨٥٨٩)

(٤) قطب، سيد. **في ظلال القرآن**، مرجع سابق، (٦/٣٨٧٤).

وهم عبيد..فكيف بعباد الله. الذين يؤنسهم الله بوده الكريم الجليل، الله ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ﴾ العالي المهيمن الماجد الكريم؟ ألا هانت الحياة، وهان الألم، وهان العذاب، وهان كل غال عزيز، في سبيل لمحة رضى يجود بها المولى الودود ذو العرش المجيد..[١]

(١) المرجع السابق(٦/٣٨٧٥)

المبحث الثاني: التأكيد على المفاصلة بين الحق والباطل وعدم المداهنة:

لقد جرب المشركون كل وسيلة، وسلكوا كل طريق؛ ليثنوا رسول الله ﷺ عن دعوته ويستميلوه إلى صفهم، بعد أن ثبت لهم أن المواجهة والتعذيب والفتنة لأتباعه لا تزيدهم إلا إصراراً على مبدئهم، وتمسكاً بدينهم؛ عندئذٍ فكروا في المسايسة والحوار، لعلها تجدي في إضعاف قوة الدعوة، والحيلولة دون سحب البساط من تحت أرجلهم.

فتقدموا بعروض وإغراءات لتحقيق أهدافهم تلك:

عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن قريشا وعدوا رسول الله ﷺ أن يعطوه مالا فيكون أغنى رجل بمكة، ويزّوجوه ما أراد من النساء، فقالوا له: هذا لك عندنا يا محمد، وكفّ عن شتم آلهتنا، فلا تذكرها بسوء، فإن لم تفعل، فإنا نعرض عليك خصلة واحدة، فهي لك ولنا فيها صلاح. قال: « **ما هي؟** »قالوا: تعبد آلهتنا سنة: اللات والعزى، ونعبد إلهك سنة، قال:«**حتى أنْظُرَ ما يأْتي مِنْ عِنْدِ رَبّي**»،فجاء الوحي من اللوح المحفوظ: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾وأنزل الله:﴿ قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّيٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴾ إلى قوله:﴿ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾«الزمر: ٦٤-٦٦» (١)

فكان في تلك السورة « حسم هذه الشبهة، وقطع الطريق على المحاولة، والمفاصلة الحاسمة بين عبادة وعبادة، ومنهج ومنهج، وتصور وتصور، وطريق وطريق.. نزلت هذه السورة. بهذا الجزم. وبهذا التوكيد. وبهذا التكرار. لتنهي كل قول، وتقطع كل مساومة وتفرق نهائياً بين التوحيد والشرك، وتقيم المعالم واضحة، لا تقبل المساومة والجدل في قليل ولا كثير »(٢)

(١) الطبري، محمد بن جرير. جامع البيان في تأويل القرآن، مرجع سابق، (٢٣١/٣٠).
(٢) قطب، سيد. في ظلال القرآن، مرجع سابق، (٣٩٩١/٦).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴿٦﴾ ﴾ ﴿الكافرون﴾.

« والتعليم الرباني بشأن هذه المفاوضة يتضمن أن الإيمان والإسلام لا يقبلان التبعيض، لأنهما الجامعان لدين الله الذي اصطفاه لعباده، ودين الله حق كله، فلا يقبل التبعيض و الاختلاط والامتزاج بالباطل، ومتى امتزج بالباطل تنجس فلم يبق طهوراً ولا طاهراً، ويمسي غير مقبول عند الله عز وجل »[١]

إذن « فلا ترقيع، ولا أنصاف حلول، ولا التقاء في منتصف الطريق...مهما تزيت الجاهلية بزي الإسلام، أو ادعت هذا العنوان!...

وبغير هذه المفاصلة، سيبقى الغبش، وتبقى المداهنة، ويبقى اللبس، ويبقى الترقيع، والدعوة إلى الإسلام لا تقوم على هذه الأسس المدخولة الواهنة الضعيفة. إنها لا تقوم إلا على الحسم، والصراحة، والشجاعة، والوضوح..»[٢]

ومن هنا فإن ما وقع من بعض المسلمين من اعتقادهم أن هناك ديناً حقاً غير الإسلام؛ أمرٌ من الخطورة بمكان.

ويمكن توضيح خطورة هذه القضية من الناحية العقدية من خلال الأمور التالية:

١- إن من أصول الاعتقاد في الإسلام المعلومة من الدين بالضرورة، والتي أجمع عليها المسلمون أنه لا يوجد على وجه الأرض دين حق سوى دين الإسلام، وأنه خاتمة الأديان، وناسخ لجميع ما قبله من الأديان والملل والشرائع، فلم يبق على وجه الأرض دين يُتعبد اللهُ به سوى الإسلام.

---

(١) الميداني، عبد الرحمن حسن. معارج التفكر ودقائق التدبر، مرجع سابق، (٧٠٦/١).

(٢) قطب، سيد. في ظلال القرآن، مرجع سابق، (٣٩٩٣/٦).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ ﴿آل عمران﴾، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ ﴿آل عمران: ١٩﴾.

فالدين الذي أرسل الله جل وعلا به جميع الرسل عليهم السلام هو الإسلام، الذي هو عبادة الله وحده. قال تعالى في بيان دعوة الرسل ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾ ﴿الأنبياء﴾، **فالرسل جميعاً متفقون في الدعوة إلى أصل الدين، الذي هو الانقياد لله تعالى بالطاعة والعبادة. فالإسلام إذن دين الأنبياء جميعاً من أولهم إلى آخرهم وإن تنوعت شرائعهم وتعددت مناهجهم، كما قال تعالى:** ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ ﴿المائدة:٤٨﴾. **وقال ﷺ: « الأنبياء أخوة لِعَلَّات، أمهاتهم شتى، ودينهم واحد ».** (١)

ففي هذه الحديث دلالة واضحة على أن أصل دين الأنبياء واحد، وهو التوحيد، وأن شرائعهم متعددة؛ فما يصلح للشرائع السابقة التي نزلت لأقوام معينين في رُقعة من الأرض محدودة، لا يصلح للشريعة العامة، التي أنزلت للناس جميعاً إلى أن تقوم الساعة.

ولقد شرع الله جل وعلا هذا الدين منذ أن نزل آدم عليه السلام إلى هذه الأرض، وكلما انحرف أبناء آدم عن هذا الدين أرسل الله إليهم رسلاً يهدونهم إليه، فكان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة، حتى أذن الله سبحانه بتكون الأمة الواحدة من البشرية جمعاء، فبعث محمداً ﷺ إلى الناس كافة، وجعله خاتم المرسلين، فليس بعد القرآن كتاب منزل، ولا بعد محمد ﷺ رسول مرسل، فبرسالته ختمت الرسالات السماوية، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾ ﴿الأحزاب﴾، **وبرسول الله ﷺ اكتمل بناء**

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل. **صحيح البخاري**، مرجع سابق، (٣/١٢٧٠)، رقم الحديث (٣٢٥٩)

الدعوة الإسلامية، قال ﷺ « إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجلٍ بنى بيتاً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له، ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة؟ قال: فأنا اللبنة، وأنا خاتم النبيين ».(١)

فالأنبياء عليهم السلام سعوا في هداية أقوامهم إلى الرشاد، فأسهم كل واحد منهم بوضع لبنة في بناء الدعوة إلى الله، حتى إذا توقف نزول الوحي من السماء بعد عيسى عليه السلام، وفشا الجهل وعمت الظلمات، وأصبحت البشرية جميعاً بحاجة إلى من يأخذ بيدها نحو النور والهداية، عندها أكمل الله جل وعلا بمحمد ﷺ ذلك البناء، فبعثه إلى الناس كافة.

٢- من أصول الاعتقاد في الإسلام أن كتاب الله تعالى القرآنَ الكريم، هو آخر كتب الله نزولاً وأقربهم عهداً برب العالمين، وأنه ناسخ لكل كتاب أنزل من قبل من التوراة والإنجيل وغيرها، وأنه مهيمن عليها، فلم يبق كتاب منزل يتعبد الله به سوى القرآن الكريم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾ ﴿المائدة: ٤٨﴾

٣- يجب الإيمان بأن التوراة والإنجيل قد نسخا بالقرآن الكريم، وأنه قد لحقهما التحريف والتبديل بالزيادة والنقصان، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ﴾ ﴿المائدة: ١٣﴾،
وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ ﴿البقرة﴾،
وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ

(١) المرجع السابق، (٣/١٢٠٠)، رقم الحديث(٣٣٤٢).

مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ ﴿آل عمران﴾

ولهذا فما كان منها صحيحاً فهو منسوخ بالإسلام، وما سوى ذلك فهو محرَّف أو مبدَّل، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه غضب حين رأى مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه صحيفة فيها شيءٌ من التوراة، وقال له: « أفي شك أنت يا ابن الخطاب ؟! ألم آت بها بيضاء نقية ؟ لو كان أخي موسى حياً ما وسعه إلا اتباعي ». [١]

٤- ومن أصول الاعتقاد في الإسلام أن نبينا ورسولنا محمداً ﷺ هو خاتم الأنبياء والمرسلين، كما قال تعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾ ﴿الأحزاب﴾، فلم يبق رسول يجب اتباعه سوى محمد ﷺ، ولو كان أحد من أنبياء الله ورسله حياً لما وسعه إلا اتباعه ﷺ، ولا يسع أتباعهم أيضاً إلا ذلك، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ ﴿آل عمران﴾، ونبي الله عيسى عليه السلام إذا نزل في آخر الزمان يكون تابعاً لمحمد ﷺ وحاكماً بشريعته [٢].

وعند الحديث عن هذا المعلم الدعوي المهم تبرز مسألة دعوية مهمة.

فالحديث عن عدم المداهنة ووجوب المفاصلة إنما يكون في المنهج والمبادىء، فلا يقبل المسلم التنازل عن مقدار أنملة فيما يتعلق بثوابت الدين ومسلماته.

ومن البدهي أن هذا لا يعني الغلظة والقسوة مع الكفار في دعوتهم، ولا يعني

---

(١) الشيباني، أحمد بن حنبل. المسند، مرجع سابق،(٣٤٩/٢٢)، رقم الحديث (١٥١٥٦). وحسنه الألباني في إرواء الغليل (١٥٨٩).

(٢) انظر فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، من مطبوعات الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء، (٢٧٠/١٢).

ظلمهم، ولا الاعتداء عليهم دون وجه حق، كما لا يعني عدم الاجتهاد في التأثير عليهم، ودعوتهم على كل المستويات قادة وأتباعاً.

وفي هذا الجزء ميزان واضح لهذه القضية، فكما أن الآيات جاءت واضحة وصريحة في عدم المداهنة والمفاوضة على أصول الدين ومسلماته. فهي أيضاً جاءت واضحة المعالم في استهداف القادة، والزعماء، والشخصيات المؤثرة في المجتمع بالدعوة إلى الله، بأرق أسلوب، وأعذب عبارة:

﴿ هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذۡ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلۡ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهۡدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخۡشَىٰ ﴿١٩﴾ ﴾ «النازعات»

وسيأتي مزيد إيضاح لهذه المسألة في المبحث التالي من هذا الفصل.

المبحث الثالث: العناية بدعوة القادة والمؤثرين في المجتمع:

استهداف الشخصيات المؤثرة في المجتمع بتوجيه الدعوة إليهم أمر تقتضيه الحكمة والمصلحة؛ لأنه بإسلامهم وصلاحهم يصلح خلقٌ كثيرٌ.

ولقد كان الرسول ﷺ في مكة يدعو الله أن يسلم أحد العمرين، عمر بن الخطاب أو عمرو بن هشام؛ لتتقوى الدعوة ويصلب عودها:

فقد روى ابن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: « **اللهم أعز الإسلام بأحب هذين الرجلين إليك، بأبي جهل أو بعمر بن الخطاب** ». قال: وكان أحبهما إليه عمر.[١]

ولما أسلم عمر رضي الله عنه كان إسلامه فتحاً، يقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: إن إسلام عمر كان فتحاً، وإن هجرته كانت نصراً، وإن إمارته كانت رحمة، والله ما استطعنا أن نصلي عند الكعبة ظاهرين؛ حتى أسلم عمر. [٢]

ومن هنا حرص الرسول ﷺ على دعوة القادة والزعماء، لعله أن يهدي قلوبهم:

عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: « بينا رسول الله ﷺ يناجي عُتبة بن ربيعة وأبا جهل بن هشام والعباس بن عبد المطلب، **وكان يتصدّى لهم كثيراً، ويَعرض عليهم أن يؤمنوا**، فأقبل إليه رجل أعمى يقال له عبد الله بن أمّ مكتوم، يمشي وهو يناجيهم، فجعل عبد الله يستقرئ النبيّ ﷺ آية من القرآن، وقال: يا رسول الله، علمني مما علَّمك الله، فأعرض عنه رسول الله ﷺ، وعبس في وجهه

---

(١) الترمذي، محمد بن عيسى. **سنن الترمذي**، مرجع سابق، (٦١٧/٥)، رقم الحديث(٣٦٨١). وصححه الألباني في صحيح الترمذي (٢٩٠٧).

(٢) الهيثمي، علي بن أبي بكر. **مجمع الزوائد**، مرجع سابق، (٦٢/٩).

وتوّلى، وكره كلامه، وأقبل على الآخرين؛ فلما قضى رسول الله ﷺ، وأخذ ينقلب إلى أهله، أمسك الله بعض بصره، ثم خَفَق برأسه، ثم أنزل الله ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ ﴾.[١]

كان النبي ﷺ جالسا مع رجال من قريش، **فيهم عتبة بن ربيعة وناس من وجوه قريش**، وهو يقول لهم: أليس حسناً أن جئتُ بكذا وكذا ؟ فيقولون: بلى والدماء. فجاء ابن أم مكتوم - وهو مشتغل بهم - فسأله عن شيء؛ فأعرض عنه.[٢]

وقَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: لَمَّا انْتَهَى رَسُولُ اللّه ﷺ إلَى الطّائف، **عَمَدَ إلَى نَفَرٍ مِنْ ثَقِيف، هُمْ يَوْمَئِذٍ سَادَةُ ثَقِيف وَأَشْرَافُهُمْ**، وَهُمْ إخْوَةٌ ثَلَاثَةٌ عَبْدُ يَالَيْل بْنُ عَمْرِو بْنِ عُمَيْرٍ، وَمَسْعُودُ بْنُ عَمْرِو بْنِ عُمَيْرٍ، وَحَبِيبُ بْنُ عَمْرِو بْنِ عُمَيْرِ بْنِ عَوْفِ بْنِ عُقْدَةَ بْنِ غِيرَةَ بْنِ عَوْفِ بْنِ ثَقِيف، وَعِنْدَ أَحَدِهِمْ امْرَأَةٌ مِنْ قُرَيْشٍ مِنْ بَنِي جُمَحٍ، فَجَلَسَ إلَيْهِمْ رَسُولُ اللّه ﷺ؛ فَدَعَاهُمْ إلَى اللّه، وَكَلّمَهُمْ بِمَا جَاءَهُمْ لَهُ مِنْ نُصْرَتِه عَلَى الْإِسْلَامِ، وَالْقِيَامِ مَعَهُ عَلَى مَنْ خَالَفَهُ مِنْ قَوْمِه..[٣]

وقَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: فَكَانَ رَسُولُ اللّه ﷺ كُلّمَا اجْتَمَعَ لَهُ النّاسُ بِالْمَوْسِمِ، أَتَاهُمْ يَدْعُو الْقَبَائِلَ إلَى اللّه وَإلَى الْإِسْلَامِ، وَيَعْرِضُ عَلَيْهِمْ نَفْسَهُ، وَمَا جَاءَ بِه مِنْ اللّه مِنْ الْهُدَى وَالرّحْمَةِ، **وَهُوَ لَا يَسْمَعُ بِقَادِمٍ يَقْدَمُ مَكّةَ مِنْ الْعَرَبِ، لَهُ اسْمٌ وَشَرَفٌ، إلّا تَصَدّى لَهُ؛ فَدَعَاهُ إلَى اللّه، وَعَرَضَ عَلَيْهِ مَا عِنْدَهُ**.[٤]

---

(١) الطبري، محمد بن جرير. **جامع البيان في تأويل القرآن**، مرجع سابق، (٥١/٣٠).

(٢) الزهري، محمد بن سعد. **الطبقات الكبرى**، ط١: ١٩٦٨، دار صادر، بيروت، (٢٠٨/٤)

(٣) ابن هشام، عبد الملك. **السيرة النبوية**، مرجع سابق، (٦٠/٢)

(٤) المرجع سابق، (٦٧/٢).

وفي هذا الجزء ذكر الله قصة موسى عليه السلام حين أرسله الله إلى فرعون، فعرض دعوته عليه، وتلطف معه غاية اللطف لقبول دعوته:

﴿ هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذۡ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلۡ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهۡدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخۡشَىٰ ﴿١٩﴾ ﴾ ﴿النازعات﴾

وفي قصة عبد الله بن أم مكتوم المشار إليها قبل قليل، نرى هذا المنهج الدعوي واضحاً جلياً، حيث كان رسول الله ﷺ حريصاً غاية الحرص على إسلام بعض زعماء قريش، إلى حدٍّ أنه شُغِل عن ابن أم مكتوم وعبس في وجهه.

وقد يستشكل البعض الاستدلال بهذه القصة على دعوة القادة والمؤثرين في المجتمع، حيث إن الله عاتب نبيه ﷺ على إعراضه عن ابن أم مكتوم.

ولإزالة هذا الاستشكال أقول: إن العتاب في السورة لم يكن على العناية بتوجيه الدعوة إلى هؤلاء الزعماء، إنما كان موجهاً للإعراض عن السائل الراغب في العلم بسبب دعوة غيره.

أما هذا المبدأ فقد كان نهجاً دعوياً مستقراً في دعوته ﷺ كما سبق.

المبحث الرابع: الموازنة بين مراتب المصالح:

قد تتعارض عند الإنسان مصالح متعددة، كل منها له أهميته وحاجته، ويتعذر الجمع بينها في وقت واحد، فحينئذٍ يحتاج الإنسان لإعمال ميزان التفاضل بين تلك المصالح، فيحقق الأهم منها ولو كان في تحقيقه تأخير أو تفويت لتحقق أمر مهم.

وتنمية هذا الحس جاءت به آيات سورة عبس في قوله تعالى: ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ ۝٤ أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦ وَمَا عَلَيۡكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسۡعَىٰ ۝٨ وَهُوَ يَخۡشَىٰ ۝٩ فَأَنتَ عَنۡهُ تَلَهَّىٰ ۝١٠ ﴾

فينبغي للإنسان حين يتعارض عنده أمران مهمان؛ أن يمعن النظر فيهما ويدققه، ليقدم أولاهما بالتقديم، فالأهم أولى بالتقديم من المهم.

قال ابن عاشور - رحمه الله -: « والعبرة من هذه الآيات أن الله تعالى زاد نبيه ﷺ علماً عظيماً من الحكمة النبوية، ورفعَ درجة علمه إلى أسمى ما تبلغ إليه عقول الحكماء رعاة الأمم، فنبهه إلى أن في معظم الأحوال أو جميعها نواحيَ صلاح ونفع قد تخفى لقلة اطرادها، ولا ينبغي ترك استقرائها عند الاشتغال بغيرها، ولو ظنه الأهم »[١]

وفي هذه الآيات ما يدل على القاعدة المشهورة، أنه « لا يترك أمر معلوم لأمر موهوم، ولا مصلحة متحققة لمصلحة متوهمة ».[٢]

وفي مجال الدعوة والتربية يحتاج الإنسان إلى إعمال هذه القاعدة كثيراً، فحينما يبدأ الداعية أو المربي في بيئة معينة تكثر فيها الأخطاء، والمخالفات

---

(١) ابن عاشور، محمد الطاهر. تفسير التحرير والتنوير، مرجع سابق، (٣٠ /١٠٩).

(٢) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مرجع سابق، (٩١١).

الشرعية، فليس من الحكمة في الدعوة أن يسير بطريقة عشوائية، دون ترتيب الأولويات، وبالتالي قد يفسد أكثر مما يصلح، بل لا بد من التأني والتأمل في المصالح والمفاسد، فالحكمة هي أن يعرف خير الخيرين فيقدمه، ولو بفوات ما هو دونه من الخير، وأن يعرف شر الشرين فيدفعه، ولو بارتكاب ما هو أقل شرّاً.

وثمة تطبيقات عملية لهذه القاعدة في السنة النبوية:

عن عائشة رضي الله عنها،أن رسول الله ﷺ قال: « **يَا عَائِشَةُ، لَوْلاَ أَنَّ قَوْمَكِ حَدِيثُو عَهْدٍ بِشِرْكٍ؛ لَهَدَمْتُ الْكَعْبَةَ فَأَلْزَقْتُهَا بِالأَرْضِ، وَجَعَلْتُ لَهَا بَابَيْنِ، بَابًا شَرْقِيًّا، وَبَابًا غَرْبِيًّا، وَزِدْتُ فِيهَا سِتَّةَ أَذْرُعٍ مِنَ الْحِجْرِ، فَإِنَّ قُرَيْشًا اقْتَصَرَتْهَا حَيْثُ بَنَتِ الْكَعْبَةَ** ». وفي لفظ للبخاري ومسلم: « **فأخاف أن تنكر قلوبهم** »[١]

وعن جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: كُنَّا فِي غَزَاةٍ فِي جَيْشٍ، فَكَسَعَ[٢] رَجُلٌ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِنْ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ: يَا لَلْأَنْصَارِ. وَقَالَ الْمُهَاجِرِيُّ: يَا لَلْمُهَاجِرِينَ. فَسَمِعَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: « **مَا بَالُ دَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ** ». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَسَعَ رَجُلٌ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِنْ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ: **دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُنْتِنَةٌ**. فَسَمِعَ بِذَلِكَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ؛ فَقَالَ: فَعَلُوهَا، أَمَا وَاللَّهِ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ. فَبَلَغَ النَّبِيَّ ﷺ؛ فَقَامَ عُمَرُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: « **دَعْهُ لَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ** »[٣]

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل. صحيح البخاري، مرجع سابق، (٥٧٣/٢) رقم الحديث(١٥٠٧).

(٢) أي ضَرَب دُبُرَه بيَده. ابن الأثير، مجد الدين. النهاية في غريب الحديث،مرجع سابق، (٣١٣/٤).

(٣) المرجع السابق، (١٨٦١/٤) رقم الحديث (٤٦٢٢)

وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنهما، قَالَ: « لَمَّا قَسَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ غَنَائِمَ هَوَازِنَ بَيْنَ النَّاسِ بِالْجِعْرَانَةِ، قَامَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ، فَقَالَ: اعْدِلْ يَا مُحَمَّدُ، فَقَالَ: « **وَيْلَكَ وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ، لَقَدْ خِبْتُ وَخَسِرْتُ إِنْ لَمْ أَعْدِلْ** »، قَالَ: فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَا أَقُومُ فَأَقْتُلَ هَذَا الْمُنَافِقَ، قَالَ: **مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ تَتَسَامَعَ الْأُمَمُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ** ».[١]

وهذا أمر دقيق لا يُهدى إليه إلا من وفقه الله وسدده، وليس هو باجتهاد الإنسان وذكائه فحسب.

قال علي رضي الله عنه:

إذا لم يكن عون من الله للفتى فأكثر ما يجني عليه اجتهاده[٢]

وكذلك مما يفيد في هذا الجانب، أن يستنير الداعية والمربي باستشارة من هو أرسخ منه قدماً، وأكثر منه علماً وتجربة، حتى يصل إلى مبتغاه، ويحقق مقصوده.

(١) الشيباني، أحمد بن حنبل. **المسند**، مرجع سابق، (٣/٣٥٤) رقم الحديث (١٤٨٦٢)

(٢) زرزور، نعيم. **ديوان علي بن أبي طالب**، ١٤٢١، دار الكتب العلمية، بيروت، (٦٣).

المبحث الخامس: الأمل في الفرج بعد الكرب:

المؤمن الواثق بربه، يعلم يقيناً أن الله تعالى هو مفرج الكروب، فكلما اشتدت به الكروب، وضاقت به الحيل، وتقطعت به السبل؛ فليعلم أن فرج الله آت لا محالة.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾ ﴾ «يوسف»

وجاء في حديث ابن عباس رضي الله عنهما: « **وَأَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا** ».[1]

قال ابن النحوي - رحمه الله - :

اشتَدِّي أزمَةُ تَنفَرِجي قَد آذَنَ لَيلُكِ بِالبَلَجِ

فلا ينبغي أن ييأس المؤمن؛ بل لا بد أن يحسن الظن بالله تعالى، ويتفاءل بقرب انكشاف الهموم، وتنفيس الكروب.

فالنظرة المتفائلة للكون والحياة؛ تنعكس ايجابياً على حياة الإنسان وتعامله مع الظروف المحيطة به.

وهذا الخلق الكريم جاء تقريره في هذا الجزء، ففي سورة الضحى. التي نزلت بعد انقطاع الوحي فترة، حتى شق ذلك على رسول الله ﷺ. جاءت البشرى للرسول ﷺ بأن الله سيعطيه حتى يرضيه: ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴿٥﴾ ﴾ «الضحى».

قال الآلوسي - رحمه الله -: « عِدَةٌ كريمة شاملة لما أعطاه الله عز وجل

---

(١) الشيباني، أحمد بن حنبل. **المسند**، مرجع سابق، (٣٠٧/١) رقم الحديث (٢٨٠٤) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٨٠٦)

في الدنيا من كمال النفس، وعلوم الأولين والآخرين، وظهور الأمر، وإعلاء الدين بالفتوح الواقعة في عصره ﷺ، وفي أيام خلفائه ﷺ وغيرهم من الملوك الإسلامية، وفشو الدعوة والإسلام في مشارق الأرض ومغاربها »[١].

وفي الآية ملحظٌ له دلالة واضحة على ما سبق، وهو « حذف المفعول الثاني لـ﴿ يُعْطِيكَ ﴾ ، ليعمّ كل ما يرجوه ﷺ من خير لنفسه ولأمته، فكان مفاد هذه الجملة تعميم العطاء »[٢].

وفي سورة الشرح، جاء تقرير هذا الأمر وتأكيده: ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب ﴾

عن الحسن- رحمه الله - قال: كانوا يقولون: لا يغلب عسر واحد يسرين اثنين...

ومعنى هذا: أن العسر مُعرَّف في الحالين، فهو مفرد، واليسر مُنكَّر فتعدد؛ ولهذا قال: «لن يغلب عسر يسرين»، يعني قوله: ﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ فالعسر الأول عين الثاني، واليسر تعدد... [٣]

وهاهنا لفتة تربوية مهمة، وهي عدم استبطاء النصر، واستعجال الفرج، فإنه قد جرت سنة الله تعالى بالابتلاء والتمحيص للمؤمنين، ثم يكون النصر بعد ذلك.

فهذا يوسف عليه السلام ابتلي بعدة ابتلاءات، بدءاً من إخوته، ثم في بيت العزيز، وبعده السجن، ثم بعد كل ذلك مُكِّن له.

---

(١) البغدادي، محمود الآلوسي. **روح المعاني**، مرجع سابق، (٣٠/١٩٠).

(٢) ابن عاشور، محمد الطاهر. **تفسير التحرير والتنوير**، مرجع سابق، (٣٠ /٣٩٨)،

(٣) الدمشقي، إسماعيل بن كثير. **تفسير القرآن العظيم**، مرجع سابق، (٤/٦٨٠).

ورسول الله ﷺ ابتلي أشد الابتلاء، وأوذي في نفسه وأصحابه، وعاداه أقرب الناس إليه، وكذَّبه قومه، ونعتوه بأقبح الأوصاف، ونفَّروا الناس عن دينه، وحالوا بينهم وبينه بكل سبيل قدروا عليها، ثم أُخرج من وطنه أحبِّ البلاد إلى قلبه، ثم دارت الأيام بينه وبين قومه، ينال منهم وينالون منه، ورأى أصحابه ﷺ يقتلون ويؤسرون، أو تصيبهم الجراح، وابتُلي بالمنافقين الذين يهدمون المجتمع من داخله، وباليهود الذين لا عهد لهم، ولا ذمة، ولا أمان. ثم بعد ذلك كله كانت العاقبة والنصر له؛ فدخل مكة فاتحاً، ودانت له الجزيرة كلُّها.

ثم أكمل أصحابه ذلك من بعده؛ فبلغ دينه مشارق الأرض ومغاربها، وسيدخل كل بيت من مدر أو وبر أو حجر أو غير ذلك...

إذن فالابتلاء سنة ماضية في الأنبياء والدعاة والمصلحين، لكن يعقبه النصر والتمكين بإذن الله. وقد سئل الشافعي - رحمه الله -: أيما أفضل للرجل أن يمكن، أو يبتلى؟ فقال: لا يمكن حتى يبتلى.[١]

ومما يروى عن الشافعي – رحمه الله - أنه قال:

صَبرا جَميلا ما أقرَبَ الفَرجا مَن رَاقَب الله في الأمور نَجَا

مَـن صَـدَق الله لَم يَنَلْه أذَى وَمَـن رَجَـاه يَكون حَيثُ رَجَا[٢]

(١) الدمشقي، محمد بن أبي بكر، زاد المعاد في هدي خير العباد، ط١٤: ١٤٠٧، مؤسسة الرسالة، بيروت، (١٤/٣)

(٢) البيهقي، أحمد بن الحسين. مناقب الشافعي، ط١: ١٣٩٠-١٩٧٠، دار التراث، القاهرة، (٣٦٢/٢).

وأنشد أبو حاتم السجستاني - رحمه الله -:

إذا اشتملت على اليأس القلوبُ وضاق لما به الصدر الرحيبُ

وأوطأت المكاره واطمأنت وأرست في أماكنها الخطوبُ

ولم تر لانكشاف الضر وجها ولا أغنى بحيلته الأريبُ

أتاك على قُنوط منك غَوثٌ يمن به اللطيف المستجيبُ

وكل الحادثات إذا تناهت فموصول بها الفرج القريب[1]

(١) الزمخشري، محمود بن عمر. **ربيع الأبرار**، ١٤٠٠ -١٩٨٠، دار إحياء التراث الإسلامي، بغداد، (٥٠٩/٣).

الفصل الخامس

معالم التربية الأخلاقية

تمهيد

الأخلاق هي أبرز مقومات التربية، بل هي مظهر التربية وثمرتها المباشرة. وبقدر ما تكون أخلاق الإنسان حسنة، فإنه يدل على التربية الرفيعة التي تلقاها.

أما إذا كانت أخلاقه سيئة فإنه يدل على فشل تربيته، أو أنه لم ينل منها ما يجعله إنساناً صالحاً جديراً بالثقة والاحترام...

والأخلاق تستمد من الشرع، فما حسّنه الشرع كان حسناً وفضيلة، وما قبّحه الشرع كان قبيحاً ورذيلة، وليست هي رد فعل لغريزة في الإنسان، أو انعكاساً لوضع المجتمع، وليست من وضع الطبقة المستغلة فيه. ولهذا فإن الأخلاق في الإسلام ثابتة وليست متغيرة من عصر إلى آخر، فالحق لا يصبح باطلاً، والفضيلة لا تنقلب رذيلة. وفطرة الإنسان وخصائصه لم تتغير منذ أن وجد في الأرض...

وفي هذا الزمن المادي الذي نعيش فيه، تعاني المجتمعات الإسلامية من أزمة أخلاقية خانقة، فقد سادت المصالح الشخصية عند كثير من الناس على القيم والأخلاق، وضعفت أخلاق الإسلام وابتعد عنها كثير من الناس.

ولا أودُّ أن أكون متشائماً أو صاحب نظرة سوداوية؛ لكن الواقع الأخلاقي للمجتمعات الإسلامية المعاصرة يحتاج إلى جهود عظيمة ومضنية، من قبل المربين والدعاة والمصلحين؛ لتعود للأمة أخلاقها الإسلامية الفاضلة، التي كانت سمةً للمجتمعات الإسلامية السابقة.

ومن خلال دراسة التربية الأخلاقية في هذا الجزء تبرز لنا المعالم التالية فيه:

١- حسن الخطاب والتلطف مع الآخرين.

٢- الجدية.

٣- اغتنام الأوقات.

٤- الحذر من الاغترار بالدنيا وزخرفها.

المبحث الأول: حسن الخطاب والتلطف مع الآخرين [١]:

ينبغي للمسلم أن يكون حسن الخطاب، لطيف العبارة مع غيره، فحُسْن المنطق وانتقاء الكلام من أرفع الآداب الشرعية، التي يتأدب بها المسلم في محادثته لغيره.

وعندما نتأمل في آيات هذا الجزء، نرى هذا التوجيه الرباني في أمر الله تعالى لموسى عليه السلام أن يخاطب به فرعون؛ فمع أن الله وصفه بالطغيان. وهو تجاوز الحد في الكفر. إلا أنه أمر موسى عليه السلام أن يخاطبه بلطف في العبارة، ولينٍ في القول: ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾﴾ ﴿النازعات﴾.

وحتى في موضع العتاب على الخطأ، فثمة أساليب تؤدي الغرض من العتاب، في عبارة لطيفة، ومنطق حسن، وهذا ما نلمسه واضحاً جلياً، في عتاب الله تعالى لنبيه ﷺ في قصة ابن أم مكتوم المشهورة، حين أعرض عنه رسول الله ﷺ لانشغاله بدعوة بعض المشركين، فجاء العتاب الرباني على نحوٍ من اللطف والحُسْن:

﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴿٣﴾ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ﴿٤﴾ أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ﴿٥﴾ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ﴿٦﴾ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخْشَىٰ ﴿٩﴾ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ﴿١٠﴾﴾ ﴿عبس﴾

فلم يأتِ العتاب بصيغة المخاطب لِمَ عبستَ في وجهه؟ وهو الذي جاءك ساعياً طالباً زكاة نفسه وطهارتها !! لا. بل جاء العتاب « على أسلوب الغيبة ليكون أول ما يقرع سمعه؛ باعثاً على أن يترقب المعنيَّ من ضمير الغائب، فلا يفاجئه العتاب، وهذا تلطف من الله برسوله ﷺ؛ ليقع العتاب في نفسه مدرجاً، وذلك أهون وقعاً... ثم جيء بضمائر الخطاب على طريقة الالتفات »[٢]

---

(١) يمكن مراجعة مقال «لنتعلم كيف نتكلم»: مجلة البيان، المنتدى الإسلامي، لندن، العدد (٢٠٧)، ص(٣٦-٤٢). ويمكن سماع محاضرة قيمة للشيخ ناصر العمر بعنوان: «وهدوا إلى الطيب من القول»

(٢) ابن عاشور، محمد الطاهر. تفسير التحرير والتنوير، مرجع سابق، (٣٠ /١٠٥).

وعندما نعى الله تعالى نبيه ﷺ إلى نفسه، كان ذلك النعي غاية في اللطف والحسن، وخفة الوقع على النفس:

عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: لما نزلت ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾، دعا رسول الله ﷺ فاطمة. قال: « **نعيت إلي نفسي** ».[١]

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: « مَثَلٌ ضُرب لمحمد ﷺ نعيت إليه نفسه ».

وقال: هذه السورة عَلَمٌ وحَدٌّ حدّه الله لنبيه ﷺ، ونعى له نفسه. أي: إنك لن تعيش بعدها إلا قليلاً.

وقال قتادة - رحمه الله -: والله ما عاش بعد ذلك إلا قليلاً؛ سنتين، ثم توفي ﷺ.[٢]

فهذا اللطف في المنطق والحسن في العبارة؛ مما نحتاج إليه كثيراً في مجتمعاتنا، حين نتعامل مع الآخرين. فلا بد أن يكون نهجاً يتربى عليه الصغير، ويحافظ عليه الكبير..

وإنه ليسوؤك جداً أن ترى لغة الحوار والتفاهم بين كثير من الناس؛ هي السباب والشتائم، بعيداً عن طيِّب الكلام ولطيف العبارة.

وحين نطالع سيرة المعلم الأول ﷺ نرى من ذلك عجباً، في لطف حديثه وحسن منطقه ﷺ، وسأكتفي ببعض الأمثلة على ذلك، وإلا فحديثه ﷺ ومنطقه كله غاية في الحسن والأدب:

- قال أنس رضي الله عنه: « خَدَمْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَشْرَ سِنِينَ؛ فَمَا قَالَ لِي أُفٍّ، وَلَا لِمَ صَنَعْتَ، وَلَا أَلَّا صَنَعْتَ »[٣].

---

(١) التبريزي، محمد بن عبد الله. **مشكاة المصابيح**، ط٣: ١٤٠٥، المكتب الإسلامي، بيروت، (٢٩٩/٣)، رقم الحديث (٥٩٦٩). وصححه الألباني في المشكاة.

(٢) الطبري، محمد بن جرير. **جامع البيان في تأويل القرآن**، مرجع سابق، (٣٣٥/٣٠).

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل. **صحيح البخاري**، مرجع سابق، (٢٢٤٥/٥) رقم الحديث (٥٦٩١)

• وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِك ﷺ قَالَ: « خَدَمْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَشْرَ سِنِينَ؛ فَمَا أَمَرَنِي بِأَمْرٍ فَتَوَانَيْتُ عَنْهُ أَوْ ضَيَّعْتُهُ؛ فَلَامَنِي؛ فَإِنْ لَامَنِي أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ إِلَّا قَالَ: **دَعُوهُ؛ فَلَوْ قُدِّرَ، أَوْ قَالَ: لَوْ قُضِيَ أَنْ يَكُونَ؛ كَانَ** »[١]

• وعن عُمَرَ بْنَ أَبِي سَلَمَةَ ﷺ يَقُولُ: كُنْتُ غُلَامًا فِي حَجْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَكَانَتْ يَدِي تَطِيشُ فِي الصَّحْفَةِ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « **يَا غُلَامُ، سَمِّ اللَّهَ، وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ...** »[٢]

وفي لفظ « **يا عمرُ يا بُنيَّ...** الحديث »[٣]

• عن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا: « **يَا عَائِشَ، هَذَا جِبْرِيلُ يُقْرِئُكِ السَّلَامَ**، فَقُلْتُ: وَعَلَيْهِ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، تَرَى مَا لَا أَرَى ».[٤]

• وورد نداؤه ﷺ لعائشة رضي الله عنها بهذا الاسم المرخَّم في أحاديث كثيرة. [٥]

• عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ - رضي الله عنهما - أَنَّهُ قَالَ: « كُنْتُ رَدِيفَ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: «**يَا غُلَامُ أَوْ يَا غُلَيِّمُ أَلَا أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهِنَّ**....الحديث »[٦]

---

(١) الشيباني، أحمد بن حنبل. **المسند**، مرجع سابق، (٢٣١/٣) رقم الحديث (١٣٤٤٢) وصححه الألباني في ظلال الجنة في تخريج السنة (٣٥٥)

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل. **صحيح البخاري**، مرجع سابق، (٢٠٥٦/٥) رقم الحديث (٥٠٦١)

(٣) الكوفي، محمد بن أبي شيبة. **مصنف ابن أبي شيبة**، ط١: ١٤٠٩، مكتبة الرشد، الرياض، (٣٢٦/٥) رقم الحديث (٢٦٥٥٦)

(٤) البخاري، محمد بن إسماعيل. **صحيح البخاري**، مرجع سابق، (١٣٧٤/٣) رقم الحديث (٣٥٥٧)

(٥) انظر على سبيل المثال: صحيح مسلم (٦٧٠/٢)، رقم الحديث (٩٧٤). المعجم الكبير للطبراني (٦٨/٢٣) رقم الحديث (١٣٨). المستدرك على الصحيحين (١٤٢/٤) رقم الحديث (٧١٦٨). شعب الإيمان للبيهقي (٤٤٩/٥) رقم الحديث (٧٢٣٩)، سنن الدارمي(٣٩٢/٢) رقم الحديث (٢٧٢٦)

(٦) البخاري، محمد بن إسماعيل. **صحيح البخاري**، مرجع سابق، (٣٠٧/١) رقم الحديث (٢٨٠٤)

• عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: كُنْتُ أَرْعَى غَنَمًا لِعُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ، فَمَرَّ بِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ: «**يَا غُلَامُ هَلْ مِنْ لَبَنٍ؟**» قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ؛ وَلَكِنِّي مُؤْتَمَنٌ. قَالَ: **فَهَلْ مِنْ شَاةٍ لَمْ يَنْزُ عَلَيْهَا الْفَحْلُ؟** فَأَتَيْتُهُ بِشَاةٍ، فَمَسَحَ ضَرْعَهَا، فَنَزَلَ لَبَنٌ فَحَلَبَهُ فِي إِنَاءٍ، فَشَرِبَ وَسَقَى أَبَا بَكْرٍ، ثُمَّ قَالَ لِلضَّرْعِ: **اقْلِصْ**، فَقَلَصَ. قَالَ: ثُمَّ أَتَيْتُهُ بَعْدَ هَذَا، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، عَلِّمْنِي مِنْ هَذَا الْقَوْلِ، قَالَ: فَمَسَحَ رَأْسِي، وَقَالَ: « **يَرْحَمُكَ اللَّهُ، فَإِنَّكَ غُلَيِّمٌ مُعَلَّمٌ** »[1]

فهذه الأمثلة حري بكل مسلم أن يتأملها، ويتعلم منها الذوق الرفيع في الحديث، والأسلوب الراقي في الخطاب مع جميع الناس، وفي جميع الأحوال.

(١) المرجع السابق، (٣٧٩/١) رقم الحديث (٣٥٩٨)

المبحث الثاني: الجدية:

من أعظم الأخلاق التي يربي عليها الإسلام أتباعه؛ أن يكونوا جادِّين في حياتهم، وأصحاب اهتمامات عالية، وأهداف سامية، وأن يكون لهم تأثير إيجابي فيمن حولهم، لا أن يكونوا متلقين مقلدين فيما لا ينفع، بل ويعود عليهم بالضرر المحقق.

وإننا حين نجيل النظر في آيات هذا الجزء؛ لنلمس التربية على هذا الخلق واضحة في أجلى صورها.

فأول آية بُدئ بها الوحي كانت تخطُّ أول معالم هذه التربية الجادة وتؤسس لها. إنه دين يبدأ بالأمر بالقراءة والحث على العلم في أول كلمة من الوحي: ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ٥ ﴾ ﴿العلق﴾.

فالعلم الذي يسمو بالأمة والفرد لا يناله إلا الجادون، ولا يبدع فيه إلا المشمرون.

أما الكسالى والمتثاقلون فليس لهم مكان إلا في مؤخرة القافلة، وليس لهم ذكر إلا في ذيل القائمة.

فالإسلام دين يسمو بأتباعه إلى أعلى المراتب، وأسنى المنازل، ليكونوا قادة العالم.

وقد جاء ما يؤكد هذا المعنى ويجليه في قوله تعالى:

﴿ إِنَّهُۥ لَقَوۡلٞ فَصۡلٞ ١٣ وَمَا هُوَ بِٱلۡهَزۡلِ ١٤ ﴾ ﴿الطارق﴾.

فهذا القرآن « ليس في شيءٍ منه شائبة هزل، بل كلُّه جِدٌّ مَحْضٌ »[1].

(١) البغدادي، محمود الآلوسي. **روح المعاني**، مرجع سابق، (١٠٠/٣٠).

ولما كان هذا هو وصف القرآن؛ فإن لصاحبه من ذلك أوفى نصيب؛ فالقرآن « يرتفع به قارئه وسامعه عن أن يُلِمَّ بهزل، ويعلو به في أعين العامة والخاصة ».[١]

وإن النظرة الواقعية للحياة، تحتم على الإنسان أن يرتفع بنفسه عن الانغماس في ملاذِّ الحياة ومُتَعِها، فتكون هي أكبر همه، ومبلغ علمه، وحينئذٍ ستقعد به عن تحقيق أهدافه، والوصول إلى مبتغاه.

« إن الجدية هي الأصل في الحياة، فلا ينجح في الحياة، ولا يثمر، ولا يحقق أهدافه إلا الرجل الجاد فيها؛ أيا كانت أهدافه وفلسفته للحياة... والأمم التي دخلت التأريخ، وسطرت منجزاتها، لم تكن لتحقق جزءاً مما حققت، ما لم تكن تملك قدراً من الجدية والتصميم؛ إنها سنة الله في الحياة أن لا ينجح إلا الرجل الجاد »[٢]

ومن هنا فما أحوج المجتمع إلى الشخصيات الجادة، التي تقوم بمسؤوليتها في نهضة الأمة الشاملة، في جميع ميادين العلوم النظرية والتطبيقية؛ لتتبوء الأمة الإسلامية مكانها في قيادة العالم.

وإن من أعظم الواجبات على من يتولى مسؤولية الأمة، أن يسعى لبناء جيل من الشباب يعرف واجبه، ويتحمل مسؤوليته، ويسعى ليكون له إسهام في بناء الحضارة الإسلامية، التي تجمع بين العلم والقيم؛ لتكون رحمة للعالمين.

---

(١) البقاعي، إبراهيم بن عمر. **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، مرجع سابق، (٢١/ ٣٨٤).

(٢) الدويش، محمد عبد الله. **التربية الجادة ضرورة**، ط١٤١٥:١هـ، دار الوطن، الرياض، (٢٩).

المبحث الثالث: اغتنام الأوقات[١]:

الوقت هو الحياة، وهو أنفاس لا تعود، وقد وصف بأنه سريع التقضي، أبيُّ التأتي، عصي الرجوع.

ولم يُعنَ دين بقيمة الوقت مثل عناية الإسلام به، فلقد أعطى القرآن الكريم أهمية بالغة للزمن، وارتبطت معظم العبادات في التشريع الإسلامي بمواعيد زمنية محددة وثابتة، كالصلاة والزكاة والصيام والحج وغيرها..

وفي هذا السياق، نجد القسم بالوقت أو بأجزاء منه قد تكرر في هذا الجزء في مواضع متعددة:

﴿ وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ۝٣ ﴾ ﴿العصر﴾.

﴿ وَٱلۡفَجۡرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشۡرٍ ۝٢ ﴾ ﴿الفجر﴾.

﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢ ﴾ ﴿الليل﴾

﴿ وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ ﴾ ﴿الضحى﴾

فالوقت هو رأس مال الإنسان في هذه الحياة، لأنه هو فترة بقائه في هذه الدنيا، فهو مسئول عنه يوم القيامة.

عَنْ أَبِي بَرْزَةَ الْأَسْلَمِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « **لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ ؟ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ ؟ وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ** »[٢]

---

(١) راجع مقال: " الفراغ عندما يكون فرصة "، مجلة البيان، العدد(٢٣٨)، ص(١٠-١٨).

(٢) الترمذي، محمد بن عيسى. **سنن الترمذي**، مرجع سابق، (٦١٢/٤)، رقم الحديث (٢٤١٧).

وقد جاءت شرائع الإسلام وفروضه معينة للإنسان على ترتيب وقته وإحسان استغلاله، وذلك بالموازنة بين حاجاته الحياتية والمعيشية من جانب، وحاجاته الروحية والعبادية من جانب آخر.

والمؤمن ينبغي أن يستثمر وقته، ويعمره بالخير والعمل الصالح، قبل أن تنقضي أيامه، وتتصرم لياليه؛ فيندم حين لا ينفع الندم.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٩ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٠ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١١ ﴾ ﴿المنافقون﴾

وعن وهب بن منبه، قال: « مكتوب في حكمة آل داود: حق على العاقل أن لا يغفل عن أربع ساعات، ساعة يناجي فيها ربه، وساعة يحاسب فيها نفسه، وساعة يخلو فيها مع إخوانه الذين يخبرونه بعيوبه ويصدقونه عن نفسه، وساعة يخلو فيها بين نفسه وبين لذاتها فيما يَحِلُّ ويُحمد؛ فإن في هذه الساعة عوناً على تلك الساعات، وإجماماً للقلوب».[1]

وليس في وقت المؤمن فراغ لا يجد عملاً يملؤه به، فإذا فرغ من عملٍ؛ تسابقت إلى وقته أعمال كثيرة، يضيق وقته عن إدراكها فضلاً عن استيفائها:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَإِذَا فَرَغۡتَ فَٱنصَبۡ ٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرۡغَب ٨ ﴾ ﴿الشرح﴾.

والمعنى « إذا أتممت عملاً من مهام الأعمال؛ فأقبل على عمل آخر؛ بحيث يعمر أوقاته كلها بالأعمال العظيمة ».[2]

---

(١) المروزي، عبد الله بن المبارك. **الزهد**، دار الكتب العلمية، بيروت، (١٠٥)، رقم الأثر (٣١٣).

(٢) ابن عاشور، محمد الطاهر. **تفسير التحرير والتنوير**، مرجع سابق، (٣٠ /٤١٦-٤١٧).

قال عبد الله بن مسعود ﷺ: « إني لأمقت الرجل أن أراه فارغاً؛ ليس في شيءٍ من عمل الدنيا ،ولا عمل الآخرة ».[١]

فالإنسان الراشد العاقل لا يمكن أن يفرط في شيءٍ من وقته، فكل إنسان جدير بالثقة والتكليف وتحمل المسؤولية؛ يُقدِّر عن يقين أهمية الوقت واحترامه وحسن استثماره.

وقديماً قيل: « الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك »!

ولو صح أن نقول: إن ثمة وقت فراغ عند الإنسان؛ فإن هناك أعمالاً كثيرة يمكن أن تمارس في ذلك الوقت.

« فمن المستحسن أن نجعل وقت الفراغ « محطة استراحة »، وذلك بأن يسبقه عمل، وينتهي أيضاً بعمل، فيكون بهذه الكيفية فترة مؤقتة في الإطار العام للتخطيط والتنظيم والتأمل، مما يستدعي أن يكون العمل رائعاً ومتقناً، ويبدو لنا «الوقت» كأنه لوحة فنية فيها مساحة شاسعة للتلوين والتشكيل والإبداع تشعرنا بالسعادة، وتمنحنا « أهلية التركيز»، وتجدد فينا الهمة لنعود من جديد ونحن أكثر شوقاً لإنجاز متقن.

إن كثيراً من الأعمال يتم إنجازها في وقت الفراغ؛ خاصة مع الذين لديهم حس مرهف، وأفكار قابلة للتجدد والتطور، والذين لديهم هوايات نافعة يمكنهم أن يمارسوا في وقت فراغهم القراءة والكتابة والرياضة التي تناسبهم، وعلينا ألا ننسى جانب العلاقات الاجتماعية، والصلات الإنسانية كصلة الرحم، وزيارات الأصدقاء، التي يمكن من خلالها تبادل الآراء، والثقافات في صورة حوار بنَّاء؛ لتعم الفائدة، ويستثمر الوقت.

---

(١) الكوفي، محمد بن أبي شيبة. **مصنف ابن أبي شيبة**،مرجع سابق، (١٠٨/٧)، رقم الأثر(٣٤٥٦٢).

كما أن مراجعة النفس، والتفكر، والتأمل، كل ذلك يعد استثماراً للوقت، ومحاولة لها قيمتها في محاسبة النفس، وتعديل مساراتها، واستكمال نواقصها ».[١]

ومن هنا ندرك خطورة تساهل كثير من الناس في هدر أوقاتهم، وقضائهم الساعات الطوال في المقاهي، وعلى شاشات التلفاز، أو الانترنت. أو غير ذلك..

وكم من المجالس تبدأ وتنتهي دون فائدة في ذكر لله تعالى، أو طلب علم، أو بحث في شأن يهم المجتمع وينفعه، فأكثر المجالس لا تقضى إلا في قيل وقال، وتملأ بالكذب، والبهتان، والغيبة، والوقيعة في أعراض المسلمين.

وقد جاء الوعيد الشديد لأصحاب هذه المجالس في عدة أحاديث، فمنها:

• عن أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال: « **من قعد مقعداً لم يذكر الله تعالى فيه، كانت عليه من الله ترة**[٢]**، ومن اضطجع مضطجعا لا يذكر الله فيه، كانت عليه من الله ترة** ».[٣]

• وعن أبي هريرة ﷺ: عن النبي ﷺ قال: « **ما جلس قوم مجلسا لم يذكروا الله فيه، ولم يصلوا على نبيهم، إلا كان عليهم ترة، فإن شاء عذبهم، وإن شاء غفر لهم** »[٤]

---

(١) ناصر، الجوهرة. **مجلة أهلا وسهلاً**، الخطوط السعودية، «أقبل على الحياة ونظم وقتك»، عدد يوليو ٢٠٠٥، WWW. pr.sv.net

(٢) التّرة: النَّقْص. وقيل التَّبِعَةُ. النهاية في غريب الحديث (١٨٩/١)

(٣) السجستاني، سليمان بن الأشعث. **سنن أبي داود**، مرجع سابق، (٢٦٤/٤) رقم الحديث (٤٨٥٦). وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٤٨٥٦).

(٤) الترمذي، محمد بن عيسى. **سنن الترمذي**، مرجع سابق، (٤٦١/٥) رقم الحديث (٣٣٨٠). وصححه الألباني في صحيح الترمذي (٢٦٩١).

المبحث الرابع: الحذر من الاغترار بالدنيا وزخرفها:

لقد خلق الله تعالى الإنسان، وسخر له ما في السموات والأرض، وذلل له المخلوقات العظيمة، وجعلها طيعة في يديه، لا ليطغى ويفجر ويركن إلى هذه الحياة؛ بل ليستعين بها على طاعة الله ونيل رضاه.

وهذه النفس بطبيعتها ميالة إلى الدنيا، راغبة في الإخلاد إلى حطامها. والله تعالى يقول: ﴿ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾ ﴾ ﴿الأعلى﴾

﴿ وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾ ﴾ ﴿الفجر﴾

لذا جاء التحذير من التمادي في هذا المسلك الذي لا تحمد عقباه:

﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ ﴾ ﴿النازعات﴾.

وحين يركن الإنسان إلى الدنيا، ويطمئن إليها، ويغتر بنفسه، ويظن أنه قد استغنى، فإنه يتجارى مع أهوائه وملاذِّه، فيزداد في الطغيان، والعتو، والعصيان: ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾ ﴾ ﴿العلق﴾.

« هذا هو الطبع الغالب في الإنسان، متى استغنى عن شيءٍ؛ عَمِي عن مواضع افتقاره، فتغيرت أحواله معه، وتجاوز فيه ما ينبغي له الوقوف عنده ».[1]

وحين تُفتح الدنيا على الإنسان؛ فيصبح عبداً لها، لاهثاً وراءها، لا يُشبع نَهمته منها ما حصَّله ولو كان كثيراً، ولا يُروي عطشه منها ما ظفر به ولو كان وفيراً، بل يظلُّ كالشارب من البحر لا يزداد إلا عطشاً؛ فهنا يحتاج الإنسان أن يُوقفَ ويُنَبَّهَ إلى ما بعد هذه الحياة، مما تحجبه عنه ستور الغفلة الكثيفة التي

(١) البقاعي، إبراهيم بن عمر. **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، مرجع سابق، (١٦٢/٢٢).

أمامه: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ۝٧ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨﴾ ﴿التكاثر﴾.

ولذلك جاء الوعيد الشديد على هذا المسلك الدنيوي الدنيء: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١ ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ۝٢ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ۝٣﴾ ﴿الهمزة﴾

إن هذه الحياة لا تستحق أن يتكالب عليها الناس، ويتقاتلون من أجلها.

وفي يوم القيامة حينما يوقف المجرمون للحساب والجزاء؛ فيعلمون قيمة هذه الدنيا وحقارتها، وأنهم - وإن لبثوا فيها ما لبثوا - ستبدو لهم كساعةٍ من نهار:

﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ۝٤٦﴾ ﴿النازعات﴾.

وما قيمة نعيم زائل لا تبقى لذته؛ بل لا يتذكره الإنسان أصلاً:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِك رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « **يُؤْتَى بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُصْبَغُ فِى النَّارِ صَبْغَةً، ثُمَّ يُقَالُ: يَا ابْنَ آدَمَ، هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لاَ وَاللَّهِ يَا رَبِّ.** »[1]

لقد شبهها النبي ﷺ بتشبيه بليغ يجلي حقيقتها، فقال: «**وَاللَّهِ مَا الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مِثْلُ مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ إِصْبَعَهُ هَذِهِ وَأَشَارَ يَحْيَى - أحد الرواة - بِالسَّبَّابَةِ فِي الْيَمِّ فَلْيَنْظُرْ بِمَ تَرْجِعُ** »[2]

فعلام يركن الإنسان إلى الدنيا ويغتر بها ؟ وهي في ميزان الله سبحانه وتعالى أحقر من جناح البعوضة.

(١) النيسابوري، مسلم بن الحجاج. صحيح مسلم، مرجع سابق، (٤/٢١٦٢)، رقم الحديث (٢٨٠٧).

(٢) المرجع السابق (٤/٢١٩٣) رقم الحديث (٢٨٥٨).

فعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « لَوْ كَانَتْ الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ، مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ »[١]

ولقد وردت إشارات في هذا الجزء توضح حقيقة هذه الحياة، التي قد يجهلها بعض الناس أو يغفلون عنها؛ مما يسبب لهم خللاً، واضطراباً في حياتهم.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ﴿٤﴾ ﴾ «البلد».

قال الآلوسي - رحمه الله -: « أي في تعب ومشقة، فإنه لا يزال يقاسي فنون الشداد، من وقت نفخ الروح، إلى حين نزعها وما وراءه ».[٢]

واستطرد القرطبي – رحمه الله - في بيانٍ بديعٍ لهذه المكابدة التي يعالجها الإنسان منذ أن يولد، فقال: « لم يخلق الله خلقاً يكابد ما يكابد ابن آدم، وهو مع ذلك أضعف الخلق.

قال علماؤنا: أول ما يكابد قطع سرته، ثم إذا قُمِط[٣] قماطاً، وشُدَّ رباطاً، يكابد الضيق والتعب، ثم يكابد الارتضاع، ولو فاته لضاع، ثم يكابد نبت أسنانه، وتحرك لسانه، ثم يكابد الفطام، الذي هو أشدُّ من اللطام، ثم يكابد الختان، والأوجاع والأحزان، ثم يكابد المعلم وصولته، والمؤدب وسياسته، والأستاذ وهيبته، ثم يكابد شغل التزويج والتعجيل فيه، ثم يكابد شغل الأولاد، والخدم والأجناد، ثم يكابد شغل الدور، وبناء القصور، ثم الكبر والهرم، وضعف الركبة والقدم، في مصائب يكثر تعدادها، ونوائب يطول إيرادها، من صداع الرأس، ووجع الأضراس،

---

(١) الترمذي، محمد بن عيسى. سنن الترمذي، مرجع سابق، (٥٦٠/٤)، رقم الحديث(٢٣٢٠). وصححه الألباني في صحيح الترمذي (٢٣٢٠).

(٢) البغدادي، محمود الآلوسي. روح المعاني، مرجع سابق،(١٣٥/٣٠).

(٣) القَمْطُ: شَدٌّ كشدّ الصبيّ في المَهْد، وفي غير المهد إذا ضُمَّ أعضاؤه إلى جسده، ثم لُفَّ عليه القِماطُ. يقال: قَمَطه يَقْمُطه ويَقْمِطُه قَمْطاً وقَمَّطه: شدَّ يديه ورجليه. واسم ذلك الحبل القِماطُ. ابن منظور،محمد بن مكرم. لسان العرب، مرجع سابق،مادة(قمط)

ورمد العين، وغم الدين، ووجع السن، وألم الأذن.

ويكابد محناً في المال والنفس، مثل الضرب والحبس، ولا يمضي عليه يوم إلا يقاسي فيه شدة، ولا يكابد إلا مشقة، ثم الموت بعد ذلك كله، ثم مسألة الملك، وضغطة القبر وظلمته، ثم البعث والعرض على الله، إلى أن يستقر به القرار، إما في الجنة وإما في النار».[١]

فأحوال هذه الحياة متقلبة لا يدوم فيها الرخاء والسعد أبداً: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾﴾ ﴿الانشقاق﴾.

قال الحسن البصري - رحمه الله -: ﴿طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾، يقول: حالاً بعد حالٍ، رخاءً بعد شدَّة، وشدَّةً بعد رخاءٍ، وغنى بعد فقرٍ، وفقراً بعد غنى، وصحةً بعد سقمٍ، وسَقَماً بعد صحةٍ.[٢]

وقال البقاعي – رحمه الله -: ﴿طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ أي حالاً بعد حال، من أطوار الحياة، وأدوار العيش، وغمرات الموت، ثم من أمور البرزخ، وشؤون البعث، ودواهي الحشر... فأول أطباق الإنسان جنين، ثم وليد، ثم رضيع، ثم فطيم، ثم يافع، ثم رجل، ثم شاب، ثم كهل، ثم شيخ، ثم ميت، وبعده نشر، ثم حشر، ثم حساب، ثم وزن، ثم صراط، ثم مقرّ، ومثل هذه الأطباق المحسوسة أطباق معنوية من الفضائل والرذائل.[٣]

فهذه هي أحوال الدنيا متقلبة متغيرة، فالرخاء و الشدة، والغنى و الفقر، والفرح و الحزن؛ كلها أحوال متعاقبة، لا يدوم منها شيءٌ طوال الحياة أبداً.

---

(١) القرطبي، محمد بن أحمد. **الجامع لأحكام القرآن**، مرجع سابق، (٢٠/٦٢-٦٣).

(٢) الدمشقي، إسماعيل بن كثير. **تفسير القرآن العظيم**، مرجع سابق، (٤/٦٣١).

(٣) البقاعي، إبراهيم بن عمر. **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، مرجع سابق، (٢١/٣٤٧).

لذلك فلا ينبغي للإنسان أن يأسى على ما فاته من الدنيا، ولا يفرح ويغتر بما حصل له منها، فالدنيا دُوَل، يوم لك ويوم عليك.

وفي هذا المعنى؛ أُوردُ بعض أبيات مرثية أبي الحسن التهامي – رحمه الله – لابنه، وهي من عيون الشعر:

حكمُ المنيّة في البريَّة جارِ ... ما هذه الدُّنيا بدارِ قرارِ

بينا يُرى الإنسانُ فيها مُخبراً ... حتَّى يُرى خبراً من الأخبارِ

والنَّفسُ إن رضيت بذلك أو أبتْ ... منقادةٌ بأزِمَّة الأقدارِ

طُبِعَتْ على كدرٍ وأنت تريدُها ... صفواً من الأقذارِ والأكدارِ

وإذا رجوتَ المستحيلَ فإنَّما ... تبني الرَّجاءَ على شفيرٍ هارٍ[1]

والعيشُ نومٌ والمنيَّةُ يقظةٌ ... والمرءُ بينهما خيالٌ سارِ

فاقضوا مآربكمْ عجالاً إنَّما ... أعماركمْ سفرٌ من الأسفارِ

وتراكضُوا خيلَ الشَّباب وبادروا ... أن تُستردَّ فإنَّهنَّ عوار[2]

ليس الزَّمانُ وإن حرصتَ مسالما ... خلقُ الزَّمانِ عداوة الأحرارِ[3]

فإدراك طبيعة الحياة وأنها ملئت بالمكدرات والمنغصات؛ مما يدفع الإنسان على الصبر والتجلد لمصائبها. ويمنعه من أن يركن إليها أو يغتر بها.

---

(١) أي حرف الجرف. انظر: ابن منظور، محمد بن مكرم. **لسان العرب**. مرجع سابق، مادة (شفر)، و(هير)

(٢) جمع عاريّة وهي الشيء المأخوذ من صاحبه ثم يردُّ إليه. انظر المرجع السابق، مادة (عور)

(٣) التهامي، علي بن محمد. **ديوان أبي الحسن التهامي**، ط١: ١٤٠٢– ١٩٨٢، مكتبة المعارف، الرياض، (٣٠٨-٣٠٩).

ويصف لنا الإمام الشافعي – رحمه الله - الدنيا وصف الخبير فيقول:

ومن يـذق الدنيا فإني طعمتها وسيـق إلينـا عَذْبُهـا وعَذَابُهـا

فلم أرها إلا غـــروراً وباطـلاً كمـا لاح فـي ظهـر الفـلاة سرابهـا

وما هي إلا جيفـــة مستحيلـــة عليهـا كلابٌ همهـن اجتذابهـا

فطوبى لنفس أوطأت قعر دارها مغلقـة الأبـواب مرخـي حجابهـا

فلن تخرب الدنيا بموت شرارها ولكـن بمـوت الأكرميـن خرابهـا[1]

(١) بهجت، مجاهد مصطفى. **ديوان الشافعي**، ط٢: ١٤٢٤-٢٠٠٣، دار القلم، بيروت، (١٣٠).

الفصل السادس

معالم التربية الجسمية

تمهيد

الجسم هو مطية الإنسان في هذه الحياة، وهو سلاح ذو حدين؛ فمن الناس من جعله مطية له إلى الجنة، فاستعمله فيما يقربه إلى الله تعالى. ومن الناس من جعله وسيلته إلى النار وبئس القرار، فأصبح خادماً للشيطان، فقاده به إلى ما فيه البوار والهلاك في الدنيا والآخرة.

وكما عُني الإسلام بتربية الروح ليسمو بالإنسان عن السفاسف، ويرتقي به في مدارج الكمال البشري، ليحقق الغاية من إيجاده وهي عبادة الله تعالى؛ فإنه قد عُني بتربية الجسم الذي هو الوسيلة لتحقيق هذه الغاية.

وهذه سمة من سمات المنهج الإسلامي في التربية، حيث تتكامل تربية الروح مع تربية الجسد لإيجاد الشخصية السويَّة، التي لا تُغفل جانباً من الجوانب على حساب جانبٍ آخر.

وفي هذا العصر اهتم كثير من الناس بتقوية أجسامهم بأنواع الرياضات، كما ظهر نوع آخر من العناية بالأجسام، عن طريق ما يعرف بـ «عمليات التجميل» التي أصبحت عبثاً وسفهاً في كثير من الأحيان، وأصبحت تجارة رابحة لدى الأطباء وغيرهم من المنتفعين بهذا الأمر.

وأسوأ من ذلك ما ظهر مؤخراً عند فئة من الشباب، من العناية الفائقة بالمظهر، وبذل الأموال، وهدر الأوقات الطويلة في صوالين التجميل «الحلاقة»، وكأن الواحد منهم لم يخلق إلا لهذا العبث الفارغ!!

لكنَّ منهج الإسلام في هذه القضايا هو المنهج الوسط، الذي لا يُهمل الجسم ويُسقطَه من حساباته، وفي الوقت نفسه لا يبالغ فيه حتى يصبح غاية بحدِّ ذاته.

وهذا المنهج واضح المعالم في الكتاب والسنة، ومن خلال النهج الذي سار عليه المسلمون عبر العصور.

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (**(الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ)**) [١]

وفي هذا الجزء على وجه الخصوص ثمة بعض الإشارات لهذه العناية بالجسم، وأثرها في التربية المتكاملة للشخصية الإسلامية ويمكن تتبعها من خلال المعالم التالية:

١- الإشادة بالفروسية ووصف الخيل بجميل الأوصاف.

٢- خلق النوم وجعله من ضرورات صحة الجسم.

٣- العناية بالأطعمة المفيدة.

(١) النيسابوري، مسلم بن الحجاج. **صحيح مسلم**، مرجع سابق، (٥/٢٠٨) رقم الحديث (٦٩٤٥)

المبحث الأول: الإشادة بالفروسية ووصف الخيل بجميل الأوصاف:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ۝١ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ۝٢ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ۝٣ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ۝٤ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ۝٥﴾ ﴿العاديات﴾

فهنا أقسم الله تعالى بهذه الخيل، ووصفها بهذه الأوصاف، في صورة أدبية رائعة، كأن السامع يراها.

والقسم في القرآن الكريم لا يكون إلا بشيءٍ عظيم، يستحق أن تُلفت إليه الأنظار.

قال الفخر الرازي -رحمه الله-: «أقسم تعالى بفرس الغازي لما فيه من منافع الدنيا والدين، وفيه تنبيه على أن الإنسان يجب عليه أن يمسكه لا للزينة والتفاخر، بل لهذه المنفعة».[1]

فتقوية البدن هي إحدى المنافع التي يحصلها الإنسان من ركوب الخيل، لتكون عوناً له على القيام بواجباته الدينية والدنيوية.

وفي هذه الصورة الأدبية الرائعة التي تمتلىء حركة ونشاطاً في وصف الخيل؛ ما يُرغِّب في هذه الرياضة ويحثُّ عليها.

وفي ذلك إشارة واضحة لما ينبغي أن يكون عليه المسلم، من العناية بجسمه وممارسة لأنواع الرياضات التي تبني جسماً قوياً، يكون مسخراً في طاعة الله تعالى، وشكر نعمه وآلائه.

---

(١) الرازي، فخر الدين محمد بن عمر. **التفسير الكبير**، مرجع سابق، (٦١/٣٢).

وقد كثر في السنة ذكر الخيل والإشادة بها:

١- عن عروَةَ الْبَارِقِيِّ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: « **الْخَيْلُ مَعْقُودٌ فِي نَوَاصِيهَا الْخَيْرُ، الْأَجْرُ وَالْمَغْنَمُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ** ».[١]

٢- عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سَابَقَ بَيْنَ الْخَيْلِ الَّتِي قَدْ أُضْمِرَتْ مِنْ الْحَفْيَاءِ[٢]، وَكَانَ أَمَدُهَا ثَنِيَّةَ الْوَدَاعِ، وَسَابَقَ بَيْنَ الْخَيْلِ الَّتِي لَمْ تُضَمَّرْ، مِنْ الثَّنِيَّةِ إِلَى مَسْجِدِ بَنِي زُرَيْقٍ، وَأَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ كَانَ مِمَّنْ سَابَقَ بِهَا.[٣]

٣ - عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « **الْبَرَكَةُ فِي نَوَاصِي الْخَيْلِ** »[٤]

٤ – عن أَبِي الدَّرْدَاءِ ﷺ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « **إِنَّ الْمُنْفِقَ عَلَى الْخَيْلِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَالْبَاسِطِ يَدَهُ بِالصَّدَقَةِ، لا يَقْبِضُهَا** ».[٥]

٥ - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**الْخَيْلُ لِثَلَاثَةٍ، لِرَجُلٍ أَجْرٌ، وَلِرَجُلٍ سِتْرٌ، وَعَلَى رَجُلٍ وِزْرٌ. فَأَمَّا الَّذِي لَهُ أَجْرٌ؛ فَرَجُلٌ رَبَطَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَأَطَالَ فِي مَرْجٍ[٦] أَوْ رَوْضَةٍ[٧]؛ فَمَا أَصَابَتْ فِي طِيَلِهَا[٨] ذَلِكَ مِنْ الْمَرْجِ**

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل. **صحيح البخاري**، مرجع سابق، (١٠٤٨/٣)، رقم الحديث(٢٦٩٧).

(٢) موضع على أميال خارج المدينة. ابن الأثير، مجد الدين. **النهاية في غريب الحديث**، مرجع سابق، (٤١١/١).

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل. **صحيح البخاري**، مرجع سابق (١٠٥٣/٣)، رقم الحديث(٢٧١٥).

(٤) المرجع السابق(١٠٤٨/٣)، رقم الحديث(٢٦٩٦).

(٥) السجستاني، سليمان بن الأشعث. **سنن أبي داود**. مرجع سابق، (٥٨/٤)، رقم الحديث(٤٠٨٩). وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٣٧٢٧)

(٦) أي الأرضُ الواسعةُ ذاتُ نبات كثير تَمْرُجُ فيه الدَّوابُّ أي تُخَلَّى تَسْرَحُ مُخْتلطةً كيف شاءت. ابن الأثير، مجد الدين. **النهاية في غريب الحديث**، مرجع سابق، (٣١٥/٤).

(٧) الروضة وهو المَوضع الذي يسْتَنْقع فيه الماء. المرجع السابق(٢٧٧/٢)

(٨) الطِّوَل والطِّيَل بالكسر: الحبْل الطّويل يُشَدُّ أحد طَرَفَيه في وتد أو غَيره والطَّرَف الآخر في يَد الفَرس ليَدُورَ فيه ويَرْعَى ولا يَذْهَب لوجْهه. وطَوَّل وأطال بمعنًى: أي شدّها في الحبْل. المرجع السابق(١٤٥/٣)

أَوْ الرَّوْضَـةِ، كَانَتْ لَـهُ حَسَنَاتٍ. وَلَوْ أَنَّهَا قَطَعَتْ طِيَلَهَـا فَاسْتَنَّتْ[١] شَرَفًا أَوْ شَرَفَيْـنِ؛ كَانَـتْ أَرْوَاثُهَـا وَآثَارُهَا حَسَنَاتٍ لَهُ. وَلَـوْ أَنَّهَا مَرَّتْ بِنَهَـرٍ فَشَرِبَتْ مِنْـهُ، وَلَـمْ يُرِدْ أَنْ يَسْقِيَهَا كَانَ ذَلِكَ حَسَنَاتٍ لَـهُ. وَرَجُلٌ رَبَطَهَا فَخْرًا وَرِئَاءً وَنِوَاءً[٢] لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ فَهِيَ وِزْرٌ».[٣]

وقد كان دأب السلف على العناية بتربية الأولاد على ركوب الخيل.

كتب عمر بن الخطاب ﷺ إلى أهل الشام: «أن علموا أولادكم السباحة والرمي والفروسية».[٤]

فما أجملها من تربية !! حين يُرتقى بهمم الشباب لتعلم هذه الرياضة الجميلة أو غيرها، مما ينمي الشـجاعة، ويسـمو بالنفس، ويعلي الهمة، ويُعِدُّ الشاب لتحمل المسؤولية للدفاع عن دينه وأمته.

والمقصـود من إيراد هذه الإشـارة القرآنية، بيان أن العناية المتوازنة بالجسم والروح مطلب شرعي مهم.

وحبـذا أن توجـه عناية المسـؤولين عن الشـباب إلى تربية جيـل واعٍ؛ يدرك أن الرياضة ليست غاية في حد ذاتها بل هي وسيلة لبناء جيل مؤمن قوي..

وحين يمارس الشـاب كافة الألعاب الرياضـية المباحة، بالضوابط التي سيأتي ذكرهـا، فذلـك مسـلك تربوي يبني أجسـاماً قويـة، تكون - بـإذن الله - مطية لنيل رضوان الله في الدنيا والآخرة.

---

(١) استَنَّ الفَرَس يستَنُّ اسْتِنَاناً: أي عَدَا لمَرَحه ونشَاطه شَوْطاً أو شوْطَين ولا رَاكب عليه. المرجع السابق(٢/٤١٠).

(٢) أي مُعاداةً لهم. المرجع السابق(٥/١٢٣)

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل. **صحيح البخاري**، مرجع سابق، (٣/١٠٥٠)، رقم الحديث(٢٧٠٥).

(٤) السيوطي، عبد الرحمن. **الدر المنثور**. دار الفكر، بيروت، ١٩٩٣، (٤/٨٦).

وفي العصر الحديث فُتن كثير من الناس بالألعاب الرياضية بأنواعها، وإن كانت كرة القدم قد حازت نصيب الأسد من اهتمامات الصغير والكبير، والرجال والنساء، وبذلت فيها الأوقات الثمينة، بل لم يقف الأمر عند هذا الحد فحسب، بل أنفقت فيها مئات الملايين على كل المستويات، حتى غدت ملهاةً للشعوب والأمم.

وحيث إن الممارسات الرياضية مما تحتاجه النفوس وتميل إليه، فلم يمنع منها الإسلام، ولم يُحرِّمها، بل وضع لها ضوابط وشروطاً لتحقق المقاصد التربوية منها.

لذلك فمما ينبغي أن يراعى في ممارسة الرياضة أمور يمكن إجمالها فيما يلي:

١- ألا تلهي عن واجب شرعي؛ مثل أن تقام في وقت الصلاة المكتوبة أو ما يقارب وقتها. وكذلك ألا تلهي عن واجبات شرعية أخرى، كبِرِّ الوالدين ونحوه.

٢- مراعاة المقاصد الحسنة عند مزاولتها، فالرياضة إما أن تكون وسيلة للإعداد لجهاد الأعداء، وهي أرفع صور الرياضة من حيث المشروعية، أو تكون وسيلة لتقوية الأبدان وتنشيطها، والاستجمام المباح؛ لتعين المسلم على القيام بالواجبات المنوطة به في الحياة، فينبغي مراعاة المقصد الحسن عند مزاولة الرياضة؛ حتى يُؤْجَر المرء. قال ﷺ « **إنما الأعمال بالنيات** »[1]، وهذه قاعدة عظيمة تدخل فيها كل تصرفات المسلم.

٣- وجوب ستر العورات، والبعد عن مواطن إثارة الغرائز.

٤- عدم اشتمال الرياضة على خطر محقق أو غالب؛ فإن إلقاء النفس إلى التهلكة محرم، كما قال تعالى: ﴿ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾ ﴿البقرة: ١٩٥﴾،

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل. **صحيح البخاري**، مرجع سابق، (٣/١) رقم الحديث (١).

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾﴾ ﴿النساء﴾، وقال ﷺ: «**لا ضرر ولا ضرار**»[1]

فإن كانت الرياضة خطرة، أو يغلب على الظن وجود الخطر فيها، سواءً كان هذا الأذى والضرر يلحق باللاعب أو يُلْحِقَه هو بغيره، فإنها ممنوعة؛ لأن مفهوم الرياضة يقوم على أساس التمرين دون إيذاء أو ضرر.

٥- البعد عن المكاسب المحرمة في الرياضة، مثل القمار، وأخذ العوض المحُرَّم.

٦- ألا يترتب على إقامة المسابقات الرياضية موالاة أو معاداة بسبب تلك المسابقات. فحينئذٍ تكون مخالفة للمبدأ الشرعي وهو الموالاة في الله والمعاداة في الله.

(١) القزويني، محمد بن يزيد. **سنن ابن ماجه**، مرجع سابق، (٢/٧٨٤) رقم الحديث (٢٣٤٠). وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (١٨٩٥).

المبحث الثاني: خلق النوم وجعله من ضرورات صحة الجسم:

النوم آية من آيات الله، يقول سبحانه: ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۝٩﴾ «النبأ».

وقد تقاربت عبارات المفسرين في معنى السبات:

قال ابن عاشور - رحمه الله -: « جعلناه لكم قطعاً لعمل الجسد بحيث لا بد للبدن منه ».[١]

وقال السعدي -رحمه الله-: « راحة لكم، وقطعا لأشغالكم، التي متى تمادت بكم أضرت بأبدانكم، فجعل الله الليل والنوم يغشى الناس؛ لتنقطع حركاتهم الضارة، وتحصل راحتهم النافعة »[٢]

وقال سيد قطب -رحمه الله-: « فهذا السبات: أي الانقطاع عن الإدراك والنشاط بالنوم ضرورة من ضرورات تكوين الحي؛ وسر من أسرار قدرة الله؛ ونعمة من نعم الله، لا يملك إعطاءها إلا هو سبحانه ».[٣]

وفي العصر الحديث أثبتت الدراسات العلمية هذه الحقيقة:

ففي تجربة أجريت في (مركز أبحاث النوم) التابع لجامعة (أوهايو) في الولايات المتحدة تم حرمان بعض المتطوعين من النوم لمدة خمسة أيام متتالية. وقد ظهرت على المتطوعين علامات إعياء شديد، وانخفاض حاد في القدرة على التركيز والتفكير، وفي اليوم الخامس كان المتطوعون في حالة عجز شبه كاملة عن الحركة، وانخفضت القدرة على التفكير وصنع القرار إلى أدنى مستوى لها، كما صدرت عنهم (هلوسة) شبيهة بهذيان المحموم!

(١) ابن عاشور، محمد الطاهر. **تفسير التحرير والتنوير**، مرجع سابق، (٣٠ /١٨).

(٢) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر. **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، مرجع سابق، (٩٠٦).

(٣) قطب، سيد. **في ظلال القرآن**. مرجع سابق، (٣٨٠٥/٦)،

فالنوم ضرورة حياتية للجسم ، لكي تتمكن أجهزته المختلفة من أداء وظائفها الطبيعية بصورة سليمة، وكذلك فللأحلام دور مهم في تخليص الجسم من التوتر، وفي تحرير المخ من ضغوط الأفكار اليومية المتضاربة، ويدل على ذلك أن الذين يحرمون من الأحلام أثناء النوم يعانون من توتر متزايد، وسطحية في التفكير نتيجة العجز عن تكوين صورة عقلية متكاملة لمواقف الحياة المعقدة!(١)

وفي جامعة (شيكاغو) ، أُثبت أن الأرق المزمن يقلل قدرة البالغين على تأدية الوظائف الحيوية الأساسية، مثل تخزين النشويات، وعمليات الدماغ، بل يؤثر على نظام إفراز الهرمونات، فقد تركوا المتطوعين لينامو ا ثماني ساعات عدة أيام، ثم ٤ ساعات لأيام أخرى، فأدى ذلك إلى قلة تحمل الجلوكوز في الدم واضطرابات في وظائف الغدد الصماء التي تؤدي إلى أعراض مشابهة لأمراض الشيخوخة، أو المراحل الأولى لمرض السكر؛ وضعفت قدرة هؤلاء على إفراز الأنسولين بنسبة ٣٠٪، وأخذوا ٤٠٪ وقتًا أطول لتنظيم معدل السكر في الدم بعد وجبة دسمة من النشويات، كما لوحظ عليهم حالات توتر وتعكر مزاجي، وهذه علامة أخرى من علامات الشيخوخة، وهذا يوضح ما يقوله العلماء عن أن الأرق له علاقة بأعراض تقدم السن مثل السكر، واضطرابات ضغط الدم التي تؤدي إلى الأزمات القلبية.(٢)

(١) النمر، عبد الرحمن. **مجلة الاعجاز العلمي**، مكة المكرمة، العدد(١٨)، ﴿ النوم.. أسرار ومراحل﴾، WWW.nooran.org

(٢) سلامة، نهى. الجسم السليم في النوم السليم.www.islamonline.net/Arabic

وقد أكدت الدراسات انقطاع نشاط الجسم تماماً أثناء النوم.

وهو المذكور في قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ ﴾«النبأ»

حيث تمر دورة النوم بمرحلتين أساسيتين:

• **المرحلة الأولى**: تسمى بحركة العين البطيئة (Non Rapid Eye Movement)وهي تنقسم إلى ثلاثة أطوار: الطور الأول يسمى النوم الانتقالي (Transitional) والثاني هو النوم الخفيف (Light sleep) وفي هذين الطورين يسترخي الجسم تماماً، وتغلق حواس الجسم، ويكون نشاط الدماغ بطيئًا ومنتظمًا، ثم يغوص المرء في نوم أكثر راحة، وهو أكثر الأطوار الثلاثة فائدة للنائم؛ حيث تفرز الهرمونات وتبنى الخلايا البالية وتجدد خلايا الدم الحمراء (delta sleep).

• **المرحلة الثانية**: بعد ٧٠ إلى ٩٠ دقيقة من النوم تأتي مرحلة حركة العين السريعة (Rapid Eye Mov) حيث تزيد ضربات القلب، وترتعش الأصابع والأنامل وتزيد سرعة تنفس النائم ونشاط دماغه.وفي خلال هذه المرحلة تجول العين للأمام والخلف تحت جفن العين، ويفرز الدماغ مواد كيمائية في مراكز الشعور وتخزن أحداث اليوم؛ ولذلك تكون الأحلام في هذه المرحلة.[١]

ولذلك امتن الله على عباده بنعمة النوم،بل جعلها آية من الآيات الدالة على عظمته سبحانه: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾«الروم».

(١) المرجع السابق. www.islamonline.net/Arabic

وفي واقعنا المعاصر نرى خللاً واضحاً عند كثير من الناس في العناية بالنوم الصحي، وخذ مثلاً أحوال الناس في فترات الإجازات، حيث تقطع ساعات الليل - وقت السكون والراحة - في العبث واللهو، حتى ساعات الصباح الأولى، ثم تكون ساعات النهار - وقت النشاط والحركة - نوماً وكسلاً وخمولاً.

وكم يعاني كثير من الناس من الأمراض بسبب هذا الانقلاب في موازين الحياة.

فلو أخذ الناس بدلالة هذه الإشارة القرآنية؛ لسلموا من كثير من الأمراض والأسقام.

المبحث الثالث: العناية بالأطعمة المفيدة:

الغذاء الجيد متنوع، وقد جاء ذكر كثيرٍ منه في القرآن الكريم وفي السنة النبوية، وقد ذكر بعض أهل العلم كابن القيم – رحمه الله - في « زاد المعاد » كثيراً من أنواع الأغذية المفيدة، وأورد الأحاديث، وكلام أهل الخبرة، في بيان منافعها.

وفي العصر الحديث، أجريت كثيرٌ من البحوث والدراسات؛ لبيان منافع هذه الأغذية الطبية.

وفي آيات هذا الجزء المبارك من القرآن الكريم، جاءت إشارة إلى أنواع معينة من الأطعمة، نستعرضها فيما يلي:

﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾ ﴾«عبس»

ففي هذه الآيات يمتن الله على عباده ببعض أنواع الثمار، وفي ذلك إشارة واضحة لمنافعها، وإلا لما كانت مجالاً للامتنان، والتذكير بأ همية شكر الله عليها.

فمن هذه الثمار: العنب.

وقد ثبت في الأبحاث الطبية عن العنب جملة من الفوائد والمنافع :

حيث «يعتبر العنب من الفواكه ذات القيمة الغذائية والعلاجية الجيدة، وقد عرف منذ قديم الزمان، حيث تناوله الصينيون والهنود؛ رغبة في الاستفادة من القيمة الغذائية العالية الموجودة فيه.

ويؤكل ناضجاً، أو عصيراً، أو يجفف كما في الزبيب، حيث تعتبر جميع طرق استهلاكه مفيدة وغنية وعالية القيمة الغذائية. وبتحليل العنب وجد انه يحتوي على حوالي ٩٥٪ من وزنه ماء، وعلى ٧ غرامات غلوكوز (سكر العنب)، و١ غرام دهون، وحوالي ١٦ غرام كربوهيدرات، ونصف غرام بروتين، بالإضافة إلى مجموعة من أملاح العناصر، وهي أملاح البوتاسيوم والكالسيوم والفوسفور والحديد، وبعض الفيتامينات وأهمها فيتامين (ب) وكذلك (أ) و(ج)،كما انه يعطي حوالي ٧٠ سعراً حرارياً.

ويساهم العنب في خفض الضغط المرتفع، حيث انه يعتبر مدراً للبول لاحتوائه على نسبة عالية من البوتاسيوم. ومن محتويات العنب خاصة القشرة، مجموعة من عناصر فيتامين (ب) المركب والذي يحتاجه الجسم في نواح كثيرة خاصة لسلامة الجهاز العصبي. والعنب مصدر غني بالألياف فيحتوي على حوالي ٤,٣٪، والألياف لا تعتبر عنصراً غذائياً، ولكن ثبت أن لها فوائد صحية عديدة، فهي تمنع حدوث الإمساك. ومن فوائده كذلك أنه يخفض الحموضة، وخصوصا الحموضة التي تنتج عن عسر الهضم، لأن العنب يحتوي على العديد من الأحماض الطبيعية، ذات التأثير القاعدي حيث تعادل الحموضة، فهو يعادل أو يشابه الحليب، وهو أسهل من الحليب في الهضم. وللعنب قيمة علاجية عالية، وخصوصاً للأشخاص الذين يعانون من اضطرابات أو ضعف في الكلى، حيث يحتوي العنب على نسبة جيدة من الماء والأملاح بكميات مناسبة، كما انه يساهم بشكل جيد في عملية تصفية الدم، وتنقيته من السموم. أوراق العنب إذا طبخت وأعدت مثل الشاي فإنها تفيد في إدرار البول، وتنظيف الكلى والمثانة من الأملاح.

وتؤكد الأبحاث أن المدن التي يعتمد سكانها في أكلهم على العنب الطازج تقل إصابتهم بالأمراض السرطانية، بفضل ما للعنب من أثر فعال في تنقية الدم، وإزالة السموم والاضطربات المفاجئة في نمو أنسجة الجسم ».[١]

ومن هذه الثمار المشار إليها في آيات سورة عبس : التمر.

وهي ثمرة مباركة ذات قيمة غذائية عالية جداً ، بسبب احتوائها على المواد التالية:

- الكربوهيدرات: مثل السكريات، والألياف الخام، والبكتين، والسليلوز، واللجنين.
- الجلوكوز والفركتوز: سكريات حلوة الطعم، متبلورة، تذوب في الماء تولد الطاقة التي تستخدم في تسيير كثير من التفاعلات الحيوية، التي تجري داخل الخلايا.
- الفركتوز: يتميز بعدم احتياجيه إلى أنسولين عند استخدامه في إنتاج الطاقة، وبالتالي لا يمثل عبئاً على مرض السكر (مرض البول السكري).
- الألياف: أهمها السيلوز، والهيموسيليليوز، والبكتين. ولها دورها في منع أمراض سوء الهضم، والإمساك، وأمراض القولون.
- البكتين: له تأثير جيد على تقليل نسبة الكوليسترول في الدم، ويحمي من تصلب الشرايين.
- العناصر المعدنية: خاصة (البوتاسيوم) الذي يساعد على القدرة على التفكير. و(الفوسفور) اللازم لاستمرار الحياة وانتظام نبضات القلب ونقل الإشارات العصبية. و(الحديد) الذي يدخل في تكوين هيموجلوبين الدم. و(الكالسيوم) الذي يدخل في تكوين العظام والأسنان. كما تحتوي ثمار البلح على عنصر (اليود) الذي ينشط الغدة الدرقية والهرمون الخاص بها.

(١) www.almostahlek.net

ويوجد فيه مجموعة من الفيتامينات نذكر منها :

- **فيتامين أ: فيتامين الإبصار، ضروري لسلامة وصحة الجلد، يدخل في عمليات التمثيل الغذائي داخل الخلايا. ونقصه يؤدي إلى مرض "العشى الليلي".**

- **فيتامين د: مضاد لمرض الكساح، يحافظ على تركيز الكالسيوم في الدم، وله دور في حركة العضلات، والفعل الحيوي للغدد.**

- **فيتامين ب١ : (الثيامين): ضروري للمحافظة على سلامة الأعصاب، ونقصه يؤدي إلى فقدان الشهية، والإصابة بمرض البري بري.**

- **فيتامين ب٢: (الريبو فلافين): يدخل في تركيب كثير من الأنزيمات، ليشترك في عمليات الأكسدة الحيوية، ونقصه يؤدي إلى تشققات في زاويا الفم.**

- **فيتامين ب٣ : (حمض النيكوتينيك أو النياسين): يقي من مرض البلاجرا، ونقصه يؤدي إلى اضطراب الأعصاب، والصداع، وضعف الذاكرة.**

- **حمض البانثوثينييك: فيتامين مضاد للإجهاد، ويساعد في عمليات التمثيل الغذائي. ونقصه يؤدي إلى اضطراب في عمليات التمثيل الغذائي، وتساقط شعر الرأس.**

- **حمض الفوليك: وهو العامل المضاد للأنيميا الحادة، ويقوم بدور هام في تخليق الأحماض النووية، ويقي من مرض تصلب الشرايين.**

وعلى ذلك فإن التمر قد يكون غذاءً للإنسان لفترة طويلة من الزمن إذا لزم الأمر. وقد جاء في حديث عائشة رضي الله عنها، أنها كانت تقول: « أَنَّهَا قَالَتْ لِعُرْوَةَ: ابْنَ أختي ، إِنْ كُنَّا لَنَنْظُرُ إِلَى الْهِلاَلِ ثُمَّ الْهِلاَلِ، ثَلاَثَةَ أَهِلَّةٍ في شَهْرَيْنِ، وَمَا أُوقِدَتْ في أَبْيَاتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ نَارٌ !! فَقُلْتُ: يَا خَالَةُ مَا كَانَ يُعِيشُكُمْ؟

قَالَت: الأَسْوَدَانِ التَّمْرُ وَالْمَاءُ، إِلاَّ أَنَّهُ قَدْ كَانَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ جِيرَانٌ مِنَ الأَنْصَارِ كَانَتْ لَهُمْ مَنَائِحُ ، وَكَانُوا يَمْنَحُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مِنْ أَلْبَانِهِمْ ، فَيَسْقِينَاه»[١][٢]

كذلك أشارت الآيات إلى الفاكهة . وقد ثبت في الطب جملة من منافعها. وهذه بعضها:

- تحتوي على ألياف تسهل عمل الأمعاء، والإخراج.
- تمد الجسم بالفيتامينات، والأملاح الضرورية لعمل الأعضاء المختلفة.
- تتميز الفواكه باحتوائها على قدر قليل من السعرات بالنسبة لحجمها ووزنها، مما يساعد على احتفاظ الجسم بالقوام الجميل، وخفة الحركة. ويعمل تلقائياً على التقليل من أكل المواد المرتفعة السعرات، مثل الدهون، والنشويات، والبروتينات(٣)
- تساعد على تعزز نظام تقوية المناعة من الأمراض السرطانية، فاستهلاك الفواكه بانتظام يخفض احتمالات الإصابة بالأمراض الخبيثة، بنسبة قد تصل إلى حوالي ٤٠٪، لاسيما الأورام الهضمية والتنفسية.
- الموز والبرتقال يَحُدَّان من ارتفاع ضغط الدم.
- أوراق التوت تقي من أمراض الكبد.
- ومن أهم العوامل التي تساهم في حماية الشرايين، والأوعية الدموية، تناول كميات جيدة من مصادر مضادات الأكسدة، والتي تتواجد بشكل جيد في الفاكهة والخضار بأنواعها.

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل. **صحيح البخاري**، مرجع سابق، (٥/٢٣٧٢) رقم الحديث (٦٠٩٤).

(٢) موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة www.55a.org

(٣) الموسوعة الحرة www.wikipedia.net

• الخضار والفواكه وخاصة الحمضيات؛ تعتبر مصدر جيد للفيتامينات، وخاصة فيتامين سي vit C ، والذي يقوم بدور مهم فى رفع مناعة الجسم.

• والرمان مفيد لكثير من الأمراض، لاحتوائه على المواد المضادة للأكسدة، والفيتامينات، والأملاح السهلة الامتصاص، وتمتد فوائده إلى القلب والشرايين، حيث يعالج تصلب الشرايين، ويقي من الجلطات على اختلاف أنواعها.

• والتوت يتفوق على الكثير من الفواكه، باحتوائه على كميات كبيرة من الفيتامينات، والمواد المعدنية المفيدة للجسم، وكذلك المواد المضادة للتأكسد. ومن أكثر الفيتامينات تواجداً في التوت هو فيتامين «سي» vit C ، الذي بدوره يعتبر مهماً جداً لكونه يساعد على امتصاص الحديد في الجسم، ويقوي الجلد ويحافظ عليه، بالإضافة إلى دوره في تقوية العظام والأسنان، وكذلك زيادة قدرة الجسم على التعافي من الأمراض.[1]

وفي موضع آخر من هذا الجزء جاء القسم بثمرتين مباركتين وذلك في قوله تعالى: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١﴾ «التين».

ففي هذه الآية تنويه بقيمة هاتين الشجرتين العظيمتين، ذات الثمار المباركة، حيث أقسم الله تعالى بهما لما لهما من الفوائد والمنافع.

فأولهما شجرة التين:

قال البقاعي -رحمه الله-: «ولما كان التين أحسن الفواكه تقويماً فيما ذكروا من فضيلته، وهو مع كونه فاكهة شهية حلوة جداً، غذاء يقيم الصلب وقوت كالبر وسريع الهضم، ودواء كثير النفع، يولد دماً صالحاً، وينفع الرئة والكلى، ويلين

(١) موقع الجمعية السعودية لطب الأسرة والمجتمع www.ssfcm.org

الطبع، ويحلل البلغم، ويزل رمل المثانة، ويفتح سدد الكبد والطحال، فكان جامعاً لجميع منافع المتناولات من الغذاء والتفكه والتحلي والتداوي، فهو كامل في مجموع ما هو فيه من لذة طعمه، وكثرة نفعه، وكونه كفاكهة الجنة بلا شائبة تعوق عن أكله من صنوان يتعب، أو نوى يرمى، مع أنه ينتفع به رطباً ويابساً...

وقد أثبتت الدراسات العلمية حقائق مذهلة عن هاتين الشجرتين..

فيعتبر التين من أكثر الفواكه والخضروات التي تحتوي على الألياف. حيث تحتوي حبة واحدة من التين على جرامين من الألياف (٢٠٪ من الاحتياج اليومي الموصى به).

وقد أظهرت دراسة خلال أكثر من خمسين سنة مضت، أن الألياف الموجودة في الأغذية النباتية، تؤدي دوراً فعالاً في تنشيط أداء الجهاز الهضمي. ولها دور مهم في أداء وظيفته الطبيعية، وتساهم أيضاً في التقليل من خطورة الإصابة ببعض أنواع السرطانات.

وبما أن التين يعتبر غنياً بالألياف؛ فقد وصفه مختصو التغذية كطريقة مثالية لزيادة نسبة ما يحتاجه جسم الإنسان من الألياف.

وقد أثبتت إحدى الدراسات التي أعدت في جامعة سكرانتن، أن التين المجفف والذي يعد من أكثر الفواكه غنىً بالألياف، فيه مستوى عالٍ من مركب الphenol.

ويستخدم مركب الـ phenol والذي يتوفر بنسب كبيرة في التين، كمطهر لقتل البكتيريا والجراثيم.

وأظهرت دراسة أخرى أجرتها جامعة رتجرز في نيوجرسي، أنه بحكم احتواء التين المجفف على omega 3- و omega 6- و phytosterol فإنها تقوم بدور مهم في التقليل من نسبة الكوليسترول. علاوة على ذلك، تعتبر الأحماض الدهنية ضرورية للإبقاء على الأداء الفعال للقلب، والدماغ، والجهاز العصبي.

وأما بالنسبة لـ phytosterol فإنه يسمح للكوليسترول الموجود في المنتجات الحيوانية بالخروج من جسم الإنسان، دون أن يظهر في الدم.

ويعتبر هذا النوع من الكوليسترول من المسببات الرئيسية لتصلب شرايين القلب.كما يحتوي على نسبة كبيرة من المعادن أكثر من أي فاكهة أخرى.

ومن هذه المعادن ما يلي:تحتوي ٤٠ جرام من التين على ٢٤٤ملغ من البوتاسيوم (٧٪ من الاحتياج اليومي)، و ١,٢ملغ من الحديد(٦٪ من الاحتياج اليومي)، و٥٣ملغ من الكالسيوم(٦٪ من الاحتياج اليومي).

والجدير بالذكر أن نسبة الكالسيوم الموجود في التين عالية جدا. حيث يحتل التين المرتبة الثانية بعد البرتقال فيما يتعلق باحتوائه للكالسيوم، كما تزود علبة من التين المجفف الجسم بالكالسيوم نفس ما تزوده علبة من الحليب.

ويشكل التين جزءاً مهما في أي حمية خاصة. وذلك لأن التين بطبيعة الحال لا يحتوي على الدهون، أو الصوديوم، أو الكوليسترول، ولكنه يحتوي على نسب عالية من الألياف.

لذا يعتبر التين غذاءً مثالياً للذين يريدون إنقاص أوزانهم.

كما أن التين يعتبر علاجاً، يعطي القوة والطاقة لأصحاب الأمراض المزمنة، الذين يريدون استعادة صحتهم. حيث يساعدهم على التخلص من المتاعب العقلية، والجسدية، وإعطاء أجسامهم القوة والطاقة.

ويوجد في التين أكثر العناصر الغذائية أهمية ألا وهو السكر، وحيث يوجد السكر في جميع الفواكه بنسبة ٥١-٧٤٪. أما النسبة الأعلى فهي موجودة في التين، كما أنه يدخل في علاج الربو والكحة والبرد.[١]

(١) www.saiedh.com

وقد تمكنت بعض شركات الصناعات الدوائية من استخراج مشروب من ثمار التين، لاستعماله علاجاً لبعض الالتهابات الصدرية، وخاصة السعال الديكى، والتهابات الحنجرة، والقصبة الهوائية على شكل غرغرة، وأيضا كمطهر للمعدة والأمعاء، وملين خفيف للأطفال، وقد تأكد للخبراء عمليا أن لثمار التين خصائص علاجية، تفوق المضادات الحيوية، والعقاقير المستعملة في حالات الحميات، للعمل على انخفاض درجة الحرارة، وتجرى حاليا عدة أبحاث طبية ودراسات أكاديمية، لمعرفة كيفية ومدى الاستفادة القصوى من الفوائد، والتأثيرات العلاجية للتين على بعض الحالات المرضية، وخاصة الحمى القرمزية، والحصبة، والجدري. ومدى مناسبة خلاصة التين لعلاج مرضى السكر في الدم أو البول.[١]

وأما الشجرة الثانية فهي شجرة الزيتون.

وهذه الشجرة يستخلص منها الزيت. وقد ورد في السنة تسميتها بالشجرة المباركة:

١- عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « **كُلُوا الزَّيْتَ، وَادَّهِنُوا بِهِ؛ فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ** »[٢].

٢- عن سلمة بن أبي سلمة عبد الرحمن، عن أبيه قال: سمعت عائشة تقول: وذكر عندها الزيت، فقالت: كان رسول الله ﷺ يأمر أن يؤكل، ويدهن، ويتسعط به ،ويقول: « **إنه من شجرة مباركة** ».[٣]

---

(١) www.ishraqa.com

(٢) الترمذي، محمد بن عيسى. **سنن الترمذي**، مرجع سابق، (٢٨٥/٤)، رقم الحديث(١٨٥١). وصححه الألباني في صحيح الترمذي (١٨٥٢)

(٣) البيهقي، أحمد بن الحسين. **شعب الايمان**، ط١٤١٠:١، دار الكتب العلمية، بيروت، (١٠٠/٥)، رقم الحديث(٥٩٤٠).

وقد أثبتت الدراسات الطبية الحديثة، الفوائد العلاجية الكثيرة لزيت الزيتون، والتي يمكن إجمالها فيما يلي:

• تناول زيت الزيتون يسهم في الوقاية من مرض شرايين القلب التاجية، وارتفاع كولسترول الدم، وارتفاع ضغط الدم، ومرض السكر، والبدانة، كما أنه يقي من بعض السرطانات.

• زيت الزيتون والإرضاع:

في دراسة نشرت في شهر فبراير ١٩٩٦ من جامعة برشلونة الإسبانية، وأجريت على ٤٠ مرضعاً، أخذت منهن عينات من حليب الثدي، وجد الباحثون أن معظم الدهون الموجودة في حليب الثدي كانت من نوع (الدهون اللامشبعة الوحيدة). (Monounsaturated Fats)، ويعتبر هذا النوع من أفضل الدهون التي ينبغي أن يتناولها الإنسان. وهو النوع الذي يشتهر به زيت الزيتون.

ويعزو الباحثون سبب تلك الظاهرة إلى كثرة تناول النساء في إسبانيا لزيت الزيتون.

• زيت الزيتون.. والتهاب المفاصل نظير الرثوي: Rheumatoid arthritis

أظهرت الدراسة أن تناول زيت الزيتون يمكن أن يسهم في الوقاية من حدوث هذا المرض، فالذين يتناولون كميات قليلة جدا من زيت الزيتون في طعامهم، كانوا أكثر عرضة للإصابة من أولئك الذين كان غذاؤهم غنيا بزيت الزيتون، ويعزو الباحثون سبب ذلك إلى الدهون غير المشبعة، ومضادات الأكسدة التي يحتوي عليها زيت الزيتون.

كما أظهرت الدراسة ذاتها أن الذين كانوا يكثرون من الخضراوات المطهية،

كانوا أيضا أقل عرضة للإصابة بهذا المرض.

- زيت الزيتون يقتل قمَّل الرأس:

أظهرت الدراسات التي أجريت في جامعة (Hebrew University) الأمريكية، وفي المعهد الأمريكي لقمل الرأس، أن وضع زيت الزيتون على الرأس المصاب بالقمل لعدة ساعات، يقتل القمل الموجود في الرأس.[١]

فما أعظم قدرة الله تعالى، في خلق هاتين الشجرتين المباركتين.

فكم فيهما من المنافع والفوائد الجمة التي لم يحط بها الإنسان. وإن الاكتشافات العلمية لتظهر كل يوم المزيد. فما بالك بغيرها من الأشجار والأطعمة.... فسبحان الله الخالق العظيم.

(١) باشا، حسان شمسي. **مجلة الإعجاز العلمي**، مكة المكرمة، العدد(٨)، «زيت الزيتون..أسرار وإعجاز»، WWW.nooran.org.

الفصل السابع

معالم التربية الاجتماعية

تمهيد

الإنسان مدني بطبعه، وهو فرد في مجتمعه الذي يعيش فيه، سواءٌ على المستوى المحدود داخل محيط الأسرة، أو على مستوى أوسع داخل الحي، أو المدينة التي يسكنها، أو على نطاق أوسع من ذلك كلِّه، في وسط الأمة المسلمة التي ينتمي إليها، بل إنه عضو في المجتمع الإنساني الذي ينتمي إليه الناس جميعاً، على مختلف ألوانهم، وأجناسهم، وأوطانهم، ولغاتهم، وأديانهم.

وقد جاء الإسلام للناس كافة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ ﴿سبأ﴾

فرسالة الإسلام رسالة عالمية لكل الناس، بل هي الرحمة التي تنقذهم من جحيم الجاهلية، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ ﴿الأنبياء﴾.

والإسلام هو الدين الخاتم والناسخ لما قبله، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِ ﴾ ﴿المائدة:٤٨﴾.

وقد جاء الإسلام بحلول لكل المشكلات المستعصية في العالم اليوم، في الجوانب السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، وغيرها.

ومن ثم فلا بد من تبليغ هذه الرسالة إلى الناس جميعاً، ولا بد أن يدرك المسلم دوره في هذه الحياة، وكيف يتعامل مع الآخرين ليبلغهم دين الله تعالى، فحين يتمثل المسلم الأخلاق الإسلامية، ويتعامل بها مع الناس؛ فإنه يؤثر فيهم أقوى من الأقوال والنظريات التي لا يرى الناس أثرها في السلوك والتعامل.

فإظهار محاسن الإسلام وقيمه من خلال التعامل والتعايش، كان هو الوسيلة لانتشار الإسلام بين كثيرمن الشعوب في أقاصي الأرض.

وفي هذا الجزء بعض المعالم والمفاهيم الاجتماعية، التي قررتها، أو أشارت إليها الآيات، فإذا فهمها المسلم، ومارسها في حياته الاجتماعية مع الناس؛ كان لها الأثر البالغ في كسب قلوبهم، وبناء مجتمع تسوده المحبة والوئام.

وهذه المعالم والمفاهيم يمكن حصرها في الأمور التالية:

١- بيان قيمة الإنسان.

٢- العدل في التعامل مع الناس.

٣- الإحسان إلى الناس ومعاونتهم.

المبحث الأول: بيان قيمة الإنسان:

لقد كرم الله تعالى الإنسان وشرَّفه على جميع المخلوقات، وأعطاه من القدرات والإمكانات ما لم يعطِ غيره:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾ ﴿الإسراء﴾.

وقد امتن الله على الإنسان بأنه خُلق في هيئة حسنة، ومُنح العقل ومُيِّز به دون غيره من المخلوقات: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ ﴾ ﴿الانفطار﴾

قال ابن كثير –رحمه الله-: «جعلك سَويا معتدل القامة منتصبها، في أحسن الهيئات والأشكال».

وقال قتادة -رحمه الله-: ﴿ فِيٓ أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴾ قال: قادرٌ- والله - ربنا على ذلك.

أي: أن الله عز وجل قادر على خلق النطفة على شكل قبيح من الحيوانات المنكرة الخلق، ولكن بقدرته ولطفه وحلمه يخلقه على شكل حسن مستقيم معتدل تام، حَسَن المنظر والهيئة.[1]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِيٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ ﴿التين﴾

قال ابن عاشور -رحمه الله-: « فأفادت الآية أن الله كوَّن الإنسان تكويناً ذاتياً مُتناسباً مع ما خلق له نوعه من الإعداد لنظامه وحضارته، وليس تقويم صورة الإنسان الظاهرة هو المعتبر عند الله تعالى، ولا جديراً بأن يقسم عليه؛ إذ لا أثر

(١) الدمشقي، إسماعيل بن كثير. **تفسير القرآن العظيم**، مرجع سابق، (٤/٦٢٠)

له في إصلاح النفس، وإصلاح الغير، والإصلاح في الأرض،وإنما هو متمّم لتقويم النفس قال النبي ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَادِكُمْ، وَلَا إِلَى صُوَرِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ**»[١] فإن العقل أشرف ما خُصَّ به نوع الإنسان من بين الأنواع». [٢]

لكن كثيراً من الناس عطَّل عقله عمَّا ينفعه؛ مما خلق له أصلاً من عبادة الله تعالى والقيام بحقوقه، بل سارع إلى اتباع شهواته، وعبادة هواه، فانحطَّ إلى أسفل الرتب في الدنيا والآخرة: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ۝٥ ﴾ «التين»

قال البقاعي-رحمه الله- : «فعطل منافع ما خلقناه له؛ فضيع نفسه وفوّت أسباب سعادته؛ ونكسناه نحن في خلقه...أي إلى ما تحت رتبة الجمادات المستقذرات، فصار يعمل الأعمال السيئات...فغلبت على عقله فأعمته حتى أوردته الموارد، وأوقعته في المهاوي والمعاطب». [٣]

إن قيمة الإنسان الحقيقية بإيمانه الذي يرتقي به عن سائر الناس، وبالتالي فهو معيار الفضل والتفاضل.

وعندما يدرك الإنسان قيمته، وكيف كرمه الله بما ميزه به عن غيره من المخلوقات، فلا بد له أن يتميز بما يحمله من معتقدات وأفكار، وأن يرتفع عن الانحطاط إلى أن يكون عبداً لشهوة الجسد ومتعه، فينحط إلى مرتبة الحيوانات.

ولتأكيد قيمة الإنسان المؤمن عند الله تعالى، جاء عتاب الله تعالى لرسوله ﷺ في مطلع سورة عبس، حين أعرض عن عبد الله بن أم مكتوم الأعمى، الذي

---

(١) النيسابوري، مسلم بن الحجاج. **صحيح مسلم**، مرجع سابق، (١٩٨٦/٤)، رقم الحديث(٢٥٦٤).

(٢) ابن عاشور، محمد الطاهر. **تفسير التحرير والتنوير**، مرجع سابق، (٣٠ /٤٢٤).

(٣) البقاعي، إبراهيم بن عمر. **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، مرجع سابق، (١٤٢/٢٢-١٤٤)

جاء مسترشداً طالباً زكاة نفسه وطهارتها، وفي ذلك تقرير واضح لا لبس فيه لقيمة الإنسان المؤمن، فإن الإيمان الذي يحمله والقيم التي يؤمن بها، ترتقي به وتسمو به، فينبغي أن يتبوأ مكانته التي يستحقها، ومنزلته التي يستأهلها.

يقول الله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ ۝٤ أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦ وَمَا عَلَيۡكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسۡعَىٰ ۝٨ وَهُوَ يَخۡشَىٰ ۝٩ فَأَنتَ عَنۡهُ تَلَهَّىٰ ۝١٠ كَلَّآ إِنَّهَا تَذۡكِرَةٞ ۝١١ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ۝١٢﴾ «عبس»

ونلحظ هاهنا أن الله تعالى ذكر هذا الموقف بكل تفاصيله، في تصوير بليغ كأن السامع يراه، وفي ذلك عناية بهذا الرجل الأعمى الذي قد لا يأبه له كثير من الناس.

لكن الله تعالى وصف هذا الموقف بكل تفاصيله؛ لأن المؤمن حري بهذه العناية الفائقة به، فقيمته ومنزلته عند الله تعالى ترفعه إلى هذا المقام، وتبلغه تلك المنزلة.

وفي المقابل إن رفعة الحسب، وعلو النسب، دون إيمان، وتقوى، لا تنفع صاحبها عند الله.

وفي قصة أبي لهب عمِّ النبي ﷺ تقرير واضح لهذه الحقيقة، فلما كان كافراً عدواً لله ولرسوله ﷺ وللمؤمنين؛ ما نفعه نسبه، بل إنه باء بالخيبة والخسران في الدنيا والآخرة:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصۡلَىٰ نَارٗا ذَاتَ لَهَبٖ ۝٣ وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ ۝٤ فِي جِيدِهَا حَبۡلٞ مِّن مَّسَدِۭ ۝٥﴾ «المسد».

وفي الحديث الصحيح: « **وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ** ».[١]

وكذلك الحال في المال والجاه، فبعض الناس يظن أنه بقدر كرامته على الله ومكانته عنده، يُوسِّع عليه في معيشته؛ ولكن القرآن أبطل هذا المفهوم ونفاه:

﴿ فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا ﴾ ﴿الفجر: ١٥-١٧﴾

كلا..فالعطاء الذي يناله الإنسان في الدنيا؛ ليس دليلاً على كرامته وفضله؛ بل هو امتحان وابتلاء.

وفي المقابل فليس الفقر دليلاً على مهانة الإنسان وحقارته؛ بل هو امتحان وابتلاء أيضاً.

فمن خلال هذا الإطار النظري الذي قررت فيه الآيات قيمة الإنسان ومكانته التي بوأه الله إياها؛ يترتب على ذلك أهمية حفظ كرامة هذا الإنسان، وحسن التعامل معه.

فلِمَ يحتقر الإنسان غيره ويتعالى عليه ؟

والإنسان في حقيقته هو هذا: ﴿ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴿٢٢﴾ ﴾ ﴿عبس﴾

وقد تقرر في الشريعة أن ميزان التفاضل هو التقوى: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ ﴿الحجرات: ١٣﴾

---

(١) النيسابوري، مسلم بن الحجاج. **صحيح مسلم**، مرجع سابق، (٤/٢٠٧٤)، رقم الحديث(٢٦٩٩).

وجاء في سورة العصر بيان القيمة الحقيقية للإنسان، فهي بقدر ما يحمله من الإيمان الذي يدفعه إلى العمل الصالح:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ۝٣﴾ «العصر»

المبحث الثاني: العدل في التعامل مع الناس:

العدل قيمة تربوية عظيمة، جاء الاهتمام بها في هذا الجزء، وذلك من خلال سورة سميت بسورة المطففين، والتي جاءت بعلاج الخلل في الموازين الحسية والمعنوية.

وأي قيمة لمجتمع يغيب فيه العدل وتضيع فيه الحقوق؟

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ قَالَ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ يَتَقَاضَاهُ دَيْنًا كَانَ عَلَيْهِ، فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ حَتَّى قَالَ لَهُ: أُحَرِّجُ عَلَيْكَ إِلَّا قَضَيْتَنِي، فَانْتَهَرَهُ أَصْحَابُهُ، وَقَالُوا وَيْحَكَ تَدْرِي مَنْ تُكَلِّمُ، قَالَ: إِنِّي أَطْلُبُ حَقِّي، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**هَلَّا مَعَ صَاحِبِ الْحَقِّ كُنْتُمْ**». ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى خَوْلَةَ بِنْتِ قَيْسٍ، فَقَالَ لَهَا: «**إِنْ كَانَ عِنْدَكِ تَمْرٌ فَأَقْرِضِينَا، حَتَّى يَأْتِيَنَا تَمْرُنَا فَنَقْضِيَكِ**»، فَقَالَتْ: نَعَمْ بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: فَأَقْرَضَتْهُ، فَقَضَى الْأَعْرَابِيَّ وَأَطْعَمَهُ. فَقَالَ: أَوْفَيْتَ أَوْفَى اللَّهُ لَكَ، فَقَالَ: «**أُولَئِكَ خِيَارُ النَّاسِ. إِنَّهُ لَا قُدِّسَتْ أُمَّةٌ لَا يَأْخُذُ الضَّعِيفُ فِيهَا حَقَّهُ غَيْرَ مُتَعْتَعٍ**»[1] [2]

ولقد كان هذا شأن المجتمعات الجاهلية قبل بعثة الرسول ﷺ، قال جعفر ﷺ للنجاشي حينما سأله عن رسول الله ﷺ: «أَيُّهَا الْمَلِكُ، كُنَّا قَوْمًا أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ، نَعْبُدُ الْأَصْنَامَ، وَنَأْكُلُ الْمَيْتَةَ، وَنَأْتِي الْفَوَاحِشَ، وَنَقْطَعُ الْأَرْحَامَ، وَنُسِيئُ الْجِوَارَ، يَأْكُلُ الْقَوِيُّ مِنَّا الضَّعِيفَ. فَكُنَّا عَلَى ذَلِكَ؛ حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْنَا رَسُولًا مِنَّا؛ نَعْرِفُ نَسَبَهُ وَصِدْقَهُ، وَأَمَانَتَهُ وَعَفَافَهُ». [3]

---

(١) أي من غير أن يُصيبه أذى يُقَلْقله ويُزْعجه.

(٢) القزويني، محمد بن يزيد. **سنن ابن ماجه**، مرجع سابق، (٢/٨١٠)، رقم الحديث(٢٤٢٦). وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (١٩٦٩).

(٣) النيسابوري، محمد بن إسحاق. **صحيح ابن خزيمة**،١٣٩٠، المكتب الإسلامي، بيروت، (١٣/٤)، رقم الحديث(٢٢٦٠). وصححه الألباني في فقه السيرة (١١٥)

ونلحظ أن هذه السورة -وهي مكية- جاءت لعلاج هذه المشكلة الاجتماعية، مما يدلل على أصالة قيمة العدل في منهج الإسلام، حتى قبل أن تكون للمسلمين قوة أو دولة.

يقول الله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣ أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٦﴾ ﴿المطففين﴾

إن العدل والإنصاف وإعطاء الآخرين حقوقهم كاملة مستوفاة، مطلب شرعي. وهو لا يقتصر على ما يتعلق بالمكاييل والموازين الحسية فحسب؛ بل إنه يشمل كافة ما يحتاج إلى تقييم، من الأمور المعنوية، كالحكم على الأشخاص، والمؤسسات، والبرامج، ونحو ذلك.

قال السعدي -رحمه الله-: «فدلت الآية الكريمة، على أن الإنسان كما يأخذ من الناس الذي له، يجب عليه أن يعطيهم كل ما لهم من الأموال والمعاملات، بل يدخل في عموم هذا الحجج والمقالات، فإنه كما أن المتناظرين قد جرت العادة أن كل واحد منهما يحرص على ماله من الحجج، فيجب عليه أيضًا أن يبين ما لخصمه من الحجج التي لا يعلمها، وأن ينظر في أدلة خصمه كما ينظر في أدلته هو، وفي هذا الموضع يعرف إنصاف الإنسان من تعصبه واعتسافه، وتواضعه من كبره، وعقله من سفهه».[1]

فينبغي الحرص على التحلي بالعدل والإنصاف في التعامل مع الناس، سواء كان ذلك في المعاملات المالية كالبيع والشراء ونحوهما، أو في الأمور المعنوية كالقول، والشهادة، وتقييم الأشخاص، أو الكتب، أو المؤسسات، ونحو ذلك...

(١) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مرجع سابق، (٩١٥).

ومـن أعظم الخلل الحاصل في المجتمع اليوم، الجهل بهذه القيمة أو التغافل عنها. فترى مِن الناس مَن يتتبعون عثرات غيرهم، ويفرحون بزلاتهم، ويضخمون أخطاءهـم، فهـم لا ينظـرون إلا بعيـن البحث عـن الأخطاء. وينسـون المحاسن أو يتناسونها.

قال الشافعي -رحمه الله-:

وَعَينُ الرِضا عَن كُلِّ عَيبٍ كَليلَةٌ وَلَكِنَّ عَينَ السُخطِ تُبدي المَساوِيا[1]

(١) الشافعي، محمد بن إدريس. **ديوان الإمام الشافعي**، جمع و تعليق:د. أحمد ستيوي، ١٤٢٤، دار الغد الجديد، المنصورة، (١٨٤)

المبحث الثالث: الإحسان إلى الناس ومعاونتهم:

وهذه قيمة اجتماعية مهمة، تضافرت في الحث عليها الآيات في هذا الجزء في غير ما موضع.

ومن خلال تأمل الآيات؛ نرى ذلك التلازم الواضح بين الإيمان والإحسان إلى المحتاجين:

يقول تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿١﴾ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣﴾﴾ ﴿الماعون﴾.

وجاء في سورة الفجر ذم الذين لا يهتمون بأحوال المحتاجين: ﴿كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾﴾

وعَنِ عبد الله بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَجُلا جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ ؟ وَأَيُّ الأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ، وَأَحَبُّ الأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ سُرُورٌ تُدْخِلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ، أَوْ تَكْشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً، أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دِينًا، أَوْ تُطْرَدُ عَنْهُ جُوعًا، وَلأَنْ أَمْشِيَ مَعَ أَخٍ لِي فِي حَاجَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ، يَعْنِي مَسْجِدَ الْمَدِينَةِ، شَهْرًا، وَمَنْ كَفَّ غَضَبَهُ سَتَرَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ كَظَمَ غَيْظَهُ، وَلَوْ شَاءَ أَنْ يُمْضِيَهُ أَمْضَاهُ، مَلأَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قَلْبَهُ أَمْنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ مَشَى مَعَ أَخِيهِ فِي حَاجَةٍ حَتَّى أَثْبَتَهَا لَهُ، أَثْبَتَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قَدَمَهُ عَلَى الصِّرَاطِ يَوْمَ تَزِلُّ فِيهِ الأَقْدَامُ**».[1]

---

(١) الطبراني، سليمان بن أحمد. **المعجم الأوسط**، ١٤١٥، دار الحرمين، القاهرة، (١٢٩/٦)، رقم الحديث(٦٠٢٦). وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢٦٢٣)

فنفع الناس ومعونتهم من أحب الأعمال إلى الله.

وهو من أعظم ما يصلح القلب، ويزيل قسوته:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، أَنَّ رَجُلًا شَكَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ قَسْوَةَ قَلْبِهِ، فَقَالَ: «**امْسَحْ رَأْسَ الْيَتِيمِ وَأَطْعِمْ الْمِسْكِينَ**».[1]

بل إن الامتناع من عونهم هو صفة من صفات المكذبين بالدين، والمرائين بأعمالهم: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝٦ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ۝٧﴾ «الماعون»

وقد تنوعت عبارات المفسرين في المقصود بالماعون، وهي تدل في مجملها على ما نحن بصدده من أهمية الإحسان إلى الناس ونفعهم:

قال ابن الجوزي -رحمه الله-: «وفي «الماعون» ستة أقوال: أحدها: أنه الإبرة، والماء، والنار، والفأس، وما يكون في البيت من هذا النحو. والثاني: أنه الزكاة. والثالث: أنه الطاعة. والرابع: المال. والخامس: المعروف، والسادس: الماء».[2]

فالامتناع عن معونة المحتاجين من الصفات الذميمة التي يترفع عنها المؤمن.

ومن فضائل الإحسان إلى الناس أنه مما يهون على الإنسان أهوال يوم القيامة؛ كما جاء في حديث ابن عمر السابق.

---

(١) الهيثمي، علي بن أبي بكر. **مجمع الزوائد**، مرجع سابق، (١٦٠/٨). وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٢٩٠)ز

(٢) الجوزي، عبد الرحمن بن علي، **زاد المسير في علم التفسير**، مرجع سابق، (٢٤٥/٩-٢٤٦).

وقد جاء تقرير ذلك وتأكيده في سورة البلد:

﴿ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ﴾

ومعنى الآيات إجمالاً: «أفلا دخل في هذا الطريق الصعب؟ وما أعلمك عن هذا الطريق؟ إنه القيام بهذه الأعمال الصالحة المذكورة بعد هذه الآية، وهي: عتق المسلم من الرق، وتقديم الطعام للقريب الذي فقد أباه وهو دون سن البلوغ، وللمحتاج الذي لصق بالأرض من شدة الفاقة، تقديمه في اليوم شديد المجاعة».[١]

فهذه أعمال جليلة مما فيه نفع الناس ومعونتهم، وفيها نوع مشقة على النفس، حيث فيها بذل المال، فشُبهت «بعقبة الجبل، وهو ما صعب منه، وكان صعوداً، فإنه يلحقه مشقة في سلوكها».[٢]

«وقد خصّ الله عز وجل بالذكر عتق الرقاب، وإطعام اليتامى من الأقربين، والمساكين من الفقراء الحقيقيين، في أيام المجاعات، اهتماماً بالتوجيه للفضائل الاجتماعية العظمى...ومعلوم أنه لا يعتق الرقبة إلا من يقتحم عقبة من عقبات نفسه، بحسب قيمة الرقيق المالية، أو بحسب تعلق مالكه به..والأنْفُسُ في أيام المجاعات تكون أكثر شحاً بالطعام من سائر الأيام، لحاجة المُطعِم إليه، أو شدة تعلق نفسه به، خوف حاجته المستقبلية له، إذ هو قوت البقاء في الحياة، فتعظم بذلك عقبة النفس التي تتطلب اقتحاماً».[٣]

---

(١) الطيار، مساعد بن سليمان. **تفسير جزء عمّ**، ط١: ١٤٢٠، دار ابن الجوزي، الدمام، السعودية، (١٥١).

(٢) الأندلسي، محمد بن يوسف بن حيان. **البحر المحيط**، مرجع سابق، (٤٧٦/٨).

(٣) الميداني، عبد الرحمن حسن. **معارج التفكر ودقائق التدبر**، مرجع سابق، (٢٠٣/٣- ٢٠٥)، بتصرف يسير..

ومن اقتحم هذه العقبة التي هي للأعمال الصالحة، اقتحم عقبة الصراط، فكانت سهولتها عليه، بقدر مكابدته لهذه، واستراح من تلك المكابدات والأحزان والهموم، وصار إلى حياة طيبة: قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ ﴿النحل﴾

واقتحامها بأن يرتحل من عالمه السافل، إلى العالم العالي الكامل، الذي ليس فيه إلا اللذة.[1]

فينبغي للمسلم أن يتحلى بهذه الإيجابية؛ فهي صفة مهمة في الشخصية الإسلامية؛ ينتج عنها صفات كثيرة، كالكرم والإحسان إلى الناس؛ مما يقوي أواصر الترابط، ويتألف القلوب النافرة، بل حتى القلوب الكافرة.

(١) البقاعي، إبراهيم بن عمر. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، مرجع سابق، (٦١/٢٢).

التطبيقات والفوائد التربوية
لمعالم التربية القرآنية في جزء عمّ

بعد هذا الاستعراض لهذه القيم والمفاهيم التربوية، نأتي إلى المقصد الأهم من مقاصد هذه الدراسة، وهو كيف يمكن أن نستفيد من هذه المعالم في تطبيقات تربوية، نسعى إلى تنفيذها، وتطبيقها في الحياة التربوية العملية؟

أولاً : بعض التطبيقات التربوية لمعالم التربية الاعتقادية:

١- تعريف الناشئة بأركان الإيمان، والعناية بترسيخ اليقين بها في نفوسهم عند حفظ هذه الآيات أو قراءتها.

فما أجمل أن يجلس الأب أو المعلم مع طلابه في حلقة مدارسة لهذه الآيات، ثم يقف معهم عند ذكر أركان الإيمان؛ فيبدأ في شرح معانيها، وبيان آثارها في حياة الإنسان.

فليس يكفي فقط أن يُعنى الأب، أو المعلم بتحسين تلاوة طلابه، أو اتقانهم في الأداء، بل لا بد أن يكون هناك هدف أكبر من ذلك و أبعد.

فعندما يتعلم المتربي أن هذه القضايا العقدية ليس نظريات تسبح في عالم الخيال، أو مثاليات تحلق في سماء الفضيلة، لكنها قيمٌ ومفاهيمُ وتصوراتٌ تصوغ الحياة في ظلال العقيدة؛ لينال الفرد فيها السعادة، والراحة، والطمأنينة، ومن ثم ينعكس ذلك على حياة المجتمع كلِّه.

٢- حث المتربين على الإكثار من الأعمال الصالحة، والحذر من الأعمال السيئة.

لقد جعل الله ملائكة موكلين بإحصاء جميع أعمال العباد، خيرِها، وشرِّها، ليجازى كل عامل بما عمل.

فحين يغرس هذا الشعور في ذهن المتربي؛ فإنه يثمر المسابقة، والمنافسة في ميادين الطاعات والقربات، فتترقى النفس في مدارج الكمال.

كما يثمر استشعارُ حضور الملائكة الكرام معه الترفع عن فاحش القول، ودنيء الأخلاق.

فالمراقبة الذاتية مطلب ملحٌّ في التربية؛ فالمربي لن يكون دائم الحضور مع المتربي في كلِّ أحواله؛ فيلْحظ أفعاله، وأقواله، لكنه حين يغرس فيه هذه المراقبة؛ فلا يخشى عليه ضعفاً أو فتوراً إذا غاب المربي، أو ابتعد المتربي.

٣- التأكيد على تعظيم وصيانة المصحف الشريف من العبث والامتهان، فإنه كلام الله سبحانه وتعالى؛ فيجب أن يعظَّم ويحترم.

وكثيراً ما نلحظ من أولادنا في المدارس والبيوت عدم العناية، والاهتمامِ بالمصحف، فلا تكاد عينك تخطىء هذه المظاهر: العبث بغلاف المصحف وأوراقه .. الكتابة عليه .. تناوله وتصفح أوراقه بشكل لا يليق .. إهماله بعد قراءته بوضعه في مكان لا يليق به أو بشكل لا يليق به .. إلى غير ذلك من الممارسات الخاطئة في التعامل مع المصحف.

كل هذه الممارسات وغيرها يمكن القضاء عليها، أو التخفيف منها؛ عندما نربيهم على تعظيم القرآن الكريم وإجلاله، فيكون ذلك طبعاً، وسجية من سجاياهم.

٤- غرس محبة النبي ﷺ وإجلاله في نفوس المتربين.

فمن خلال استعراض بعض دلائل نبوته ﷺ الواردة في آيات هذا الجزء. يمكن أن يجد المربي مادة جيدة لهذا المفهوم التربوي.

وبالأخص في ظل الاستهداف المتكرر لشخصه ﷺ من بعض سفهاء اليهود والنصارى، فيدفعنا ذلك لتعليمهم سيرته ﷺ ومغازيه كما نعلمهم القرآن الكريم، وقد كان ذلك من هدي السلف الصالح رحمهم الله.

قال علي بن الحسين بن علي رضي الله عنهما: "كنا نُعلَّم مغازي النبي ﷺ وسراياه كما نعلم السورة من القرآن"[1]

ولعل من البرامج العملية المجرَّبة في ذلك، وجود مجلس مُدارسة للسيرة، يُعقد في البيت، أو في المدرسة، أو في المسجد، يجتمع فيه الصغير والكبير؛ لسماع طرف من سيرته ﷺ، لنستفيد منها في حياتنا .

---

(١) الخطيب البغدادي، أحمد بن علي. **الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع**، ٢٠٠٣، دار الكتب العلمية، بيروت، (١٩٥/٢).

ثانياً: بعض التطبيقات التربوية لمعالم التربية الروحية :

١- المعايشة المستمرة للمتربين في جميع أحوالهم.

فهذه من أهم الوسائل المعينة على التعرف على احتياجاتهم التربوية؛ ومن ثَمَّ تقديم التوجيه المناسب، والوعظ المؤثر، والنصيحة الصادقة.

وفي الحقيقة إن من أعظم ما يفتقده المتربون مسألة المعايشة والمخالطة. فتجد الكثير منا يحسن التنظير والتقعيد لمسائل التربية، لكننا نفشل فشلاً ذريعاً في تحويل تلك النظريات والقواعد إلى واقع ملموس، وبرامج عملية.

ونزيد الأمر وضوحاً فنقول:

كم هو نصيب أولادنا من أوقاتنا في اليوم أو الأسبوع ؟

كم هو نصيب أولادنا من همومنا و تفكيرنا ؟

كم ننفق من أموالنا على البرامج التربوية التي نقدمها لهم ؟

وفي ظل هذا الواقع الخطير الذي يعيشه المتربون ويتأثرون به، فإن الحاجة مُلِحَّة لشخصياتٍ واعية تتفهم مشكلات الشباب وتتفاعل معها، ومن ثم تقدم لهم العلاج الناجع، والدواء الشافي لتلك المشكلات والقضايا.

إن الوالد المشغول بدنياه ورغباته عن المهمة الأساسية له، وهي التربية والتزكية لأولاده هو من أعظم أسباب انحراف الشباب وجنوحهم.

قال ابن القيم – رحمه الله – : "فمن أهمل تعليم ولده ما ينفعه، وتركه سدى؛ فقد أساء إليه غاية الإساءة. وأكثر الأولاد إنما جاء فسادهم من قبل

الآباء، وإهمالهم لهم، وترك تعليمهم فرائض الدين وسننه، فأضاعوهم صغاراً؛ فلم ينتفعوا بأنفسهم، ولم ينفعوا آباءهم كباراً، كما عاتب بعضهم ولده على العقوق، فقال: يا أبت إنك عققتني صغيراً؛ فعققتك كبيراً، وأضعتني وليداً؛ فأضعتك شيخاً" (١)

٢- ترسيخ مبدأ المحاسبة الدورية للنفس.

فحينما يُعود المتربي على المحاسبة المستمرة لنفسه بين وقت وآخر، فإنه يستطيع تَلَمُّسَ مواطنِ الخلل والتقصير في نفسه، ومن ثم يبدأ في علاجها وتلافيها.

فتذكير المتربي بهذه المسألة عندما يقرأ آيات هذا الجزء ويتدبرها؛ له أثرٌ كبيرٌ في تزكية نفسه وتطهيرها.

وهكذا النفس البشرية تحتاج دوماً إلى مراقبة ومحاسبة؛ وإلا غلبتْ عليها وسائل الانحراف والضلال، وتمادى بها البعد عن الصراط المستقيم.

٣- الحث المستمر على توثيق الصلة بالله سبحانه وتعالى.

وذلك بالاجتهاد في سائر العبادات القلبية، والفكرية، والقولية، والبدنية، والمالية، وقد فصَّلت القول في هذا في ثنايا صفحات الدراسة.

٤- المحافظة على الأذكار الشرعية التي تحصِّن الإنسان من الغوائل والشرور.

ففي هذا الجزء سورتا الفلق والناس، وفيهما من الاستعاذة ما هو معلوم، فحري بالمربي أن يغرس هذا الأمر في المتربي ليكون من الأعمال الأساسية في يومه وليلته.

(١) الدمشقي، محمد بن أبي بكر. تحفة المودود بأحكام المولود، ط١، ١٣٩١، مكتبة دار البيان ، دمشق،(٢٩١)

ثالثاً : بعض التطبيقات التربوية لمعالم التربية الفكرية :

١- حث المتربين على إعمال فكرهم في كل ما يرونه من مخلوقات الله سبحانه وتعالى .

فكثيراً ما تتاح فرصة للإنسان لينظر في ملكوت السموات والأرض، وما جعل الله فيها من دلائل عظمته وتوحيده.

وعندما يقرأ الطالب في كتب العلوم الطبيعية، ويتعرف على كثير من المعلومات التفصيلية عن مكونات جسم الإنسان، أو عندما يقف على معلومات مذهلة عما في هذا الكون الفسيح من دلائل عظمة الله سبحانه وتعالى، ودقائق صنعه؛ فإن ذلك يزيد إيمانه، ويزكي نفسه.

وهنا يكمُن دور مهمٌ جداً لمعلمي العلوم الطبيعية؛ فلا ينبغي أن يكتفوا بسرد المعلومات على الطلاب، ليعيدوا ذكرها حينما يُسألون عنها في أي وقت !! بل لا بد من الحرص أن تكون تلك المعلومات، مما يزيد إيمانهم بالله سبحانه وتعالى، ويغرس تعظيمهم له، وحبهم إياه.

وعندما تذهب الأسرة في نزهة أو سفر، فيرون من بديع صنع الله في الكون ما يرون، فهنا ينبغي على الأب أن يغتنم هذه الفرصة؛ للحثِّ على التفكر، والتأمل في دلائل عظمة الله تعالى، ووحدانيته.

٢- التذكير بخطورة المعاصي والذنوب، وسوء عاقبتها.

فآيات ذكر عاقبة المكذبين ومآلهم كثيرة في هذا الجزء؛ فيحتاج المربي أن يذكر بتدبرها وتأملها باستمرار؛ ومن ثَمَّ يحذّر الناشئة من المعاصي والذنوب، ويبين سوء عاقبتها.

رابعاً: بعض التطبيقات التربوية لمعالم التربية في الدعوة والإصلاح :

١- التمسك بالثوابت والمسلَّمات الشرعية، والدفاعُ عنها، وعدمُ تمييع هذه القضايا، مهما كانت الدواعي والمبررات.

فمن الملاحظ أن بعض الناس قد يجتهد في جانب تجديد الخطاب الدعوي – كما يسمى الآن - للوصول إلى شرائح مختلفة من المجتمع؛ فتراه يقع في بعض المخالفات الشرعية، ويتوسع في هذا الجانب بحجة تأليف القلوب، وجذبها إلى الدعوة والخير.

وهذا مزلق خطير زلت فيه أقدام، وأقلام، وأفهام، وبدأ يظهر لنا خطاب دعوي جديد، فيه من التجاوزات والأخطاء شيءٌ كثير .

فمن الضروري جداً غرس هذا المفهوم القرآني المهم، وتوضيح جميع جوانبه؛ حتى لا يبقى المتربي ضعيف التأصيل الشرعي؛ فيتأثر أو يتبنى تلك المفاهيم المغلوطة.

٢- العناية بالنجباء والموهوبين، والتركيز على تربيتهم وإعدادهم؛ ليكونوا سواعد تبني مجدَ الأمة، وتشيد صرح حضارتها.

وهناك جهود تبذلها المؤسسات المعنية بالموهوبين؛ لكنها ما زالت دون المطلوب بكثير...

فينبغي أن تُطوَّر برامجُها، وأن تستفيد من الدراسات الأكاديمية الكثيرة، والبرامج العملية المنفذة في العالم المتقدم، الذي سبقنا إلى العناية بهذه الجوانب.

وهـذا لا يعنـي إلغـاء الـدور الفردي للمربـي، سـواءً كان أباً أو معلمـاً، في رعاية هـذه المواهـب، وصقلها، وتنميتهـا، عبر البرامـج التدريبية، والعلميـة المتنوعة، كالقراءات الموجهة، والبحوث العلمية ونحو ذلك.

ومن هنا فلا بد أن يُعنى المربي بذلك التلميذ النجيب عناية فائقة، فلا يُهمله أو يسـيء التعامل معـه؛ فتخبو أمارات نجابته وذكائـه، أو تقتل مواهبه وإبداعاته، في غمرة الجهل، أو الإهمال.

ولا بد كذلك من إعداد المعلمين؛ ليكونوا مؤهلين للقيام بهذا الدور التربوي المهم .

٣- تعليم المتربي فقه المصالح؛ ليحسن التعامل مع المواقف الحياتية المختلفة.

وهذه المسألة تحتاج إلى أمرين :

أولهمـا : الاستعانة بـالله سبحانه وتعالى، واللجوء إليـه؛ ليلهمه الصواب في تصرفاته وأحكامه.

قال علي رضي الله عنه:

إذا لم يكن عون من الله للفتى فأكثر ما يجني عليه اجتهاده

ثانيهمـا: المعايشـة حيث يتلقـى المتربي هذا الفقه فـي التعامل من المربي، حينما يراه في تعامله مع المواقف المختلفة.

٤- غرس روح التفاؤل في نفس المتربي، والبعد النظرة المتشائمة للحياة.

فالحيـاة الدنيـا طبعـت هكـذا مليئـة بالمنغصـات والمكـدرات، ولكـنَّ الإنسـان المؤمنَ الواثقَ بالله، المعتمدَ عليه، الآخذَ بأسباب الوصول إلى مراده، دائماً ينظر إلـى المستقبـل المشـرق، ويسعـى إليـه جاهـداً - وهـو يعلـم أن الله لا يخيب سعي المجتهد - لتحقيق أهدافه، وبلوغ أمنياته.

وهكذا ينبغي أن تعمق هذه المفاهيم من خلال الآيات الواردة في ثنايا هذا الجزء.

خامساً: بعض التطبيقات التربوية لمعالم التربية الأخلاقية :

١- تعويد المتربي على حسن الخطاب، والتلطف مع الآخرين.

وفي الحقيقة إن من الصفات المفقودة عند كثير من الناس، اللطف في الحديث، وانتقاء أحسن العبارات عند الكلام، وهذا الأمر ينعكس على المتربي بشكل كبير جداً.

فتعويد المتربين على آداب الحديث والخطاب، مطلب مهم جداً، ويستطيع المربي من خلال تتبع بعض الدلائل والإشارات في آيات هذا الجزء؛ أن يَغرس هذا الخلقَ الحميدَ، ويتعاهد المتربي في تطبيقه.

٢- غرس مبدأ الجدية في حياة المتربي، والحرص على اغتنام الأوقات بما يفيد.

فتعويد المتربي على هاتين الصفتين؛ مطلب مُلِحٌّ جداً، وبالذات في ظل الواقع السيء، الذي يعيشه كثيرٌ من الشباب، فلقد انتشرت بينهم مظاهر متعددة من الانحراف السلوكي، والبِطالة، وإهدار الأوقات.

ومن أبرز الأمثلة المشاهدة على ذلك، التشبه الصارخ بين الجنسين، سواء كان في اللباس، أو تصفيف الشعور، أو غير ذلك.

كذلك الإهمال الكبير من كثير من الشباب لدراسته، أو وظيفته، أو ممتلكاته الشخصية.

كذلك السهر، وإمضاء الأوقات الطويلة على شاشات القنوات الهابطة، أو مواقع الانترنت السيئة، أو الجلسات الفارغة في الحدائق، أو الاستراحات، أو على شواطىء البحار ... والأمثلة كثيرة في هذا الجانب..

وبقدر حجم المشكلة التي يعاني منها المربون والمعنيون بالشباب؛ فلا بد أن تكون الحلول عمليةً ومدروسةً ومخططاً لها.

ومن هنا فإنه يتحتم تفعيل دور المؤسسات المعنية بالشباب، لوضع البرامج والخطط التي ترتفع باهتماماتهم، وأفكارهم، وتُدرِبُهم على التخطيط الهادف؛ لبناء مستقبل مشرق، تتحقق فيه غاياتهم وأهدافهم..

٣- توضيح حقيقة الحياة الدنيا ومتاعها الزائل.

في غمرة الحياة المادية التي يعيشها الناس في الوقت الحاضر؛ أصبحت النظرة المادية للأمور هي مقياس التفاضل، وأساس التعامل بينهم .

وحين غاب عن أذهانهم هذا المفهوم القرآني العظيم فيما يتعلق بحقيقة الدنيا وطبيعتها ؛ تهافتوا على حطامها، وتسابقوا إلى متاعها ، مما دفع بهم نحو الانحراف في تحصيل رغبات النفوس وشهواتها دون اعتبار لما يحل أو يحرم من ذلك .

لذلك فلا بد من ترسيخ هذا المفهوم القرآني لدى المتربين؛ لتستقيم حياتهم على ما يرضى الله سبحانه وتعالى .

ولا بأس بعد ذلك بتحصيل ما يستطيع الإنسان من متاع هذه الحياة؛ شريطة أن يكون بطريق مشروعة، وألا يلهي عن المهمات، ولا يصدَّ عن الواجبات.

سادساً: بعض التطبيقات التربوية لمعالم التربية الجسمية:

١- العناية بتدريب الشباب على الألعاب الرياضية النافعة لأجسامهم.

فتقوية البدن مطلبٌ شرعيٌّ؛ لأنه مطيَّة الإنسان في العمل الصالح؛ فكلما قوي الجسم؛ كان أقدر على أداء الواجبات الشرعية، والقيام بالوظائف الاجتماعية.

ولا بد أن يكون ذلك باعتدالٍ وتوازنٍ مع بقية الاحتياجات الضرورية للنفس، فلا يشتطَّ المتربي في جانب العناية بالرياضة الجسمية، ويهملَ رياضة النفس والقلب بأنواع اللطائف من العلوم والحكم؛ فكلاهما مطلب مهم للإنسان لا غنى له عنه.

وفي آيات هذا الجزء إشارة إلى رياضة الفروسية، وهي رياضة من أجمل الرياضات، وفيها من المنافع والفوائد الجسمية والتربوية الشيء الكثير؛ فينبغي أن يعنى بهذه الرياضة وأن تنشأ لها الأندية الخاصة بها.

٢- وقاية المتربي من الأغذية الضارة، وتحذيره منها.

وفي هذا العصر انتشرت كثير من الأغذية الضارة، التي يقبل عليها الشباب بنَهَمٍ وشَرَهٍ، كالمأكولات السريعة، والمشروبات الغازية، ومشروبات الطاقة، والمعلبات المضاف إليها المواد الحافظة، ونحو ذلك ...

وقد أثبتت الكثير من الدراسات، والبحوث الطبية أضرارها البالغة.

فتصحيح العادات الغذائية للمتربين، وحثُّهم على تناول المفيد منها، هي إحدى الإشارات التربوية في آيات هذا الجزء.

٣- التوازن في إعطاء الجسم حظَّه من النوم والراحة.

فالإنسان يبذل جهداً كبيراً في ساعات يومه وليلته، ويستهلك قدراً كبيراً من طاقته الكامنة في جسمه، مما يتحتَّم معه إعطاءُ الجسم حظَّه من النوم، بالشكل المناسب، وعدم إرهاقه والإثقال عليه؛ لأن ذلك يضعف تركيزه وتفكيره، ويفقده حسن التصرف في كثير من المواقف.

وقد ذكرتُ في ثنايا البحث بعض الدراسات العلمية المتعلقة بهذا الجانب.

وفي الحقيقة إن هناك خللاً كبيراً يقع فيه كثير من الشباب في هذا الجانب؛ وبالأخص في أيام الإجازات السنوية أو الأسبوعية؛ حيث يضطرب نظام النوم عند كثير منهم؛ مما يُهدر الأوقات، ويُفوِّت كثيراً من المصالح، ويؤدي إلى ارتكاب كثير من الأخطاء والسلبيات.

سابعاً: التطبيقات التربوية لمعالم التربية الاجتماعية:

١- تعويد الشباب على انتهاج العدل في التعامل مع الناس.

فالعدل قيمة كبيرة في الحياة، وصفة من أهم صفات المسلم، وهو ليس مطلوباً فقط في الفصل بين المتنازعين؛ بل إن مجالاته أوسع من ذلك وأكبر، فهي تشمل جميع مجالات التعامل بين الناس.

ولذلك فمن الأخطاء التي يقع فيها كثيرٌ من الشباب؛ النظرة القاصرة في تقييم الأمور؛ حيث يغلب على كثير منهم النظرة الجزئية إلى الأشياء دون شمولية، أو استيعاب لكل الجوانب، أو تكون نظرتهم مستعجلة دون تمعنٍ ولا تروٍ؛ وبالتالي ينعكس ذلك على اتخاذ المواقف، وإصدار الأحكام تجاه الأشخاص، أو الأعمال أو المؤسسات.

٢- غرس صفة الإحسان إلى الناس ومعاونتهم.

إن من المهم جداً في تربية الشباب غرس الروح الإيجابية فيهم، وإشعارهم بالنعم والميزات التي يتمتعون بها؛ حين يقارنون أوضاعهم المادية بأوضاع محدودي الدخل ومستوري الحال.

وبالتالي فلا بد من وضع برامج عملية لتعويدهم على البذل والعطاء، وهذه الصفة إذا غرست في الطفل من الصغر، أصبحت عادة وخُلُقاً أصيلاً في نفسه عند الكبر.

وحين يقوم الأب مع أولاده، أو المعلم مع طلابه، ببعض البرامج العملية في ذلك؛ مثل توزيع الأغذية والأرزاق، أو الزكوات والصدقات على المستحقين، أو

حيـن يخصص صندوق في المنزل، أو المدرسة، أو الحلقة؛ ثم تجمع فيه المبالغ اليسيـرة؛ ثـم تعطـى للمستحقيـن، فلا شك أن ذلـك يربي في الناشئـة روح البذل والعطاء، ويذكرهم بأحوال الفقراء والمعوزين.

المفاهيم والفوائد التربوية في جزء عمّ:

تتميماً للفائدة فسوف أسرد هنا ما مرَّ في ثنايا البحث، من فوائد ومفاهيم تربوية، بشكل نقاط مختصرة، على مقاطع آيات هذا الجزء.

سورة النبأ

﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٢﴾ ٱلَّذِي هُمۡ فِيهِ مُخۡتَلِفُونَ ﴿٣﴾ كَلَّا سَيَعۡلَمُونَ ﴿٤﴾ ثُمَّ كَلَّا سَيَعۡلَمُونَ ﴿٥﴾ أَلَمۡ نَجۡعَلِ ٱلۡأَرۡضَ مِهَٰدٗا ﴿٦﴾ وَٱلۡجِبَالَ أَوۡتَادٗا ﴿٧﴾ وَخَلَقۡنَٰكُمۡ أَزۡوَٰجٗا ﴿٨﴾ وَجَعَلۡنَا نَوۡمَكُمۡ سُبَاتٗا ﴿٩﴾ وَجَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ لِبَاسٗا ﴿١٠﴾ وَجَعَلۡنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشٗا ﴿١١﴾ وَبَنَيۡنَا فَوۡقَكُمۡ سَبۡعٗا شِدَادٗا ﴿١٢﴾ وَجَعَلۡنَا سِرَاجٗا وَهَّاجٗا ﴿١٣﴾ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡمُعۡصِرَٰتِ مَآءٗ ثَجَّاجٗا ﴿١٤﴾ لِّنُخۡرِجَ بِهِۦ حَبّٗا وَنَبَاتٗا ﴿١٥﴾ وَجَنَّٰتٍ أَلۡفَافًا ﴿١٦﴾﴾

- **إثبات البعث.**
- **الإقرار بتوحيد الربوبية؛ طريق إلى الإقرار بتوحيد الألوهية.**
- **التفكر في المخلوقات؛ مما يزيد الإيمان، ويعمق الشعور بعظمة الله تعالى.**

﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَٰتًا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا ﴿٢٢﴾ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ كِتَٰبًا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ﴿٣٥﴾ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾ رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴿٣٩﴾ إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا ﴿٤٠﴾﴾

- **الإيمان باليوم الآخر الذي يكون فيه فصل القضاء بين الخلائق.**
- **وصف الجنة بأوصاف تشوق المؤمنين إليها.**
- **وصف النار بأوصاف تخلع القلوب فرقاً منها.**
- **الإيمان بصفة العلم من صفات الله تعالى.**
- **أدب الملائكة الكرام بين يدي الله تعالى.**
- **الاستعداد للحساب والوقوف بين يدي الله تعالى.**
- **الجزاء من جنس العمل.**
- **بيان بعض أهوال يوم القيامة.**

سورة النازعات

﴿ وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا ١ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشۡطٗا ٢ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبۡحٗا ٣ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبۡقٗا ٤ فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا ٥ يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ٦ تَتۡبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ٧ قُلُوبٞ يَوۡمَئِذٖ وَاجِفَةٌ ٨ أَبۡصَٰرُهَا خَٰشِعَةٞ ٩ يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرۡدُودُونَ فِي ٱلۡحَافِرَةِ ١٠ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا نَّخِرَةٗ ١١ قَالُواْ تِلۡكَ إِذٗا كَرَّةٌ خَاسِرَةٞ ١٢ فَإِنَّمَا هِيَ زَجۡرَةٞ وَٰحِدَةٞ ١٣ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ١٤ ﴾

- **الإيمان بالملائكة الكرامُ وبصفاتهم المذكورة في الآيات.**
- **بيان بعض أهوال يوم القيامة.**
- **إثبات البعث.**

﴿ هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ١٥ إِذۡ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ١٦ ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ١٧ فَقُلۡ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ١٨ وَأَهۡدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخۡشَىٰ ١٩ فَأَرَىٰهُ ٱلۡأٓيَةَ ٱلۡكُبۡرَىٰ ٢٠ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ٢١ ثُمَّ أَدۡبَرَ يَسۡعَىٰ ٢٢ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ٢٣ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ٢٤ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلۡأٓخِرَةِ وَٱلۡأُولَىٰٓ ٢٥ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰٓ ٢٦ ﴾

- **التلطف في الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى.**
- **التزكية هي غاية دعوة الرسل جميعاً.**
- **من أعمى الله بصيرته، فإنه لا ينتفع بالآيات والمعجزات.**
- **إهلاك فرعون مع قوته وجبرته؛ هو تحذير لغيره أن يسلك مسلكه.**
- **مهما أوتي الإنسان من قوة ؛ فإنها لا تغني عنه من عذاب الله من شيءٍ.**

﴿ ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٣﴾ ﴾

- عظم خلق السموات والأرض.
- كل المخلوقات مسخرة للإنسان؛ لينتفع بها.
- إثبات البعث.
- التفكر في المخلوقات؛ مما يزيد الإيمان، ويعمق الشعور بعظمة الله تعالى.

﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾ ﴾

- بيان عظمة أهوال يوم القيامة.
- أهمية الاستعداد للحساب يوم القيامة.
- صلاح الإنسان في مخالفة هواه.
- الحذر من الطغيان، وإيثار الفانية على الباقية.
- لا يعلم وقت قيام الساعة إلا الله.
- حقارة الدنيا تظهر جلياً يوم القيامة.

سورة عبس

﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴿٣﴾ أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ ﴿٤﴾ أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ ﴿٥﴾ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ﴿٦﴾ وَمَا عَلَيۡكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسۡعَىٰ ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخۡشَىٰ ﴿٩﴾ فَأَنتَ عَنۡهُ تَلَهَّىٰ ﴿١٠﴾ كَلَّآ إِنَّهَا تَذۡكِرَةٞ ﴿١١﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿١٢﴾ فِي صُحُفٖ مُّكَرَّمَةٖ ﴿١٣﴾ مَّرۡفُوعَةٖ مُّطَهَّرَةِۭ ﴿١٤﴾ بِأَيۡدِي سَفَرَةٖ ﴿١٥﴾ كِرَامِۭ بَرَرَةٖ ﴿١٦﴾ ﴾

- **إثبات صدق نبوة محمد ﷺ.**
- **أهمية تزكية النفس، وتطهيرها.**
- **مراعاة طالب العلم الحريص عليه، أولى من دعوة المعرض عنه.**
- **مشروعية العناية بدعوة القادة، والمؤثرين في المجتمع.**
- **التلطف في العتاب، وبيان الأخطاء.**
- **إثبات مشيئة الله تعالى في الهداية والإضلال.**
- **الإيمان بالملائكة الكرام حملةِ الوحي.**

﴿ قُتِلَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَآ أَكۡفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ مِنۡ أَيِّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطۡفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقۡبَرَهُۥ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴿٢٢﴾ كَلَّا لَمَّا يَقۡضِ مَآ أَمَرَهُۥ ﴿٢٣﴾ فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبۡنَا ٱلۡمَآءَ صَبّٗا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقۡنَا ٱلۡأَرۡضَ شَقّٗا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا حَبّٗا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبٗا وَقَضۡبٗا ﴿٢٨﴾ وَزَيۡتُونٗا وَنَخۡلٗا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلۡبٗا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةٗ وَأَبّٗا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعٗا لَّكُمۡ وَلِأَنۡعَٰمِكُمۡ ﴿٣٢﴾ ﴾

- **عظم جحود الكافر لنعم الله، التي أنعم بها عليه.**
- **بيان أصل خلق الإنسان؛ مما يدفعه إلى التواضع، وعدم التكبر.**
- **مهما اجتهد الإنسان في الطاعة؛ فلن يبلغ شكر نعم الله حق شكرها.**
- **الإقرار بتوحيد الربوبية ؛طريق إلى الإقرار بتوحيد الألوهية.**
- **التفكر في المخلوقات؛ مما يزيد الإيمان، ويعمق الشعور بعظمة الله تعالى.**
- **كل ما على الأرض من النعم فهو مسخر لمنفعة الإنسان.**

﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوۡمَ يَفِرُّ ٱلۡمَرۡءُ مِنۡ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ يَوۡمَئِذٖ شَأۡنٞ يُغۡنِيهِ ﴿٣٧﴾ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ مُّسۡفِرَةٞ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٞ مُّسۡتَبۡشِرَةٞ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٞ يَوۡمَئِذٍ عَلَيۡهَا غَبَرَةٞ ﴿٤٠﴾ تَرۡهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَفَرَةُ ٱلۡفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾ ﴾

- **بيان عظمة أهوال يوم القيامة.**
- **التبعة والمسؤولية فردية يوم القيامة.**
- **أثر النعيم يظهر على وجوه المؤمنين يوم القيامة.**
- **أثر العذاب يظهر على وجوه الكفرة يوم القيامة.**

سورة التكوير

﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴿٤﴾ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴿٥﴾ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴿٦﴾ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴿٧﴾ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ﴿١١﴾ وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴿١٣﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾﴾

- **بيان عظمة أهوال يوم القيامة.**
- **أهمية الاستعداد للحساب يوم القيامة.**

﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿٢٥﴾ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾

- **إثبات صدق نبوة محمد ﷺ.**
- **إثبات مشيئة الله تعالى.**
- **مشيئة العبد تابعة لمشيئة الله تعالى.**
- **التفكر في المخلوقات؛ مما يزيد الإيمان، ويعمق الشعور بعظمة الله تعالى.**

سورة الانفطار

﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴿٤﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴿٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾﴾

- **بيان عظمة أهوال يوم القيامة.**
- **أهمية الاستعداد للحساب يوم القيامة.**
- **عدم الاغترار بحلم الله وإمهاله للعاصي والكافر.**
- **من نعم الله على الإنسان خلقه على صورة جميلة، وهيئة حسنة.**
- **إثبات اسم الكريم من أسماء الله تعالى.**

﴿كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ﴿٩﴾ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾

- **التحذير من الكفر، والتكذيب بيوم القيامة.**
- **أعمال العباد وأقوالهم محصاة مكتوبة.**
- **ينبغي الحياء من اقتراف القبائح بحضرة الملائكة الكرام.**

﴿ إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٖ ١٣ وَإِنَّ ٱلۡفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٖ ١٤ يَصۡلَوۡنَهَا يَوۡمَ ٱلدِّينِ ١٥ وَمَا هُمۡ عَنۡهَا بِغَآئِبِينَ ١٦ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ١٧ ثُمَّ مَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ١٨ يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ ١٩ ﴾

- التذكير بيوم الحساب والجزاء عند الله تعالى.
- بيان عظمة أهوال يوم القيامة.
- لا ينفع أحدٌ أحداً يوم القيامة، إلا بإذن الله.

سورة المطففين

﴿ وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ ١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسۡتَوۡفُونَ ٢ وَإِذَا كَالُوهُمۡ أَو وَّزَنُوهُمۡ يُخۡسِرُونَ ٣ أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبۡعُوثُونَ ٤ لِيَوۡمٍ عَظِيمٖ ٥ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦ ﴾

- الحذر من التطفيف في الموازين الحسية، والمعنوية.
- بيان قيمة العدل في الإسلام.
- بيان عظمة أهوال يوم القيامة.
- التذكير بيوم الحساب والجزاء عند الله تعالى.

﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ﴿٧﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿١١﴾ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾ ﴾

- **التحذير من الكفر، والتكذيب بيوم القيامة.**

- **حرمان الكفار من أعظم نعيم يناله المؤمنون في الجنة، وهو النظر إلى وجه الله تعالى.**

- **الاستمرار على المعاصي والإصرار عليها؛ يحول بين الإنسان والهداية.**

﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾

- **التشويق إلى الجنة بذكر بعض نعيمها.**

- **المسابقة إلى نعيم الجنة من أعظم ميادين المنافسة.**

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضۡحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمۡ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوۡهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَآ أُرۡسِلُواْ عَلَيۡهِمۡ حَٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱلۡيَوۡمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلۡكُفَّارِ يَضۡحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلۡ ثُوِّبَ ٱلۡكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾

- **من منهج المجرمين في الحرب النفسية للمؤمنين؛ السخريةُ من أهل الخير والصلاح.**

- **من منهج المجرمين في الحرب النفسية للمؤمنين، اتهام الصالحين بالغفلة، والسذاجة، وقلة البصيرة بالأمور.**

- **تذكر المآل يوم القيامة في النعيم المقيم؛ من أعظم ما يسلي المؤمن ويصبِّره.**

سورة الانشقاق

﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ ﴿١﴾ وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلۡأَرۡضُ مُدَّتۡ ﴿٣﴾ وَأَلۡقَتۡ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتۡ ﴿٤﴾ وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ ﴿٥﴾ ﴾

- **بيان عظمة أهوال يوم القيامة.**

- **إثبات البعث.**

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ ٦ فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ٧ فَسَوۡفَ يُحَاسَبُ حِسَابٗا يَسِيرٗا ٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورٗا ٩ وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهۡرِهِۦ ١٠ فَسَوۡفَ يَدۡعُواْ ثُبُورٗا ١١ وَيَصۡلَىٰ سَعِيرًا ١٢ إِنَّهُۥ كَانَ فِيٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورًا ١٣ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ١٤ بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرٗا ١٥ ﴾

- **الجزاء من جنس العمل.**
- **يسر الحساب على المؤمن يوم القيامة.**
- **بيان الهلع الذي يعتري الكافر يوم القيامة.**
- **إثبات البعث والحساب يوم القيامة.**
- **إثبات اسم البصير، وصفة البصر لله تعالى.**

﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلشَّفَقِ ١٦ وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ ١٧ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ١٨ لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٖ ١٩ فَمَا لَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ٢٠ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقُرۡءَانُ لَا يَسۡجُدُونَ ۩ ٢١ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُكَذِّبُونَ ٢٢ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُوعُونَ ٢٣ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ٢٤ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٖ ٢٥ ﴾

- **التفكر في المخلوقات؛ مما يزيد الإيمان، ويعمق الشعور بعظمة الله تعالى.**
- **تقلب أحوال هذه الحياة، وعدم دوامها أبداً.**
- **إثبات علم الله بخفايا النفوس ومكنوناتها.**

سورة البروج

﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ﴿١﴾ وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ﴿٢﴾ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴿٣﴾ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٨﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ ﴿١١﴾ ﴾

- **بيان عظمة أهوال يوم القيامة.**
- **إثبات البعث.**
- **إثبات علم الله وشهادته على كل شيءٍ في الكون.**
- **الوعيد الشديد للكافرين أعداءِ الدين.**
- **الجزاء من جنس العمل.**
- **تثبيت المؤمنين الصابرين على الابتلاء.**
- **تذكر النعيم يوم القيامة؛ من أعظم المعينات على الثبات في وجه الفتن، والابتلاءات.**

﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ﴿٢٠﴾ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ﴿٢٢﴾﴾

- بيان شدة بطش الله بأعدائه وأليم عقابه.
- إثبات البعث.
- إثبات بعض أسماء الله تعالى ﴿الغفور والودود والمجيد﴾.
- إثبات بعض صفات الله تعالى﴿المغفرة والمحبة والعلو والمشيئة والعلم﴾.
- التذكير بإن إهلاك الله للكافرين قديماً؛ هو سنة ماضية في أشباههم في كل زمان.

سورة الطارق

﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ﴿٢﴾ ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ ﴿٣﴾ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ﴿٩﴾ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴿١٠﴾﴾

- التفكر المخلوقات، مما يزيد الإيمان، ويعمق الشعور بعظمة الله تعالى.
- أعمال العباد وأقوالهم محصاة مكتوبة.
- إثبات البعث.
- بيان أصل خلق الإنسان؛ مما يدفعه إلى التواضع وعدم التكبر.
- التذكير بيوم الحساب والجزاء عند الله تعالى.
- لا ينفع أحدٌ أحداً يوم القيامة، إلا بإذن الله.

﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ ﴿١١﴾ وَٱلۡأَرۡضِ ذَاتِ ٱلصَّدۡعِ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ لَقَوۡلٞ فَصۡلٞ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِٱلۡهَزۡلِ ﴿١٤﴾ إِنَّهُمۡ يَكِيدُونَ كَيۡدٗا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيۡدٗا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَمۡهِلۡهُمۡ رُوَيۡدَۢا ﴿١٧﴾ ﴾

- **التفكر في المخلوقات؛ مما يزيد الإيمان، ويعمق الشعور بعظمة الله تعالى.**
- **أهمية الجدية في حياة المسلم.**
- **إثبات صفة كيد الله تعالى لمن يستحقه.**
- **وعد الله للمؤمنين بالنصر، وردٍّ كيد الكائدين ضدهم.**

سورة الأعلى

﴿ سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ﴿١﴾ ٱلَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِيٓ أَخۡرَجَ ٱلۡمَرۡعَىٰ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحۡوَىٰ ﴿٥﴾ سَنُقۡرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ﴿٦﴾ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلۡجَهۡرَ وَمَا يَخۡفَىٰ ﴿٧﴾ وَنُيَسِّرُكَ لِلۡيُسۡرَىٰ ﴿٨﴾ فَذَكِّرۡ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكۡرَىٰ ﴿٩﴾ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخۡشَىٰ ﴿١٠﴾ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلۡأَشۡقَى ﴿١١﴾ ٱلَّذِي يَصۡلَى ٱلنَّارَ ٱلۡكُبۡرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحۡيَىٰ ﴿١٣﴾ ﴾

- **تنزيه الله تعالى وتعظيمه.**
- **إثبات علو الله تعالى.**
- **الإقرار بتوحيد الربوبية؛ طريق إلى الإقرار بتوحيد الألوهية.**
- **إثبات صدق نبوة محمد ﷺ.**
- **إثبات صفتي المشيئة، والعلم لله تعالى.**
- **وصف النار بأوصاف تخلع القلوب فرقاً منها.**
- **إثبات الخلود الأبدي للكافرين في النار.**

﴿ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾ إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ ﴾

- حب الدنيا وتقديمها على الآخرة؛ أساس كل بلاء وشر.
- الإسلام هو دين الأنبياء جميعاً.

سورة الغاشية

﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ﴿١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ﴿٥﴾ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴿٦﴾ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِى مِن جُوعٍ ﴿٧﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةً ﴿١١﴾ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِىُّ مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾ ﴾

- بيان عظمة أهوال يوم القيامة.
- إثبات البعث.
- وصف النار بأوصاف تخلع القلوب فرقاً منها.
- التشويق إلى الجنة بذكر بعض نعيمها.
- عدم انتفاع الكافر بعمله يوم القيامة، وإن تعب ونصِب فيه.
- أثر النعيم يظهر على وجوه المؤمنين يوم القيامة.
- أثر العذاب يظهر على وجوه الكفرة يوم القيامة.

﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾﴾

- **التفكر في المخلوقات؛ مما يزيد الإيمان ويعمق الشعور بعظمة الله تعالى.**
- **مهمة المصلحين هي الدلالة والإرشاد، ولكن أمر الهداية والإضلال إلى الله وحده.**
- **بيان شدة عذاب جهنم.**
- **إثبات البعث.**
- **التذكير بيوم الحساب والجزاء عند الله تعالى.**

سورة الفجر

﴿وَٱلْفَجْرِ ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾ وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ ﴿٣﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴿٤﴾ هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ ﴿٥﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴿٧﴾ ٱلَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي ٱلْبِلَٰدِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِي ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِي ٱلْبِلَٰدِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾﴾

- **أهمية الوقت وقيمته في حياة المسلم.**
- **فضل ليالي العشر الأواخر من رمضان.**
- **فضل أيام العشر من ذي الحجة.**

- أهمية إعمال التفكر والتدبر في الأقسام المتكررة في القرآن.
- التفكر في مصير المكذبين من الأمم السابقة.
- مهما أوتي الإنسان من قوة؛ فإنها لا تغني عنه من عذاب الله من شيءٍ.

﴿ فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾ ﴾

- بيان ميزان الكرامة عند الله تعالى.
- الحض على الإحسان إلى اليتيم والمسكين.
- التحذير من التكالب على متاع الدنيا الزائل.

﴿ كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴿٢٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٦﴾ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾ ﴾

- بيان عظمة أهوال يوم القيامة.
- إثبات البعث.
- وصف النار بأوصاف تخلع القلوب فرقاً منها.
- إثبات صفة المجيء لله تعالى على ما يليق بجلاله وعظمته.
- أهمية الاستعداد للحساب يوم القيامة.

- بيان شدة عذاب جهنم.
- التشويق إلى الجنة بذكر بعض نعيمها.
- من أعظم النعيم نيل رضا الله تعالى.
- الندم بعد فوات أوانه لا ينفع.
- الحياة الحقيقية السرمدية هي في الآخرة.

سورة البلد

﴿ لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝١ وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝٢ وَوَالِدٖ وَمَا وَلَدَ ۝٣ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ ۝٤ أَيَحۡسَبُ أَن لَّن يَقۡدِرَ عَلَيۡهِ أَحَدٞ ۝٥ يَقُولُ أَهۡلَكۡتُ مَالٗا لُّبَدًا ۝٦ أَيَحۡسَبُ أَن لَّمۡ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ۝٧ أَلَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ عَيۡنَيۡنِ ۝٨ وَلِسَانٗا وَشَفَتَيۡنِ ۝٩ وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ ۝١٠ ﴾

- تعظيم حرمة البلد الحرام.
- الدنيا دار الابتلاءات والمكدرات.
- بيان عظم قدرة الله تعالى.
- غرور الكافر سبب إصراره على مخالفة الحق واتباع الهوى.
- التفكر في المخلوقات؛ مما يزيد الإيمان، ويعمق الشعور بعظمة الله تعالى.
- الإنسان قد أعطي القدرة على الاختيار في أفعاله.
- طريقا الخير والشر واضحتان بينتان لكل عاقل.

﴿ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿١٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿١٩﴾ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌ ﴿٢٠﴾ ﴾

- بيان عظمة أهوال يوم القيامة.
- الحث على الإحسان إلى الناس، وبالأخصِّ في وقت الحاجة.
- يعظم أجر الإحسان حينما يكون إلى الأقربين.
- فضل التواصي بالخير، وأثره في الثبات عليه.
- بيان شدة عذاب جهنم.

سورة الشمس

﴿ وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ﴿١﴾ وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ﴿٢﴾ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ﴿٣﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا ﴿٤﴾ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ﴿٥﴾ وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا ﴿٦﴾ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ ﴾

- التفكر في المخلوقات؛ مما يزيد الإيمان، ويعمق الشعور بعظمة الله تعالى.
- أهمية تزكية النفس وتطهيرها.
- الهداية والإضلال يقعان بقدر الله تعالى.
- الفلاح والفوز الحقيقي؛ يكون لصاحب القلب الطاهر، والنفس الزكية.
- أعظم الخسارة والخيبة للمعرض عن الحق، المصرِّ على الباطل.
- أهمية الوقت وقيمته في حياة المسلم.

﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ ﴿١١﴾ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا ﴿١٥﴾ ﴾

- التفكر في مصير المكذبين من الأمم السابقة.
- من أعمى الله بصيرته؛ فإنه لا ينتفع بالآيات والمعجزات.
- بيان شدة بطش الله بأعدائه وأليم عقابه.
- بيان عاقبة الطغيان، والعتو، والتكبر.
- لا معقب لحكم الله تعالى، ولا رادَّ لقضائه.

سورة الليل

﴿ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴿١﴾ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴿٢﴾ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴿٤﴾ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ﴿١١﴾ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴿١٢﴾ وَإِنَّ لَنَا لَلْءَاخِرَةَ وَٱلْأُولَىٰ ﴿١٣﴾ ﴾

- التفكر في المخلوقات؛ مما يزيد الإيمان، ويعمق الشعور بعظمة الله تعالى.
- الجزاء من جنس العمل.
- الهداية والإضلال يقعان بقدر الله تعالى.
- سعة ملك الله تعالى.
- تباين سعي الناس في هذه الحياة، واختلافُ مشاربهم، وتوجهاتهم.

﴿ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ﴿١٥﴾ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾ وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ﴿١٧﴾ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ ﴿١٩﴾ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾ ﴾

- وصف النار بأوصاف تخلع القلوب فرقاً منها.
- فضل الإخلاص في العمل لوجه الله تعالى.
- إثبات صفة العلو لله تعالى.

سورة الضحى

﴿ وَالضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ﴿٤﴾ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴿٥﴾ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾ ﴾

- أهمية الوقت وقيمته في حياة المسلم.
- التفكر في المخلوقات، مما يزيد الإيمان، ويعمق الشعور بعظمة الله تعالى.
- تسلية الرسول ﷺ وتصبيره بأن الله وليه وناصره.
- بيان عظم ما أعده الله لنبيه ﷺ من النعيم.
- التذكير الدائم بالنعم يعين على شكرها وأداء حقها.
- فضيلة الإحسان إلى الناس ومعونتهم.
- الحث على إظهار نعمة الله على الإنسان، والتحديث بها.

سورة الشرح

﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ﴿٨﴾ ﴾

- **فضل الله على رسوله ﷺ وأمته.**
- **إثبات صدق نبوة محمد ﷺ.**
- **الفرج مع الكرب، واليسر مع العسر.**
- **استغلال الأوقات بالطاعات.**
- **لا منتهى للعبادة دون الموت.**

سورة التين

﴿ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ﴿٧﴾ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨﴾ ﴾

- **فضل بيت المقدس، وجبل الطور.**
- **الإشادة بثمرتي التين والزيتون، وما فيهما من المنافع.**
- **فضل البلد الحرام.**
- **فضل مواضع الطاعة والعبادة.**
- **بيان قيمة الإنسان، ومنزلته بين المخلوقات.**
- **إثبات حكمة الله تعالى، وأنه سبحانه أحكم الحاكمين.**

سورة العلق

﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝٥ ﴾

- منزلة العلم والقراءة في الإسلام.
- الجدية قيمة أصيلة في منهج الإسلام.
- إثبات اسم الأكرم، وصفة الكرم لله تعالى.
- التفكر في المخلوقات؛ مما يزيد الإيمان، ويعمق الشعور بعظمة الله تعالى.
- فضل الله على الإنسان بتعليمه العلم.

﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ ۝٧ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجۡعَىٰٓ ۝٨ ﴾

- الشعور بالاستغناء بالنفس، هو طريق إلى الطغيان والكفر.
- إثبات البعث.

﴿ أَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي يَنۡهَىٰ ۝٩ عَبۡدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ۝١٠ أَرَءَيۡتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلۡهُدَىٰٓ ۝١١ أَوۡ أَمَرَ بِٱلتَّقۡوَىٰٓ ۝١٢ أَرَءَيۡتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١٣ أَلَمۡ يَعۡلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ۝١٤ كَلَّا لَئِن لَّمۡ يَنتَهِ لَنَسۡفَعَۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ۝١٥ نَاصِيَةٖ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٖ ۝١٦ فَلۡيَدۡعُ نَادِيَهُۥ ۝١٧ سَنَدۡعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ۝١٨ كَلَّا لَا تُطِعۡهُ وَٱسۡجُدۡ وَٱقۡتَرِب ۩ ۝١٩ ﴾

- تهديدٌ عظيمٌ لكل من يعادي أولياء الله، ويحاربهم.
- إثبات رؤية الله تعالى لكل شيءٍ.
- بيان شدة بطش الله بأعدائه، وأليم عقابه.
- العبادة هي أعظم زاد للصبر على الابتلاءات والفتن.

سورة القدر

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴿٥﴾ ﴾

- فضل ليلة القدر ومكانتها.
- العبادة من أعظم وسائل تزكية النفس، وتطهيرها.
- منزلة الملائكة الكرام.

سورة البينة

﴿ لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴿٣﴾ وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ ﴾

- فضل القرآن الكريم.
- التوحيد هو دين الأنبياء جميعاً.
- أعظم الضلال هو ما يكون بعد وضوح الحق ببراهينه وأدلته.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾﴾

- **خير الخلق هم المؤمنون، وشرهم هم الكافرون.**
- **التشويق إلى الجنة بذكر بعض نعيمها.**
- **إثبات صفة الرضا لله تعالى.**

سورة الزلزلة

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْاْ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾

- **بيان عظمة أهوال يوم القيامة.**
- **شهادة الأرض على الإنسان بكل ما عمل.**
- **الحساب الدقيق يوم القيامة، والجزاء على مثاقيل الذر.**
- **إثبات البعث.**

سورة العاديات

﴿ وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ۝١ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ۝٢ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ۝٣ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ۝٤ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ۝٥ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ۝٦ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ۝٧ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ۝٨ ۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ ۝٩ وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ ۝١٠ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌۢ ۝١١ ﴾

- فضل الجهاد في سبيل الله.
- الإشادة بالخيل، ووصفها بجميل الصفات.
- أهمية العناية بالجسم، وتقويته .
- وجوب شكر نعم الله .
- حب المال فطرة في نفس الإنسان، لكن ينبغي أن تهذب، وتضبط بميزان الشرع.
- إثبات البعث.
- إثبات اسم الخبير، وصفة العلم لله تعالى.

سورة القارعة

﴿ ٱلْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٣﴾ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴿٥﴾ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴿١١﴾ ﴾

- بيان عظمة أهوال يوم القيامة.
- أهمية الاستعداد للحساب يوم القيامة.
- وصف النار بأوصاف تخلع القلوب فرقاً منها.
- إثبات الميزان يوم القيامة حقيقة لا مجازاً.

سورة التكاثر

﴿ أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ﴿٢﴾ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ﴿٥﴾ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ﴿٦﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ﴿٧﴾ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾ ﴾

- التكالب على الدنيا، والمباهاة بمتاعها؛ أساس كل بلية وشر.
- إثبات البعث.
- عظم موقف الحساب يوم القيامة عند الله تعالى.

سورة العصر

﴿ وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ۝٣ ﴾

- أهمية الوقت وقيمته في حياة المسلم.
- بيان قيمة الإنسان الحقيقية.
- الإيمان بالله من أعظم وسائل النجاة من الخسران.
- أهمية العمل الصالح وارتباطه الوثيق بالإيمان.
- التعاون على البر والتقوى من أعظم صفات المؤمنين.
- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يتطلب الصبر على ما يلقاه الإنسان من أذى بعد ذلك.

سورة الهمزة

﴿ وَيۡلٞ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ ۝١ ٱلَّذِي جَمَعَ مَالٗا وَعَدَّدَهُۥ ۝٢ يَحۡسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخۡلَدَهُۥ ۝٣ كَلَّاۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِي ٱلۡحُطَمَةِ ۝٤ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحُطَمَةُ ۝٥ نَارُ ٱللَّهِ ٱلۡمُوقَدَةُ ۝٦ ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلۡأَفۡـِٔدَةِ ۝٧ إِنَّهَا عَلَيۡهِم مُّؤۡصَدَةٞ ۝٨ فِي عَمَدٖ مُّمَدَّدَةِۭ ۝٩ ﴾

- التحذير من السخرية بالقول أو الفعل.
- المال إن لم يسخره الإنسان في الطاعة؛ فسوف يكون وبالاً عليه.
- وصف النار بأوصاف تخلع القلوب فرقاً منها.

سورة الفيل

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾﴾

- التفكر في مصير المكذبين من الأمم السابقة.
- مهما أوتي الإنسان من قوة؛ فإنها لا تغني عنه من عذاب الله من شيء.
- تكفل الله تعالى بنصرة دينه.
- بيان شدة بطش الله بأعدائه وأليم عقابه.

سورة قريش

﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ﴿٢﴾ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴿٣﴾ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ﴿٤﴾﴾

- الاستقرار والأمن؛ من أعظم أسباب التآلف بين أفراد المجتمع.
- شكر النعم سبب لدوامها واستمرارها.
- توفر الطعام، وسهولة الوصول إليه، والأمن من الخوف، من أعظم النعم.

سورة الماعون

﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿١﴾ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣﴾ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴿٧﴾﴾

- **من صفات المكذبين بالدين قسوة قلوبهم، مما يحملهم على ظلم اليتامى والمحتاجين والتخاذل عن معونتهم ومساعدتهم**
- **التحذير من الإساءة إلى المحتاجين.**
- **التحذير من الرياء، وإرادة الدنيا بالعمل.**
- **الاجتهاد في معونة الناس من دلائل الإيمان.**

سورة الكوثر

﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴿٢﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ﴿٣﴾﴾

- **إثبات صدق نبوة محمد ﷺ.**
- **فضل الصلاة والنحر.**
- **كل من عادى دين الله، وحارب أولياءه، فهو الخاسر المنقطع ذكره.**

سورة الكافرون

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴿٦﴾﴾

- التأكيد على المفاصلة بين الإسلام والكفر.
- الخلاف في أصول الدين لا يمكن تجاوزه، أو التغاضي عنه.
- لابد من استخدام المصطلحات الشرعية في تسمية الأمور.

سورة النصر

﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ﴿٣﴾﴾

- إثبات صدق نبوة محمد ﷺ.
- لا منتهى للعبادة دون الموت.
- التلطف في النعي وذكر الأمور المحزنة.

سورة المسد

﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴿٥﴾﴾

- إثبات صدق نبوة محمد ﷺ.
- قيمة الإنسان بإيمانه، لا بحسبه ونسبه.

- التفكر في مصير المكذبين من الأمم السابقة.
- مهما أوتي الإنسان من قوة؛ فإنها لا تغني عنه من عذاب الله من شيء.
- تكفل الله تعالى بنصرة دينه.
- بيان شدة بطش الله بأعدائه وأليم عقابه.

سورة الإخلاص

﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾

- إثبات صفة الأحدية لله تعالى.
- إثبات صفة الصمدية لله تعالى.
- غنى الله تعالى عن الوالد والولد.
- ليس لله شبيه ولا نظير.

سورتا الفلق والناس

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾﴾

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴿٦﴾﴾

- **الالتجاء إلى الله تعالى، والاحتماء به من كل الشرور والآفات.**
- **ميدان المعركة الحقيقي هو القلب.**
- **وساوس شياطين الإنس والجن لا تنتهي.**
- **بيان عظم ملك الله تعالى.**

خاتمة الدراسة

- النتائج
- التوصيات

أولاً: نتائج الدراسة

من خلال هذه الدراسة المستفيضة لمعالم التربية في هذا الجزء. توصلتُ إلى النتائج التالية:

١- لقد احتوى القرآن الكريم على منهج متكامل للتربية، فينبغي العناية بدراسته واستخلاص معالمها منه.

٢- التلقي المباشر من القرآن الكريم في منهج التربية الإسلامية؛ يُعَدُّ من أنفع وسائل التربية، وأجداها في تحقيق غاياتها وأهدافها.

٣- في منهج التربية الإسلامية غُنيةٌ عن استيراد المناهج التربوية المخالفة للإسلام، التي بليت بها الأمة الإسلامية في العصر الحديث.

٤- الهدف الأساس للتربية الإسلامية هو تعبيد الناس لله تعالى وحده.

٥- احتوت آيات هذا الجزء على معالم التربية في الجوانب التالية:

(الاعتقادية، والروحية، والفكرية، والأخلاقية، والجسمية، والاجتماعية، وفي مجال الدعوة والإصلاح) .

٦- غالب آيات هذا الجزء مكيَّة؛ ولذلك عُنيت بترسيخ الإيمان في النفوس بالدرجة الأولى؛ ليكون هو الأساس الذي يبنى عليه ما بعده من أحكام وتشريعات.

٧- وضوح التصور عن الخالق، هو من أبرز المعالم التي جلَّتْها آيات هذا الجزء وأوضحتها، بما لا يبقى معه غبش في تصور حقيقة الإيمان بأسماء الله وصفاته.

٨- حشد الدلائل العقلية والبصرية من أقوى وسائل الإقناع، وإقامة الحجة.

٩- الإيمان باليوم الآخر وما فيه من أحوال وأهوال، يوجه إرادة الإنسان نحو ما هو خير، ويضبط غرائزه، ويتحكم في دوافعه، فلا يفعل إلا ما يرضي الله عز وجل.

١٠- الإيمان بصدق نبوة محمد ﷺ، يعمق اعتزاز المؤمن بدينه، أمام ما يلقاه من عنت ومشاق، أو ما يسمعه ويراه من سخرية واستهزاء.

١١- الإيمان بالقضاء والقدر يؤدي إلى الإقدام والشجاعة لنصرة الحق، وإزهاق الباطل، فالأعمار مقدرة، والآجال مضروبة؛ لا يتقدم منها شيء عن حينه، ولا يتأخر.

١٢- المشكلات المستعصية التي يعانيها الشباب اليوم؛ لا يمكن علاجها بمجرد سرد المعلومات وحشو الأذهان بها؛ بل لا بد من غرس السلوك في النفوس ليكون سجيتها؛ وذلك حين يعي كل من المعلم والأب دوره التربوي المهم. ومن ثَمَّ يقومُ به.

١٣- التربية الروحية تدفع بالإنسان إلى الترقي في منازل العبودية، فلا يقف عندما وصل إليه، بل يكون دائمَ التطلع إلى الأفضل.

١٤- النفس البشرية جبلت على الضعف، فهي بحاجة دائما إلى استمداد العون من الله تعالى، والالتجاء إليه، والاستعاذة به. ولو وكل الإنسان إلى نفسه لهلك وضل، وأصابته الغوائل والشرور.

١٥- الكون كتاب مفتوح، فيه من دلائل عظمة الله تعالى؛ ما يبعث على الإقرار بوحدانيته.

١٦- التربية الفكرية تحث المؤمن على إعمال طاقته العقلية، فيما يهديه إلى الله تعالى.

١٧- عدم الجمود في التعاطي مع الواقع الذي يعيشه الإنسان، وضرورة الاستفادة من كل وسيلة تحقق الأهداف التربوية، في الإطار الشرعي.

١٨- التحلي بالإيجابية؛ صفة مهمة في الشخصية الإسلامية؛ ينتج عنها صفات كثيرة، كالكرم والإحسان إلى الناس؛ مما يقوي أواصر الترابط، ويتألف القلوب النافرة، بل حتى القلوب الكافرة.

١٩- معرفة الله تعالى تدعو إلى محبته، وخشيته، وخوفه، ورجائه، ومراقبته، وإخلاص العمل له، وهذا هو عين سعادة العبد، ولا سبيل إلى معرفة الله إلا بمعرفة أسمائه الحسنى، وصفاته العليا، والتفقه في معانيها.

٢٠- الإيمان بالقضاء والقدر يقضي على الغرور والاختيال عند النجاح، فإذا أراد المؤمن تحقيق شيءٍ ووُفق له؛ فإنه يعلم أن الفضل لله في تقدير ذلك، وفي عونه عليه فيبقى متواضعاً شاكراً لأنعم الله.

٢١- مهما اجتهد المؤمن في العمل الصالح؛ فلن يبلغ الغاية التي يفي فيها بأمر الله الذي افترضه عليه. قال تعالى: ﴿كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ ﴿٢٣﴾﴾ «عبس»

٢٢- العبادة بمفهومها الواسع من أهم وسائل تربية الروح في منهج التربية الإسلامية.

٢٣- العبادات القلبية مثل توحيد الله سبحانه، وتعظيمه وإجلاله، والخوف منه والحذر من سطوته وعقابه، والطمع في رحمته ومغفرته، والسعي لنيل محبته والقرب منه، والثقة به والتوكل عليه.من أعظم ما يزكي النفس ويزيد الإيمان.

٢٤- خَلْقُ هذا الكون وإيجاده على هذا النحو من الدقة والإتقان، لا يمكن أن يكون عبثاً، أو صدفة، بل إنه يشير إلى الخالق العظيم سبحانه وتعالى ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ﴾ «السجدة:٧».

٢٥- التفكر في مصير المكذبين؛ يقرر حقيقة قرآنية، وسنة إلهية، وهي أن العذاب والهلاك سيصيب كل الظلمة، والطغاة، والجبابرة على مر الحياة.

٢٦- الأخلاق هي أبرز مقومات التربية، وهي مظهر التربية، وثمرتها المباشرة.

٢٧- إن المبادىء لا تقبل المساومة، ولا المقايضة، ولا تستقيم فيها أنصاف الحلول، ولا التنازلات، وإن الثبات عليها يتطلب نفوساً عظيمة، تلقت تربية عظيمة سامية.

٢٨- مما يزيد المؤمن ثباتاً، شعوره الدائم بقرب الله منه، ومحبته له، وَوِدِّه إياه، قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴾.

٢٩- قد تتعارض عند الإنسان مصالح متعددة، كل منها له أهميته وحاجته، ويتعذر الجمع بينها في وقت واحد، فحينئذٍ يحتاج الإنسان لإعمال ميزان التفاضل بين تلك المصالح، فيحقق الأهم منها، ولو كان في تحقيقه تأخير، أو تفويت لتحقق أمر مهم.

٣٠- حسْن المنطق، وانتقاء الكلام، ولطف العبارة، من أرفع الآداب الشرعية التي يتأدب بها المسلم في محادثته لغيره.

٣١- المؤمن الواثق بربه، يعلم يقيناً أن الله تعالى هو مفرج الكروب، فكلما اشتدت به الكروب، وضاقت به الحيل، وتقطعت به السبل؛ فليعلم أن فرج الله آت لا محالة.

٣٢- النظرة المتفائلة للكون والحياة؛ تنعكس ايجابياً على حياة الإنسان، وتعامله مع الظروف المحيطة به.

٣٣- عدم استبطاء النصر، واستعجال الفرج، فإنه قد جرت سنة الله تعالى بالابتلاء والتمحيص للمؤمنين، ثم يكون النصر بعد ذلك.

٣٤- من أعظم الأخلاق التي يربي عليها الإسلام أتباعه؛ أن يكونوا جادِّين في حياتهم، وأصحاب اهتمامات عالية، وأهداف سامية، وأن يكون لهم تأثير إيجابي فيمن حولهم، لا أن يكونوا متلقين مقلدين فيما لا ينفع، بل ضرره محقق.

٣٥- لم يُعنَ دين بقيمة الوقت مثل عناية الإسلام به، فلقد أعطى القرآن الكريم أهمية بالغة للزمن، وارتبطت معظم العبادات في التشريع الإسلامي بمواعيد زمنية محددة وثابتة، كالصلاة والزكاة والصيام والحج وغيرها..

٣٦- لقد خلق الله تعالى الإنسان، وسخر له ما في السموات والأرض، وذلل له المخلوقات العظيمة، وجعلها طيعة في يديه، لا ليطغى ويفجر ويركن إلى هذه الحياة؛ بل ليستعين بها على طاعة الله ونيل رضاه.

٣٧-أحوال الدنيا متقلبة متغيرة، فالرخاء والشدة، والغنى والفقر، والفرح والحزن؛ كلها أحوال متعاقبة، لا يدوم منها شيءٌ طوال الحياة. قال تعالى: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾﴾ ﴿الانشقاق﴾.

٣٨- وردت بعض الإشارات في آيات هذا الجزء لما ينبغي أن يكون عليه المسلم، من العناية بجسمه من حيث الغذاءُ، وممارسةُ أنواع الرياضات، وأخذُ حظه من النوم الصحي، ليكون هذا الجسم قوياً؛ فيسخره في طاعة الله تعالى، وشكر نعمه، وآلائه.

٣٩- لقد كرم الله تعالى، وشرَّفه على جميع المخلوقات، وأعطاه من القدرات، والإمكانات ما لم يعطِ غيره من المخلوقات.

٤٠- عندما يدرك الإنسان قيمته، وكيف كرمه الله بما ميزه به عن غيره من المخلوقات، فلا بد له أن يتميز بما يحمله من معتقدات وأفكار، وأن يرتفع عن الانحطاط إلى أن يكون عبداً لشهوة الجسد ومتعه، فينحط إلى مرتبة الحيوانات.

٤١- أهمية العدل والإنصاف في التعامل مع الناس، سواء كان ذلك في المعاملات المالية كالبيع والشراء ونحوهما، أو في الأمور المعنوية كالقول والشهادة، وتقييم الأشخاص والكتب والمؤسسات ونحو ذلك..

٤٢- الإقرار بتوحيد الربوبية؛ طريق إلى توحيد الألوهية.

٤٣- الإيمان بالملائكة يؤدي إلى تعميق الشعور بعظمة الله تعالى، خالقِ هؤلاء الملائكة الكرام، الذين دأبهم التبتل، والانقطاع للعبادة.

٤٤- دين جميع الأنبياء واحد وهو الإسلام، وكلهم جاءوا بالدعوة إلى التوحيد، والنهي عن الشرك.

٤٥- العناية الفائقة بإصلاح القلب؛ هو أساس الفلاح والنجاة، وبالتالي فهو ميدان المعركة الحقيقية مع الشيطان، والهوى.

٤٦- من أعظم ما يزكي النفوس ويرتقي بها؛ معايشة العلماء، وأهل الفضل، ومخالطتهم للناس، ليربوهم على العزائم، ويرتفعوا بهم عن صوارف الدنيا، وملهياتها.

٤٧- قصص السابقين الذين ابتلوا في دينهم، وصبروا، وثبتوا عليه، هو من أعظم ما يعين المبتلين في كل زمان، ومكان.

٤٨- استهداف الشخصيات المؤثرة في المجتمع؛ بتوجيه الدعوة إليهم أمر تقتضيه الحكمة والمصلحة؛ لأن بإسلامهم وصلاحهم يصلح خلق كثير.

٤٩- إدراك طبيعة الحياة وأنها ملئت بالمكدرات، والمنغصات؛ مما يدفع الإنسان على الصبر، والتجلد لمصائبها. ويمنعه كذلك من أن يركن إليها، أو يغتر بها.

٥٠- كثير من الناس عطَّل عقله عمَّا ينفعه، مما خلق له أصلاً من عبادة الله تعالى، والقيام بحقوقه، فسارع إلى اتباع شهواته، وعبادة هواه، فانحطَّ إلى أسفل الرتب في الدنيا والآخرة.

ثانياً: التوصيات:

١- أن تُعنى الجامعات، ومراكز البحث العلمي في العلوم الشرعية، والتربية الإسلامية؛ بِحَثِّ الباحثين، والدارسين على الدراسة التحليلية المستفيضة لآيات القرآن الكريم، من منظور تربوي.

٢- أن تخصص بعض حصص مادة القرآن الكريم؛ لتدريب الطلاب على التأمل في الآيات، واستخلاص الفوائد التربوية منها. مما يكسبهم الدُربة على فهم القران الكريم، وربطه بواقع حياتهم.

٢- أن يقوم المتخصصون في الدراسات الإسلامية بتأليف الكتب بأساليب ميسرة، لفهم القرآن الكريم من منظور تربوي، لتكون في متناول العامة، والخاصة.

٣- أن يقوم المتخصصون في التربية الإسلامية - ممن لديه الملكة الأدبية- بتأليف كتب في قصص القرآن للأطفال، تُقرَّب من خلالها القيم التربوية القرآنية؛ ليتربوا عليها.

٤- أن تُعنى حلْقات تحفيظ القرآن الكريم، ومدارس تعليمه؛ بتخصيص بعض البرامج لمدارسة القرآن الكريم، واستخلاص الفوائد التربوية منه.

٥- أن يُعنى بتفسير القرآن الكريم بأسلوب يجمع بين الأصالة والمعاصرة؛ للربط بينه وبين واقع حياة الناس، من خلال بعض الوسائل كخطب الجمعة، ودروس المساجد، وبرامج الإذاعة، والقنوات الفضائية، وكذلك من خلال مواقع الانترنت.

٦- أن يُدرب الناشئةُ على مهارات التفكير، والتأمل فيما حولهم، من خلال وسائل التربية الفكرية، التي قررتها آيات هذا الجزء بشكل واضحٍ وجليٍّ.

٧- أن يُعتنى بالتربية الجسمية للشباب؛ ليقووا على تحمل مهام الحياة، ولينهضوا بأنفسهم، وأمتهم.

٨- أن يهتم القائمون على أنشطة الشباب بتخصيص برامج تربوية شاملة، وجاذبة لهم، لاستثمار أوقاتهم في النافع المفيد، فالشباب هم أمل المستقبل، وجيل النصر، وفي نفس الوقت هم أكثر فئات المجتمع استهدافاً بوسائل اللهو، والفساد. وكم تفتقر كثير من المجتمعات العربية إلى هذه البرامج الموجهة ، والمعنية بالشباب.

٩- أن تقوم المؤسسات المعنية برعاية الفقراء بتوعية الأثرياء، وأهل السعة في المجتمع؛ ليلتفتوا إلى الفقراء، والمعوزين، ويمدوا يد العون لهم. وفي هذا الجزء من الفضائل، والمرغبات خير معين على ذلك.

١٠- يُوصى بالعناية بغرس حب العبادة في نفوس الناشئة، وترغيبهم فيها، من خلال البرامج التربوية، والرحلات الإيمانية.

١١- يُوصى بالعناية بالبرامج الجادة لصقل شخصيات الشباب، وإعدادهم للمستقبل. فالعَالَم اليوم لا يحترم إلا الجادين من الأشخاص، ولا يقدر إلا المجتمعات الجادة.

١٢- إقامة برامج اجتماعية للناشئة؛ يسهمون من خلالها في تقديم المساعدة للمحتاجين؛ فتغرسَ فيهم الأخلاق الاجتماعية، والقيم التعاونية السامية.

المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم.

٢. ابن أبي العز، محمد بن علاء الدين. **شرح العقيدة الطحاوية**، ط ٨: ١٤٠٤، المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق.

٣. ابن الأثير، مجد الدين. **النهاية في غريب الحديث**، دار الباز، مكة المكرمة.

٤. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم. **مجموع الفتاوى**، مكتبة ابن تيمية، القاهرة.

٥. ابن عاشور، محمد الطاهر. **تفسير التحرير والتنوير**. ط١: ١٤٢٠، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت.

٦. ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله. **التمهيد**، ١٣٨٧، وزارة عموم الأوقاف، المغرب.

٧. ابن منظور، محمد بن مكرم. **لسان العرب**، ط١: دار صادر، بيروت.

٨. ابن هشام، عبد الملك. **السيرة النبوية**، مطبعة مصطفى الحلبي، مصر.

٩. الآجري، محمد بن الحسين. **الشريعة**، ط٢: ١٤٢٠، دار الوطن للنشر، الرياض.

١٠. الأزدي، الربيع بن حبيب. **مسند الربيع**، ط١: ١٤١٥، دار الحكمة، بيروت.

١١. الأشقر، عمر سليمان. **الرسل والرسالات**، ط٣: ١٤٠٥، مكتبة الفلاح، الكويت

١٢. الأشقر، عمر سليمان. **العقيدة في الله**، ط٣: ١٤٠٩، مكتبة الفلاح، الكويت.

١٣. الأشقر، عمر سليمان. **القضاء والقدر**، ط١: ١٤١٠، مكتبة الفلاح، الكويت.

١٤. الأصبحي، مالك بن أنس. **الموطأ**، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.

١٥. الأصفهاني، الراغب. **مفردات ألفاظ القرآن**، ط٣: ١٤٢٣، دار القلم، دمشق.

١٦. الأندلسي، أحمد بن محمد بن عبد ربه. **العقد الفريد**، دار الكتاب العربي، بيروت.

١٧. الأندلسي، محمد بن يوسف بن حيان. **البحر المحيط**، ط٢: ١٤١١، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١٨. البخاري، محمد بن إسماعيل. **الأدب المفرد**، ط٣: ١٤٠٩، دار البشائر الإسلامية، بيروت

١٩. البخاري، محمد بن إسماعيل. **صحيح البخاري**، ط٣: ١٤٠٧، دار ابن كثير، بيروت.

٢٠. البرقوقي، عبد الرحمن. **شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري** t، ١٤١٠، دار الكتب العلمية، بيروت.

٢١. البريكان، إبراهيم محمد. **المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية**، ط٥: ١٤١٨، دار السنة، الخبر، السعودية

٢٢. البزار، أحمد بن عمرو. **مسند البزار**، ط١: ١٤٠٩، مؤسسة علوم القرآن، بيروت.

٢٣. البستي، أبو الفتح علي بن محمد. **ديوان أبي الفتح البستي**، ١٤١٠، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق.

٢٤. البستي، محمد بن حبان. **صحيح ابن حبان**، ط٢: ١٤١٤، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٢٥. البغدادي، علي بن محمد. **لباب التأويل في معاني التنزيل» تفسير الخازن»**، ط١: ١٤١٥، دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٦. البغدادي، محمود الآلوسي. **روح المعاني**، ط٤: ١٤٠٥، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٢٧. البغوي، الحسين بن مسعود. **معالم التنزيل**، ط١: ١٤٢٣، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض.

٢٨. البيضاوي، ناصر الدين. **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، ط٢: ١٣٨٨، مكتبة البابي وأولاده بمصر.

٢٩. البقاعي، إبراهيم بن عمر. **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، ط١: ١٤٠٤

٣٠. البيهقي، أحمد بن الحسين. **السنن الكبرى**، ١٤١٤، مكتبة دار الباز،مكة المكرمة.

٣١. البيهقي،أحمد بن الحسين. **مناقب الشافعي**، ط١: ١٣٩٠، دار التراث، القاهرة.

٣٢. البيهقي،أحمد بن الحسين.**شعب الإيمان**، ط١٤١٠:١،دار الكتب العلمية، بيروت.

٣٣. التبريزي، محمد بن عبد الله. **مشكاة المصابيح**، ط٣: ١٤٠٥، المكتب الإسلامي، بيروت

٣٤. الترمذي، محمد بن عيسى. **سنن الترمذي**، دار إحياء التراث، بيروت.

٣٥. التميمي، أحمد بن علي. **مسند أبي يعلى**، ط١: ١٤٠٤، دار المأمون للتراث، دمشق.

٣٦. التهامي، علي بن محمد. **ديوان أبي الحسن التهامي**، ط١: ١٤٠٢، مكتبة المعارف، الرياض.

٣٧. الجزائري، أبو بكر جابر. **أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير**، ط٣: ١٤١٠، راسم للدعاية والإعلان، جدة.

٣٨. الجوزي، عبد الرحمن بن علي. **زاد المسير في علم التفسير**، ط٤: ١٤٠٧، المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق.

٣٩. الخطيب البغدادي، أحمد بن علي. **الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع**، ٢٠٠٣، دار الكتب العلمية، بيروت.

٤٠. الدمشقي، إسماعيل بن كثير. **البداية والنهاية**، ط١: ١٤٠٨، دار الريان للتراث، القاهرة.

٤١. الدمشقي، إسماعيل بن كثير. **تفسير القرآن العظيم**، ط٢: ١٤١٧، مؤسسة الريان، بيروت.

٤٢. الدمشقي، محمد بن أبي بكر. **بدائع الفوائد**، ط١: ١٤٢٥، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة.

٤٣. الدمشقي، محمد بن أبي بكر. **تحفة المودود بأحكام المولود**، ط١، ١٣٩١، مكتبة دار البيان ، دمشق.

٤٤. الدمشقي، محمد بن أبي بكر. **زاد المعاد في هدي خير العباد**، ط١٤: ١٤٠٧، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٤٥. الدمشقي، محمد بن أبي بكر. **شفاء العليل**، ط١: ١٤٠٧، دار الكتب العلمية، بيروت.

٤٦. الدمشقي، محمد بن أبي بكر. **متن القصيدتين النونية والميمية**، ١٤٠٧، مكتبة ابن تيمية، القاهرة.

٤٧. الدويش، محمد عبد الله. **التربية الجادة ضرورة**، ط١: ١٤١٥هـ، دار الوطن، الرياض.

٤٨. الرازي. فخر الدين محمد بن عمر. **التفسير الكبير**، ط١: ١٤٢١، دار الكتب العلمية، بيروت.

٤٩. الزبيدي، محمد مرتضى. **تاج العروس من جواهر القاموس**، ط١: ١٣٠٦، المطبعة الخيرية، مصر.

٥٠. الزركشي، بدر الدين. **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث، القاهرة.

٥١. الزمخشري، محمود بن عمر. **ربيع الأبرار**، ١٤٠٠، دار إحياء التراث الإسلامي، بغداد.

٥٢. الزهري، محمد بن سعد. **الطبقات الكبرى**، ط١: ١٩٦٨، دار صادر، بيروت

٥٣. السجستاني، سليمان بن الأشعث. **سنن أبي داود**، دار الفكر.

٥٤. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر. **التوضيح والبيان لشجرة الإيمان**، مطبوع ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ عبد الرحمن السعدي، ط٢: ١٤١٢، مركز صالح بن صالح الثقافي، عنيزة.

٥٥. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر. **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، ط١: ١٤٢٣، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٥٦. السيوطي، عبد الرحمن. **الدر المنثور**،١٩٩٣، دار الفكر، بيروت.

٥٧. الشافعي، محمد بن أدريس. **ديوان الإمام الشافعي**، جمع و تعليق:د. أحمد ستيوي، ١٤٢٤، دار الغد الجديد، المنصورة.

٥٨. الشربيني، الخطيب. **السراج المنير**، ط١: ١٤٢٥، دار إحياء التراث، بيروت.

٥٩. الشوكاني، محمد بن علي. **فتح القدير**، دار المعرفة، بيروت.

٦٠. الشيباني، أحمد بن حنبل. **المسند**، مؤسسة قرطبة، مصر.

٦١. الصنعاني، أبو بكر عبد الرزاق. **مصنف عبد الرزاق**. ط٢: ١٤٠٣، المكتب الإسلامي، بيروت.

٦٢. الضرير، القاسم بن محمد. **شرح اللمع في النحو**، ط١: ١٤٢٠، مكتبة الخانجي، القاهرة.

٦٣. الطبراني، سليمان بن أحمد. **المعجم الكبير**، ط١٤٠٤:٢، مكتبة العلوم والحكم، الموصل.

٦٤. الطبراني، سليمان بن أحمد. **المعجم الأوسط**، ١٤١٥، دار الحرمين، القاهرة.

٦٥. الطبراني، سليمان بن أحمد. **المعجم الصغير**، ط١: ١٤٠٥، المكتب الإسلامي، بيروت.

٦٦. الطبري، محمد بن جرير. **جامع البيان في تأويل القرآن**، ١٤٠٥، دار الفكر، بيروت.

٦٧. الطبري، محمد بن جرير. **تاريخ الأمم والملوك**، دار الكتب العلمية، بيروت.

٦٨. الطيار، مساعد بن سليمان. **تفسير جزء عمَّ**، ط١: ١٤٢٠، دار ابن الجوزي، الدمام، السعودية.

٦٩. العثيمين، محمد بن صالح. **شرح العقيدة الواسطية**، ط٢: ١٤١٥، دار ابن الجوزي، الدمام.

٧٠. العثيمين، محمد بن صالح. **تفسير جزء عمَّ**، ط٣: ١٤٢٤، دار الثريا، الرياض.

٧١. العظيم آبادي، محمد شمس الحق. **عون المعبود شرح سنن أبي داود**، ط٢: ١٩٩٥، دار الكتب العلمية، بيروت.

٧٢. العقل، ناصر بن عبد الكريم. **بحوث في عقيدة أهل السنة والجماعة وموقف الأشاعرة والحركات الإسلامية المعاصرة منها**، ط٢: ١٤١٩، دار العاصمة، الرياض.

٧٣. الغزالي، محمد. **فقه السيرة**، ط٣: ١٤٠٧، دار القلم، بيروت، دمشق.

٧٤. الفيومي، أحمد بن محمد. **المصباح المنير**، المكتبة العلمية، بيروت.

٧٥. القاسمي، محمد جمال الدين. **محاسن التأويل**، ط٢: ١٣٩٨، دار الفكر، بيروت.

٧٦. القاضي، سعيد إسماعيل. **التربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة**. ط١: ٢٠٠٤، عالم الكتب، القاهرة.

٧٧. القرطبي، محمد بن أحمد. **الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى وصفاته**، ط٤: ١٤٢٧، المكتبة الحضرية، القاهرة.

٧٨. القرطبي، محمد بن أحمد. **الجامع لأحكام القرآن**، ط١٩٨٧:٣، دار الكتب المصرية، القاهرة.

٧٩. القزويني، محمد بن يزيد. **سنن ابن ماجه**، دار الفكر، بيروت.

٨٠. القوال، انطوان. **شرح ديوان أبي العتاهية**، ط١، ٢٠٠٣، دار الفكر العربي، بيروت

٨١. الكفوي، أيوب بن موسى. **الكليات**، ط:٢، ١٤١٩، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٨٢. الكوفي، محمد بن أبي شيبة. **مصنف ابن أبي شيبة**، ط١: ١٤٠٩، مكتبة الرشد، الرياض.،

٨٣. الماوردي، علي بن محمد. **النكت والعيون**، ط:١، ١٤١٢، دار الكتب العلمية، بيروت.

٨٤. المروزي، عبد الله بن المبارك. **الزهد**، دار الكتب العلمية، بيروت.

٨٥. المقدسي، محمد بن عبد الواحد. **الأحاديث المختارة**. ط١: ١٤١٠، مكتبة النهضة الحديثة، مكة المكرمة.

٨٦. الميداني، عبد الرحمن حسن. **معارج التفكر ودقائق التدبر**، ط١: ١٤٢٠، دار القلم، دمشق.

٨٧. النحلاوي، عبد الرحمن. **أصول التربية الإسلامية وأساليبها**، ط٢: ١٤١٦، دار الفكر، دمشق.

٨٨. النسائي، أحمد بن شعيب. **السنن الكبرى**، ط١٤١١:١، دار الكتب العلمية، بيروت.

٨٩. النسائي، أحمد بن شعيب. **سنن النسائي**، ط١٤٠٦:٢، مكتبة المطبوعات، حلب.

٩٠. النووي، محي الدين. **شرح صحيح مسلم**، دار الكتب العلمية، بيروت.

٩١. النيسابوري، محمد بن إسحاق. **صحيح ابن خزيمة**،١٣٩٠، المكتب الإسلامي، بيروت.

٩٢. النيسابوري، محمد بن عبد الله. **المستدرك على الصحيحين**، ط١: ١٤١١، دار الكتب العلمية، بيروت.

٩٣. النيسابوري، مسلم بن الحجاج. **صحيح مسلم**، دار إحياء التراث، بيروت.

٩٤. الهيثمي، علي بن أبي بكر. **مجمع الزوائد**، ١٤١٢، دار الفكر، بيروت.

٩٥. بهجت،مجاهد مصطفى. **ديوان الشافعي**، ط٢: ١٤٢٤، دار القلم، بيروت.

٩٦. جلبي، خالص. **الطب محراب الإيمان**. ط٦: ١٤٠٦، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٩٧. زرزور، نعيم. **ديوان علي بن أبي طالب**، ١٤٢١، دار الكتب العلمية، بيروت.

٩٨. زكريا، أحمد بن فارس. **معجم مقاييس اللغة**، ١٤٠٥، دار الجيل، بيروت.

٩٩. زكي،أحمد. **مع الله في السماء**، دار الهلال.

١٠٠. سالم، عطية محمد. **أضواء البيان**.

١٠١. شعبان، سعيد. **أعماق الكون**، ط٤: ١٤١٣، مكتبة الفلاح، الكويت.

١٠٢. ضميرية، عثمان جمعة. **مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية**، ط٢: ١٤١٧، مكتبة السوادي، جدة.

١٠٣. قطب، سيد. **في ظلال القرآن**، ط٢١: ١٤١٤، دار الشروق، بيروت، القاهرة.

١٠٤. كرزون، أنس أحمد. **منهج الإسلام في تزكية النفس**، ط١: ١٤١٧، دار ابن حزم، بيروت.

١٠٥. مصطفى، إبراهيم. وآخرون، مجمع اللغة. **المعجم الوسيط**، ط٢: المكتبة الإسلامية، استانبول، تركيا.

١٠٦. ميرغني، دفع الله أحمد. **المعجم الموجز في المصطلحات التربوية**، ط١٤٠٣:١، دار البحوث العلمية، الكويت.

١٠٧. ياسين، محمد نعيم. **الإيمان**، ط٦: ١٤٠٨، دار الفرقان، عمّان.

١٠٨. يحيى، هارون. **رحلة في الكون**: www.harunyahya.com/ Arabic.

١٠٩. يحيى،هارون. **معجزة خلق الإنسان**. www.harunyahya.com/arabic.

فهرس المحتويات

المقدمة ٩

الفصل الأول: معالم التربية الاعتقادية ١٥

المبحث الأول: الإقرار بتوحيد الربوبية طريق إلى توحيد الألوهية ٢٤

المبحث الثاني: الإيمان بأسماء الله وصفاته ٢٧

المبحث الثالث: الإيمان بالملائكة ٦١

المبحث الرابع: الإيمان بالكتب ٦٥

المبحث الخامس: الإيمان بالرسل عليهم السلام ٦٧

المبحث السادس: الإيمان بالبعث ٧٥

المبحث السابع: الإيمان باليوم الآخر ٧٩

المبحث الثامن: الإيمان بالقضاء والقدر ٨٨

الفصل الثاني: معالم التربية الروحية ١٠١

المبحث الأول: أهمية تزكية النفس وتطهيرها ١٠٧

المبحث الثاني: محاسبة النفس ١١٣

المبحث الثالث: العبادة ١١٩

المبحث الرابع: الالتجاء إلى الله والاعتصام به ١٢٤

الفصل الثالث: معالم التربية الفكرية ١٢٧

المبحث الأول: التفكر في الآيات الكونية ١٣٢

المبحث الثاني: التفكر في خلق الإنسان ١٦٢

المبحث الثالث: التفكر في مصير المكذبين ١٦٨

الفصل الرابع: معالم التربية في الدعوة والإصلاح ١٧٣

المبحث الأول: الصبر والثبات على المبدأ ١٧٦

المبحث الثاني: التأكيد على المفاصلة بين الحق والباطل وعدم المداهنة ١٨٣

المبحث الثالث: العناية بدعوة القادة والمؤثرين في المجتمع ١٨٩

المبحث الرابع: الموازنة بين مراتب المصالح ١٩٢

المبحث الخامس: الأمل في الفرج بعد الكرب ١٩٥

الفصل الخامس: معالم التربية الأخلاقية ١٩٩

المبحث الأول: حسن الخطاب والتلطف مع الآخرين ٢٠٢

المبحث الثاني: الجدية ٢٠٦

المبحث الثالث: اغتنام الأوقات ٢٠٨

المبحث الرابع: الحذر من الاغترار بالدنيا وزخرفها ٢١٢

الفصل السادس: معالم التربية الجسمية ٢١٩

المبحث الأول: الإشادة بالفروسية ووصف الخيل بجميل الأوصاف ٢٢٣

المبحث الثاني: خلق النوم وجعله من ضرورات صحة الجسم ٢٢٨

المبحث الثالث: العناية بالأطعمة المفيدة ٢٣٢

الفصل السابع: معالم التربية الاجتماعية ٢٤٣

المبحث الأول: بيان قيمة الإنسان ٢٤٧

المبحث الثاني: العدل في التعامل مع الناس ٢٥٢

المبحث الثالث: الإحسان إلى الناس ومعاونتهم ٢٥٥

التطبيقات والفوائد التربوية لمعالم التربية القرآنية في جزء عمّ ٢٥٩
أولاً : بعض التطبيقات التربوية لمعالم التربية الاعتقادية ٢٦١
ثانياً: بعض التطبيقات التربوية لمعالم التربية الروحية ٢٦٤
ثالثاً : بعض التطبيقات التربوية لمعالم التربية الفكرية ٢٦٦
رابعاً: بعض التطبيقات التربوية لمعالم التربية في الدعوة والإصلاح ٢٦٧
خامساً: بعض التطبيقات التربوية لمعالم التربية الأخلاقية ٢٦٩
سادساً: بعض التطبيقات التربوية لمعالم التربية الجسمية ٢٧١
سابعاً: التطبيقات التربوية لمعالم التربية الاجتماعية ٢٧٣
المفاهيم والفوائد التربوية في جزء عمَّ ٢٧٥
خاتمة الدراسة ٣٠٩
أولاً: نتائج الدراسة ٣١١
ثانياً: التوصيات ٣١٧
المصادر والمراجع ٣١٩